

التعريب



مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

الأخوة
العرب
هوئلتنا
القومية

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

51

ربيع الأول 1438هـ - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

السنة السادسة والعشرون
العدد الواحد والخمسون

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الواحد والخمسون

كانون الأول (ديسمبر) 2016

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور عدنان الحموي

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله التراي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذة الدكتور زهيدة درويش جبور

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية.

وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

* بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.

* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.

* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.

* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.

* الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التنضيد والإخراج الفني حسنة تلو

التعريب: مجلة نصف سنوية مُحكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق — ص.ب: 3752 — هاتف 3334876 / E-mail: acatap2@gmail.com - www.acatap.org

السنة الأولى: 1991 — دمشق ع 2016/12/15

الاشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 5 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

* افتتاحية العدد 7

* بحوث لغوية

- جولة في رحاب التجديد اللغوي 11
د. محمود السيد
- الاستثمار في اللغة العربية ميادينه وعوائده 37
د. ممدوح خسارة
- لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية 67
د. علي القاسمي
- من أسرار صيغة فعل 89
أ. د. سام عمار
- أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي 117
د. المضربي محمد الغالي

* بحوث في الترجمة

- هل الترجمة مدونة؟ 135
د. لحسن الكيري
- الجمالية في الترجمة 157
د. ملكة أبيض

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

- معايير الترجمة 167
حميد العواضي
- الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية 179
د. فايزة يخلف
- الترجمة على الشاشة (ضوابط وأخطاء) 193
د. فؤاد سليمان الخوري
- نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي 229
أ. محمد الأدريسي

*** بحوث في التعليم العالي**

- تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي في الجامعات العربية 247
أ. مخلوفي سعيد
- دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث 275
أ. عبد الرحمن مسعود غواز

*** من أعلام الحضارة العربية الإسلامية**

- أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي 323
ريما جبور

*** من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2016 349**

*** قواعد النشر في المجلة 353**

*** إصدارات المركز من الكتب 355**

الافتتاحية

بقلم: أ. د. زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب

والترجمة والتأليف والنشر

يصدر هذا العدد من مجلة "التعريب" والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أعتاب تطبيق الخطة الاستراتيجية للأعوام 2017-2022، هذه الخطة التي تهدف إلى "تحقيق طموحات الوطن العربي في بناء الإنسان القادر على معايشة عصره، والممتلك معارفه، والمزوّد بالمهارات والقيم التي تمكنه من بناء ذاته، والمشاركة الفعّالة في تنمية مجتمعه ووطنه".

تحظى هذه الخطة بأهمية بالغة نظراً للآمال المعقودة عليها، التزاماً من المنظمة بالتخطيط الواعي، ورسم سياستها المجددة لأهدافها الاستراتيجية في التربية والثقافة والعلوم حيث وضعت الإطار العام لتنفيذها. وقد جاءت جامعة متكاملة شملت نشاطات المنظمة بإداراتها ومراكزها الخارجية كلها، ورسمت مبدأ المشاركة والتنسيق والتعاون البناء والتكامل بين إداراتها في النشاطات المختلفة. وقد راعت هذه الخطة المستجدات على مستوى التربية والثقافة والعلوم وما نأمله هو توفرُ الإمكانات لتطبيقها.

لكن ما يؤلمنا ونحن نصدر هذا العدد من مجلة التعريب هو فَقْدُ عضو من أعضاء هيئة تحريرها الأستاذ شحادة الخوري المغفور له بإذن الله، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الذي وقّفَ معظم حياته لخدمة اللغة العربية، من خلال عمله في إدارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وإسهاماته في ندوات استعمال اللغة العربية في التعليم العالي التي نظمها المركز، إضافة إلى عدة كتب أشهرها "الترجمة قديماً وحديثاً" و "دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب" في ثلاثة أجزاء.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

هذا ويتضمن العدد دراسات وبحوثاً متنوعة في التجديد اللغوي، والاستثمار باللغة العربية
ولغة الإعلام، وبحوثاً في المصطلح والترجمة. نأمل أن يجد القارئ فيه ما يفيد.

والله ولي التوفيق

بحوث لغوية

جولة في رحاب التجديد اللغوي

- القسم الأول -

د. محمود أحمد السيد

رئيس الموسوعة العربية بدمشق

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم التجديد اللغوي، وأن نقف على وضع اللغة العربية بين المحافظين والمجددين، وأن نبين مجالات التجديد إن في مجال وضع المصطلحات أو في مجال القواعد النحوية والإملائية أو في مجال البلاغة، أو في مجال تقبل دلالات جديدة لبعض المفردات، أو في مجال الجنوسة، أو في مجال تعليم اللغة وتعلمها.

أولاً: مدخل تعريفي

طالما ترددت مصطلحات التجديد اللغوي والتيسير اللغوي والإحياء اللغوي في حياتنا المعاصرة، والتجديد لغةً من الفعل (جدد)، وجدَّ الشيء يجدُّ أي صار جديداً، وهو نقيض الخلق، والجديد ما لا عهد لك به، والجديد هو خلاف القديم.

والتيسير لغةً من الفعل (يسر) بمعنى لان وانقاد، ويسر الأمر بمعنى سهل فهو يسير ويسر، واليسر هو ضدّ العسر، ويعني أنه سهل، قال تعالى: «فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً»¹، وجاء في الحديث النبوي الشريف: «إن هذا الدين يُسر»²، وفي معجم لسان العرب ورد اليسر بمعنى السهولة واللين، وكل ما كان ضدّ العسر فهو يُسر.

¹ سورة الشرح: الآيتان 5 و6.

² عن أبي هريرة في صحيح الجامع رقم 1611.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

والتيسير اللغوي يعني أن اللغة الفصيحة تحتاج إلى جهد جماعي متخصص يفضي إلى تيسير استعمالها في التعليم والإدارة والحياة العامة، أي تحاشي التعقيدات وتذليل الصعوبات التي فرضها التزمّت والتصنع والتعقّر، ويعني تبسيط القواعد من نحو وصرف، والتغذية بالمصطلحات الجديدة، ويشمل ذلك التداخل بين الدارجة والفصيحة، على أن يكون ذلك كله في حدود لغة سليمة قابلة للاستعمال والانتشار¹.

والإحياء لغة من الفعل (حيّ)، وهو مصدر الفعل (أحيا)، قال تعالى: «فأحيينا به الأرض بعد موتها»²، فالإحياء لغة هو البعث بعد البلى.

وفي ضوء هذه التعريفات نظر إلى اللغة نظرة جديدة، ترمي إلى تيسير استعمالها في الحياة بعد أن ارتفعت صيحات من هنا وهناك تطالب بالتخلي عن التعقيدات والمماحكات والتأويلات والتشدد الذي فرضه فريق من اللغويين، مما أدى إلى صعوبات في استعمال اللغة، وتعليمها، وسيرورتها طيّعة على الألسنة والأقلام.

وتجدر الإشارة إلى أننا لن نعرض في بحثنا لدعوات تجديدية تعد نغمات نشاز في حياتنا الثقافية، ومن هذه الدعوات هجر الفصيحة إلى لغة أجنبية أو إلى العامية، أو الكتابة بالحروف اللاتينية، وإنما نتناول التجديد اللغوي الذي يهدف إلى تيسير استعمال اللغة العربية الفصيحة في شؤون الحياة.

ثانياً: اللغة العربية بين المحافظين والمجددين

غني عن البيان أن الحياة تتغير وتتبدل بين عصر وآخر، بل بين سنة وسنة في هذه الأيام التي نعيشها في عصر متطور ومتبدل ومتغير، كانت معارفه من قبل تحتاج إلى مئات السنين حتى تتضاعف، في حين أنها تتضاعف في أيامنا هذه في شهور.

¹ الدكتور طاهر ليبب، نقلاً عن جعفر العقيلي «اللغة العربية وهوية الأمة» ملف أفكار، العدد 300 كانون الثاني 2014 ص 132.

² سورة فاطر: آية 9.

.....جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

واللغة ظاهرة من ظواهر الحياة، وقانون من قوانين المجتمع، وظواهر الحياة تتبدل وتتشكل طوعاً لتصريف الزمن، وقوانين المجتمع تتجدد وتتطور وفقاً لما تقتضي به ضرورات الاجتماع¹.

وإذا كانت اللغة ترافق المجتمع الذي ينطق بها، والأحياء الذين يتكلمونها، فإن لغتنا العربية لم تعرف الركود في مسيرتها إلا في عصر الانحدار، إذ استطاعت في الجاهلية أن تعبر عن تجارب أصحابها، وعندما جاء الإسلام بمفاهيمه الجديدة استطاعت أن تتمثل هذه المفاهيم، وأن تعبر عنها أيما تعبير.

ففي الوقت الذي كان يغلب فيه على مفردات العربية في الجاهلية المضمون الحسي رأينا أن المضامين المعنوية المجردة قد شقت طريقها إلى مفردات اللغة. وفي العصر العباسي استطاعت اللغة العربية أن تطوّر لها الثقافات القديمة محتقظة بأصولها وقواعدها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية ليست باللغة التي كتب عليها الجمود، وإنما هي لغة أصيلة مرنة مطواعة، عبّرت عن حاجات العصر الجديد واتجاهاته، فازدادت مفرداتها بالوضع تارة، وبالاقتفاء تارة أخرى، وتتوّعت أساليبها وفق مقتضيات العصر، فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العصر في ميادين المعرفة كلها فلسفةً وطباً وعلومًا ورياضيات... الخ.

وإذا كانت اللغة العربية قد أصيبت بالجمود في عصر الانحدار فليس مردّ ذلك إلى اللغة نفسها، بل إلى المتكلمين بها، فقد كانوا جامدين فجمدت اللغة بجمودهم، وكانوا منزوين فانزوت اللغة معهم، وكانوا بعيدين عن الحياة فبعدت اللغة عن الحياة، وإلى هذا أشار الدكتور طه حسين قائلاً: «إذا كان المتكلمون باللغة العربية تنقصهم الحياة فلا عيب على اللغة ألا تحيا، وإذا كانت تنقصهم المرونة فلا عيب فيها ألا تكون مرنة، لأن العربية ليست شيئاً يعيش في السماء، أو يعيش في الجو، بل هي شيء يعيش في النفوس والقلوب، وتتنطق به الألسن،

¹ محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، القاهرة، 1956، ص 27.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

شيء ملازم للأحياء يؤدي ما في نفوسهم»¹.

ومن البدهي أن في المجتمع الذي يتكلم اللغة محافظين ومجددين، وغدت اللغة من المسائل التي توجهت إليها الأنظار، وتعددت حول قضاياها الآراء، فمن داع إلى التمسك بها كما كانت عليه الحال في أول أمرها قبل الإسلام وأيام الأمويين، ومن داع إلى تجديدها وتطويرها كي تواكب روح العصر المتطور والمتوثب، عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا).

وبصر العلماء اللغويون المحافظون من الفريق الأول على استعمال الأفصح، والأفصح كثيراً ما يكون معارضاً للفصح، إذ إن من الصعوبات التي يراها المحدثون كثرة ما يقال لهم: «أخطأتم، وهذا خطأ»، فيبعدون عن اللغة التي يحبونها، ويقولون: «لا نقل هاماً وإنما قل مهم»، مع أن هم وأهم بمعنى أحزن وأقلق، والكلمتان كلتاها صحيحة. وإذا استخدم أحدهم كلمة (فنان) قالوا له: «هذا خطأ، والصواب (الربيز)، لأن الفنان يعني حمار الوحش الذي يفتن في جريه، وإذا قال صبيّة بسيطة، قالوا له: «هذا خطأ، والصواب صبية ساذجة، لأن البسيطة هي الأرض الواسعة»².

وثمة من يبالغ في هذا المنحى، ويقف معاكساً/مناهضاً كل تطوّر فيقول: «إن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو إضافة جاء بها المشتغلون بعلم التربية، فنسبوا إلى التربية (تربوي)، وأشعرنا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفنا لأهل عصور العربية بالطلاق والعناق أنها عربية ما صدقوا ولا آمنوا»³.

ولما كانت اللغة العربية مرتبطة بالقرآن الكريم جعلت اللغويين في الأعم الأغلب يرفضون كل تغيير مهما يكن، ويجتهدون في ردّ الناس عنه وتنفيرهم منه، ولذلك لم يعترفوا بالتطور بوصفه مبدأً من مبادئ اللغة والمجتمع. وبسبب هذه النظرة الصارمة راحوا يلحقون ما يمكن

¹ الدكتور طه حسين، يسروا النحو والكتابة، مجلة الآداب، بيروت، السنة الرابعة، العدد 21.

² الدكتور محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، دار الفكر بدمشق، 1989، ص 52.

³ الكلام للشيخ عطية الصوالحي عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، نقلاً عن المرجع السابق ص 54.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

إحاقه من الأمثلة المتطورة بزمان الفصاحة عن طريق التماس الشواهد والأدلة التي تثبت أن هذا الذي يلاحظ وكأنه جديد، ليس من نتاج هذا الزمن، بل هو من ذلك الزمن الذي جعل معياراً للفصاحة. وأما ما لم يستطيعوا ردّه إلى ذلك الزمن فقد وصفوه باللحن والفساد والهجنة وغيرها من مصطلحات الرفض والاستبشاع، ويظهر هذا بجلاء في مصنفات اللحن والمولد والدخيل¹.

ويرى هذا النفر من اللغويين العرب أنهم في هذا العمل إنما هم حماة اللغة الفصحى، ولذلك يحولون دون أي تغيير أو تجديد فيها، وإذا حدث شيء من ذلك ولا بد أن يحدث لأن الحياة أقوى منهم ومن قيودهم، رفعوا أصواتهم محتجين، ومعتبرين هذا التجديد خروجاً على اللغة وإفساداً لها، فهم في تشدّدهم اللغوي في عدم قبولهم إلا ما ورد في المعاجم القديمة إنما يحافظون على سلامة اللغة، ولكن فاتهم أن يقرّوا بأن اللغة أوسع من معاجمها، وأن سلامة اللغة لا تكون في الجمود، وإنما في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها، ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته، وما حال الذين يرفضون كل جديد بحجة المحافظة على اللغة إلا كحال الذي يريد أن يحافظ على جمال الأزهار وطيب رائحتها بوضعها في خزائن حديدية، فتؤدي تلك المحافظة إلى ذبولها، ومادامت اللغة كائناً حياً كانت المحافظة الصحيحة على الكائنات الحية تتمثل في تطويرها وجعلها مطابقة للبيئة التي تعيش فيها على حدّ تعبير الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة سابقاً².

وها هو ذا أنيس الخوري يتساءل: «وكيف تكون اللغة حية إلا بإخراجها من مدافن التقليد الأعمى التي وضعها فيه النحاة واللغويون والمتحذلقون أو مقلدوهم في هذا الزمان وإخراجها إلى رحاب الأدب والعلم والفنون؟».

ويؤكد أن اللغة لن تكون وحدة لأمة ما لم يفهم القائمون بأمرها أنها ككل جسم حي يجب

¹ الدكتور أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر بدمشق، 2010، ص 349.

² الدكتور محمد كامل حسين، العربية المعاصرة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1976، ص 4.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

أن تجري في سبيل النشوء والارتقاء، فلا يرجعون بها، كما يحاول بعضهم من صاغة الكلام ومجامع اللغة، إلى بوادي الجاهلية وفدافد القدم، بل يتقدمون بها نحو الجمال المتبقي المبني على الفكر الصافي والشعور العميق والمبادئ العلمية والأساليب السلسلة والطرائق السهلة، فيهذبون نحوها، ويستسهلون، ويحيون آدابها وتاريخها بإحياء الروح العالية في نفوس أبنائها¹.

وثمة من ينظر إلى اللغة العربية نظرة القداسة، ويحول دون تطويرها كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل، مع أن اللغة كائن حي يفترض أن ينمو ويتجدد ويتطور ليستمر، وهذا الجمود في النظرة إلى اللغة أعطى انطباعاً أن اللغة العربية لغة لا تصلح للعلوم والمعرفة، وإذا كانت تواجه تحديات فإن جانباً من الخطر الذي يتهدها إنما جاء من أبنائها، إذ تقاعس بعضهم عن النهوض بها وتطويرها، في الوقت الذي افتتن نفر آخر باللغات الأجنبية، وهذا الأمر أسهم في تهميش العربية لمصلحة اللغة الإنجليزية في دول الخليج العربي، ولمصلحة اللغة الفرنسية في دول المغرب العربي.

ومن البدهي أن اللغة العربية مادامت ترافق الأحياء الذين يتكلمونها فإن على بنيتها أن يضيفوا إليها، ويزيدوا فيها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، واقتضت الظروف.

والعربية لغة نامية ومتطورة وولادة، كانت ومازالت تستجيب لمقتضيات العصر ومتطلباته كافة، وتنمو وتتطور في ضوء ذلك محافظة على ثوابتها وأصولها التي لا تكون إلا بها، «فهي مذ كانت، شأنها شأن اللغات الحية التي تعطي وتأخذ وتنمو وتتطور، فتحت ذراعيها، ورحبت بالوافد إليها من اللغات الأخرى من معرب ومترجم ودخيل ومولد، وهي عرضة لأن تموت فيها ألفاظ، وتولد أخرى، ولأن تتغير فيها المعاني والدلالات»².

وليس فساد اللغة إلا أن تتحجر في مكانها، فلا تملك أن تبين عما تجيش به الحياة العقلية

¹ فتاوى كبار الكتاب والأبهاء في مستقبل اللغة العربية، سلسلة آفاق ثقافية، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2003، ص 96.

² الدكتور يوسف بكر، من سبيل الحفاظ على اللغة العربية وتنميتها، ملف أفكار، العدد 300، كانون الثاني 2014 ص 52.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

والاجتماعية على مر الزمن من أفكار وأحداث¹.

ومن الداعين إلى التجديد اللغوي الأديب الكبير نجيب محفوظ الذي رأى «أنه لا يقضي على لغة مثل تقديسها والمحافظة على تراثها، ونحن نشعر نحو العربية بالقداسة باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولكن القرآن سيظل هو القرآن، وستبقى لغته دون تغيير أو تحوير، تتلى علينا ليلاً ونهاراً، وتقرأ إذا قرئت مصحوبة بالهوامش المفسرة، فلا خوف بعد ذلك من أن تتمتع العربية بالحرية التي تحظى بها اللغات الحديثة التي تصير لغة عصرية بكل معنى الكلمة، وأن تستوعب جميع الأفكار، وجميع الأشياء»².

ويرى أن حركة تقدم اللغة العربية تعتبر بطيئة بالقياس إلى روح العصر المتمثلة في سرعته وتفجر معلوماته وكثرة مخترعاته وتنوع سلعه.

وإذا كانت صيحة الأديب نجيب محفوظ تتسم بالجرأة والقوة فإن ثمة صيحة أخرى أطلقها الشاعر أدونيس لا تقل عن سابقتها قوة وجرأة، فلنستمع إليه يقول:

«إن مشكلة اللغة العربية ليست لغوية في المقام الأول، وإنما هي مشكلة عوائق دينية وسياسية تشل الإبداعية العربية، وتعطل طاقات التجديد، فلا مجال في المجتمع العربي لإبداع حرّ بلا قيود، يحرك اللغة العربية ويصعد بها إلى ذروات وآفاق جديدة، يفتحها ويفجرها، بحيث تنشأ تسميات جديدة، وألفاظ جديدة، وصيغ وتراكيب جديدة، وبحيث تصبح اللغة متحركة وحية كمثل الحياة ومثل الجسد، لا مجرد قواعد جامدة في الرأس. كلا، لن نتقدم اللغة العربية مهما جدت أو يسرت طرائق تدريسها ما دامت ترقد في سرير هذه المؤسسات الإيديولوجية، بل إنها على العكس، ستزداد انهياراً وسيزداد العزوف عنها، فهل تريدون أيها الحريصون على اللغة العربية أن تظل هذه اللغة حية نامية وخالقة؟ إذاً أحبوا الإبداع والكتابة والتفكير، أحبوا

¹ محمود تيمور، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، الجزء التاسع، ص 32.

² وزارة الثقافة السورية، فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، سلسلة آفاق ثقافية، دمشق 2003 ص 206.

الحرية¹.

تلك هي بعض الصيحات الداعية إلى التجديد، ولابد لنا من أن نحدد موقفنا تجاهها، إذ إننا نرى أن يحب المرء لغته الأم العربية الفصيحة ويفضلها على غيرها من اللغات، فهذا أمر مطلوب وطبيعي، أما أن يغالي في هذا الحب فيسبغ عليها صفة الإعجاز ويرفعها إلى مقام القداسة، فهذا أمر ينافي المنطق والتاريخ، ذلك لأن رفع اللغة إلى مرتبة القداسة يجعل منها قيمة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولا يحق لنا تطويرها، وهذا يؤدي إلى جمودها وتحجرها؛ والجمود في اللغة كالجمود في الشرايين يورث الشلل على حد تعبير الأديب أمين الريحاني.

ومن متطلبات العقل والمنطق أن على اللغة العربية أن تتطور لتستوعب الحضارة المعاصرة، وهي قادرة على ذلك، فقد تطورت رغم العوائق والمعوقين، إلا أن تطورها يعاني غالباً من البطء والفوضى، وما على أبنائها الغيورين عليها إلا أن يساعدوها على التطور بتطورهم هم أنفسهم من جهة، وبإعانتها على التطور من جهة أخرى.

إن الفكر المجدد لا يصدر إلا عن عقلية فاعلة لا منفعة، ومجددة لا مقلدة، ومبتكرة لا ناقلة، ذلك لأن التفكير العلمي الخلاق هو الذي يطوّر اللغة ويطورها ويجعلها محتوية لمختلف أنواع الإبداع. أما أن يعمد أهل اللغة على التقليد والنقل فذلك يؤثر سلباً في أداة التعبير، فتغدو جامدة ومتحجرة، ولذلك قيل: «إن اللغة هي المهد الذي ينبت فيه العلم، وما استفاد قوم علماً إلا علماً زرعوه بلغتهم».

وتجدر الإشارة إلى أن مجتمع المعرفة اللازم لتحقيق التنمية البشرية لا يتكون إلا باكتساب العلم والمعرفة، واللغة هي آلية اكتساب المعرفة العلمية والتقنية لأنها وعاء الفكر، وهي الحاضنة له بدرجاته المتنوعة وصولاً إلى الإبداع.

وللغة دورها الكبير في إيجاد مجتمع المعرفة لعدة أسباب منها:

1. إن تبادل المعلومات ونقل المعرفة بين أفراد المجتمع يجري باللغة، كما يجري تبادل السلع

¹ أنونيس، المحيط الأسود، دار الساقي، 2005، ص 441.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

والخدمات بين الأفراد بواسطة العملة النقدية، وكلما كانت العملة موحدة وذات رصيد جيد أدت دورها بفاعلية، ويسرت عملية التبادل.

2. إن التعليم والتدريب اللذين يزودان الأفراد بالمعرفة العلمية والتقنية بغية تحويلها إلى أفعال ومنتجات مادية ومعنوية وخدمات يحتاجان إلى وسيلة، وتلك الوسيلة هي اللغة.

3. إن العمل المشترك في مؤسسات الإنتاج كالزراعة والمصنع والمكتب يحتاج إلى وسيلة تفاهم مشتركة، واللغة هي السبيل إلى ذلك، فهي سبيل لمعرفة ذاته ومحيطه¹.

ولما كنا في صدد البحث في التجديد اللغوي فإن هذا التجديد يتجلى في ميادين متعددة، ومن هذه الميادين استحداث ألفاظ ومصطلحات جديدة بالابتكار والاشتقاق والنحت والتعريب من جهة، وبالتطور والتجديد في علوم اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة وإملاء من جهة ثانية، وبالتطور في دلالات الألفاظ والمفردات تطوراً تمليه متطلبات العصر من جهة ثالثة.

ولقد دعا إلى هذا التوجه نحو تلك الميادين ما تعانيه اللغة العربية من تضخم في القواعد والأصول، وفقر في المصطلح، وعجز عن مواكبة الجديد ومجاراة العصر، فالداء واضح للعيان، ولم يعد بالإمكان إخفاؤه، وبئس الدواء إنكار المرض، وبئس الحل إنكار المشكلة على حد تعبير الباحث الدكتور عادل مصطفى².

وجميل جداً ما عبّر عنه أحد الشعراء عندما قال في الجدل القائم بين المحافظين الزاعمين بأنهم يحافظون بتشددهم على اللغة، ويعملون على حمايتها، والمجددين الذين يرومون الانتقال باللغة إلى مواكبة روح العصر تطوراً ونماءً، ويقفون مناهضين محاولات التضييق على اللغة، فهي هو ذا يقول:

جاروا عليها زاعمين صلاحها جاروا عليها زاعمين صلاحها
لم يفقهوا أن اللغات حياتها في بعث تالدها وفي تجديدها

¹ محمد فؤاد الحوامدة ، اللغة العربية ومجتمع المعرفة، ملف أفكار، العدد 300، كانون الثاني، 2014.

² الدكتور عادل مصطفى، مقالة التأثيل في كتاب المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2007 ص 237.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وهكذا نجد أن اللغة يتنازعها عاملان متناقضان وهما:

1. المحافظة، وهي نزعة طبيعية عند المتحدثين باللغة تسعى إلى الإبقاء عليها كما عرفوها في جميع أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لكي لا تتغير ولا تختلف.
2. التغير والتجديد، وهو قوة تعمل على دفع اللغة نحو الخروج على الأنظمة الثابتة.

وبين هذين العاملين تقع اللغة في صراع دائم، فإذا ما تمسكت بالقديم المحافظ وحده جمدت وتخلفت، وإذا ما فتحت صدرها للتغير من غير حدود ضاعت شخصيتها القائمة على الانتظام والاستمرار، وتعرضت للشعب والاندثار¹.

والواقع لا نريد للغتنا العربية أن تخضع لواحد من هذين العاملين دون الآخر، لأن في كل واحد منهما خطراً إذا ما استقوى واستبد، ويستوي هنا خطر الجمود الكامن في المحافظة والتزمّت، وخطر الانحلال المائل في التساهل والخروج على الضوابط. والحال السليمة للغة تخضع للتوازن بين هذين العاملين كي تصل إلى نوع من التطور الهادئ الذي يربط بالقديم وتراثه، ولا يرفض الجديد ومتطلباته².

وما من غيور على اللغة العربية يدعو إلى الخروج عن قواعدها وأنظمتها وقوانينها، إلا أن سنن الحياة تدعو إلى التجديد والتطور، ولا تخرج اللغة ما دامت كائناً حياً عن هذه السنن شريطة الحفاظ على تلك الأنظمة والقوانين والاستجابة إلى متطلبات العصر المتطور والمتوثب والمتغير في الوقت نفسه.

ثالثاً: اتجاهات التجديد اللغوي

اتجه التجديد في اللغة العربية إلى ميادين متعددة، إذ إنه لم يقتصر على مجال واحد، فثمة اتجاه نحو توسيع اللغة العربية وإغنائها بمصطلحات جديدة اقتضتها ظروف الحياة وطبيعة

¹ الدكتور أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر بدمشق، 2010، ص 257.

² المرجع السابق.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

العصر الحاضر، عصر العلوم والتقانة، وثمة اتجاه نحو التجديد في ميداني النحو والإملاء بعد أن نظر إليهما على أنهما من صعوبات اكتساب اللغة وتعليمها وتعلمها، وهناك اتجاه نحو التجديد في ميدان البلاغة، وتوجّه نحو قبول استعمال ألفاظ جديدة وعبارات جديدة اكتسبت دلالات جديدة في حياتنا المعاصرة، وتوجّه نحو تنقية اللغة من ظاهرة الجنوسة وإزالة التحيز منها لمصلحة الذكورة. ولم يهمل التجديد مسألة تعليم اللغة وتعلمها فأبان بعض الطرائق الحديثة في هذا الميدان.

وفيما يلي وقفة على كل اتجاه من هذه الاتجاهات في الميادين المشار إليها:

1. التجديد في مجال وضع المصطلحات:

إن التجديد اللغوي في هذا المجال، مجال وضع المصطلحات، من أصعب الأمور وأشقها، وكان أحمد فارس الشدياق قد شكا افتقار العربية إلى الألفاظ الحضارية في اللغات الأوروبية نظراً لما استحدثت من صنائع وفنون مما لم يخطر على بال الأولين، ورأى أن في ذلك شيئاً، ولكنه ليس شيئاً على العربية، وإنما الشين علينا الآن في أن نستعير هذه الأسماء من اللغات الأخرى مع قدرتنا على صوغها من لغتنا.

وعبّر الشدياق عن صعوبة التجديد اللغوي في ميدان التعريب قائلاً:

ومن فاتته التعريب لم يدر ما العنا	ولم يصل نار الحرب إلا المحارب
أرى ألف معنى ماله من مجانس	لدينا، وألفاً ماله ما يناسب
وألفاً من الألفاظ دون مرادف	وفصلاً مكان الوصل، والوصل واجب

ومع ذلك فإن ثمة جهوداً كبيرة بذلها رجالات التعريب الأوائل في وضع المصطلحات، ومن الأساليب التي انتهجوها الترجمة للمصطلح الأجنبي، وذلك بالبحث في الكتب العربية القديمة عن مصطلح يقابله، أو البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فيبدل معناه قليلاً، ويستخدم المجاز غالباً، أو البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق العربي، وإذا لم تسعف السبل السابقة في وضع المصطلح كان يلجأ إلى إسباغ الحروف

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

العربية على اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صوغاً عربياً.

وكانت المعايير التي انتهجها العلماء العرب في وضع المصطلحات تتمثل فيما يلي:

1. وجود مناسبة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.
2. تحريّ لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي بطريق الاطلاع على الألفاظ العلمية الموثقة في المعجمات العربية، وفي مختلف كتب التراث العلمية.
3. ترجمة اللفظ الأعجمي الجديد الذي ليس له مقابل في اللغة العربية، أو وضع لفظ عربي مقارب له بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت، وإذا لم يتيسر ذلك فيعرّب.
4. تفضيل اللفظ العربي على اللفظ المعرّب القديم إلا إذا اشتهر المعرّب.
5. تفضيل المصطلحات العربية القديمة على الجديدة إلا إذا شاعت.
6. تفضيل الكلمة الواحدة على كلمتين أو أكثر إذا أمكن ذلك.
7. الترجمة الحرفية إذا لم توجد كلمة واحدة.
8. الاختصار على اسم واحد للمعنى العلمي الواحد في المجال الواحد.
9. تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.
10. قبول اللفظ المعرّب السائع.

وكان الشدياق قد أشار إلى مزية الاشتقاق في اللغة العربية في وضع المصطلحات، ومزية النحت أيضاً، مفضلاً النحت على كلمتين مجتمعتين بالإضافة أو النحت، ومشيراً إلى فضل الفعل الرباعي في صوغ الألفاظ الجديدة والدلالات الجديدة مثل بسمل وحوقل، وهذا الفعل الرباعي في نظره من أكثر الأفعال مطاوعة لتوسيع اللغة وإغنائها، وكان شاهده على ذلك ما روي عن الإمام علي عليه السلام من أنه قدم إليه شيء من الحلوى، فسأل عنه فقالوا: النيروز، وهو أول يوم في السنة، وهو معرّب نوروز، فقال:

نيروزونا كل يوم. وفي المهرجان مهرجوناً كل يوم.

ومن المعاجم التي استعين بها في التعريب والترجمة والتأليف معجم (دوزي) بالفرنسية

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

والعربية، ومعجم (لين) ومعجم (بادجر) بالإنجليزية والعربية، ثم معجم (بيلو) و(المنهل) و(المورد).

وأسهم رجالات التعريب الأوائل أيما إسهام في وضع المعاجم، فألف الدكتوران مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط معجماً للعلوم الطبية، ونقلت لجنة المصطلحات في كلية الطب بالجامعة السورية في خمسينيات القرن الماضي معجم كليرفيل Clairville المتعدد اللغات إلى اللغة العربية، وأنجز اتحاد الأطباء العرب المعجم الطبي الموحد بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومجلس وزراء الصحة العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وعمدت وزارة التعليم العالي في سورية إلى ترجمة المدونات الكبرى في الطب، وقام قسم الطب الباطني في كلية الطب بجامعة دمشق بترجمة كتاب (هاريسون) إلى العربية.

ومن المعاجم المتخصصة في ميدان العلوم الطبية والطبيعية معجم الدكتور محمد شرف إلى جانب معجم (كليرفيل) الطبي، ومعجم مصطلحات تعويض الأسنان لميشيل خوري، وقاموس (حتي) الطبي، والمعجم الطبي الصيدلي للدكتور علي محمود عويضة، والمعجم الفلكي لأمين معلوف، ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي، ومعجم أسماء النبات لأحمد عيسى، والمعجم الكهربائي الإلكتروني الذي أصدرته وزارة الدفاع السورية، ومعجم المصطلحات البترولية والصناعية لأحمد شفيق الخطيب، والمعجم القانوني لحارث سليمان الفاروقي، والمعجم العلمي للمصطلحات القانونية والتجارية والمالية ليوسف شلاش وفريد فهمي، والمعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا، ومعجم المصطلحات الدبلوماسية لمأمون الحموي، ومعجم المصطلحات الجغرافية الذي أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة، ومعجم المصطلحات الأثرية ليحيى الشهابي، ومعجم مصطلحات الفنون للدكتور عفيف البهنسي، ومعجم مصطلحات الحديث للدكتور نور الدين العتر... الخ.

وتجدر الإشارة إلى أن للأمير مصطفى الشهابي إسهامات في مجال وضع المصطلحات الجيولوجية والزراعية والنباتية، وكان للدكتور عبد الرزاق قدورة إسهام في تنسيق

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

المصطلحات في ميدان العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلم الحيوان، وللدكتور فاخر عاقل إسهام في وضع معجم للمصطلحات في مجال علم النفس.

وأصدرت الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية "معجم مصطلحات المعلوماتية"، وأصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سلسلة معاجم تخصصية وكذلك فعل مكتب تنسيق التعريب في الرباط...

وأصدر مجمع اللغة العربية بدمشق معجماً في الفيزياء، وآخر في الكيمياء، وثالثاً في ألفاظ الحضارة، وتعمل لجانه المتخصصة حالياً في وضع مصطلحات في المعلوماتية والرياضيات والجيولوجيا والإعلام... الخ.

ولسنا الآن في مجال الحصر، وإنما هي إشارات إلى بعض ما أنجز في ميدان وضع المعاجم المتخصصة في ميادين المعرفة، مع الأخذ بالحسبان أن ثمة فجوة بين التدفق المعرفي في عالمنا وبين بقاء حركة التعريب في إيجاد البديل العربي للمصطلحات المتدفقة من الدول المتقدمة.

2. التجديد في مجال النحو:

ما دامت اللغة في تغير مستمر فمن البدهي أن تواكبها في ذلك علوم اللغة المنوط بها رصد الظاهرة اللغوية وضبط حركتها، وكان ثمة توتر بين اللغة المعيارية والوصفية، معيارية تحافظ على اللغة من التحلل والانهيار، ووصفية تفتح أمامها آفاقاً للتطور والارتقاء.

ورأى المجددون أن النحو اتصف بالجمود والغموض والاستبهام، وأنه خرج عن وظيفته، وانحاز إلى جانب من جوانب اللغة وهو علم الإعراب.

واتجهت آفاق التجديد في مجال النحو نحو النأي عن التطويل والتفريعات في مباحثه وموضوعاته إلى الاختصار من جهة، وإلى الإلغاء والدمج من جهة أخرى، وإلى التركيز على النحو الوظيفي من جهة ثالثة.

أ. النأي عن التطويل إلى الاختصار: تعددت الآراء النحوية في المسألة الواحدة، وكثرت

.....جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

التأويلات والتقديرات والمماحكات، وتباينت الاختلافات بين المدارس النحوية (مدرسة الكوفة، مدرسة البصرة، مدرسة بغداد، مدرسة الأندلس)، وهذا ما أدى إلى صعوبة المادة النحوية واستتقال مصطلحاتها وتأويلاتها، إذ يروى عن دماذ صاحب (أبي عبيدة) أنه قرأ من النحو بابي الواو والفاء، فلما استمع إلى قول (الخليل) وأصحابه إن ما بعدهما ينصب بأن مضمرة وجوباً نبا فهمه عن إدراك ذلك فكتب إلى أبي عمّان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره يشكو إليه ما لقيه من عنت بهذه الأبيات¹:

وفكرت في النحو حتى ملّيتُ	وأُتعبتُ نفسي له والبدن
وأُتعبتُ بكرةً وأصحابه	بطول المسائل في كل فن
فكنت بظاهره عالماً	وكنت بباطنه ذا فطن
سوى أن باباً عليه العـ	فاء للفاء يا ليتـه لم يكن
وللوو باب إلى جنبه	من المقت أحسبه قد لعن
إذا قلت هاتوا لماذا يقال	لست بآتيك أو تأتين
أجيبوا: لم قيل هذا كـ	ذا على النصب، قيل لإضمار أن
فقد كدت يا بكر من طول ما	أفكر في بابـه أن أجـن

وكان الجاحظ جبار النثر العربي قد دعا إلى الاختصار في تعليم النحو للمتعلمين على المباحث النحوية الضرورية التي يحتاجون إليها في تفاعلهم مع بني مجتمعهم، فها هو ذا يقول في رسالة وجهها إلى المعلمين «وأما النحو فلا تشغل قلبه منه - أي الصبي - إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به»².

¹ ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1947.

² أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ج3 ص 38 سنة 1979م.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وإذا كانت دعوة الجاحظ نظرية فإن ثمة مؤلفات عملية مختصرة ظهرت في هذا الميدان منها «مقدمة في النحو» لخلف بن حيان الأحمر البصري، ويقول في مقدمتها «لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل، أمعنت النظر والفكر في كتاب أولفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق»¹.

وبوّب المقدمة وفق الحالات الإعرابية للكلمة، إذ بدأ بالرفع ثم النصب وبعدها الجزم والخفض، وابتعد عن التفصيل عند ذكر كل باب.

ومن الكتب المختصرة كتاب «التفاحة في النحو» لأبي جعفر النحاس النحوي²، وهو كتيب مختصر جداً في حدود اثنتين وثلاثين صفحة، وقد قسّمه مؤلفه إلى واحد وثلاثين باباً تناول منها أقسام الكلام وإعراب الاسم والفعل، والمثنى والجمع وأنواع الفعل والفاعل والمفعول، وحروف النصب المشبهة بالفعل، والحروف الناصبة للأفعال الدالة على المستقبل والحروف الجازمة، والأفعال الرافعة للأخبار، وحروف الرفع (لولا، إنما، كأنما) والمعرفة والنكرة، والتوابع... الخ.

وكان الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة قد دعا إلى تعميم هذا الكتيب على وزارات التربية في الوطن العربي لأنه يفي بالحاجة ويسدّها من وجهة نظره. وفي تراثنا العربي ثمة كتب مختصرة، حاول فيها مؤلفوها تقديم النحو بإيجاز متوخين السهولة واليسر في تقديم المباحث النحوية إلى المتعلمين بأسهل الأساليب على حدّ زعمهم، ومن هذه الكتب المتسمة بالاختصار كتاب (الواضح) لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي³،

¹ خلف بن حيان الأحمر البصري، مقدمة في النحو، طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية، دمشق 1961، ص 34-33.

² أبو جعفر النحاس النحوي، كتاب التفاحة في النحو، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، مطبعة العاني 1965، ص 13.

³ أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي، كتاب الواضح، تحقيق عبد الكريم خليفة، مطبعة دار جليس للزمان للنشر والتوزيع، عمان 2011.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

وكتاب (اللمع) لابن جني¹، وكتاب (المصباح في علم النحو) للمطرزي²، و(العوامل المئة) لعبد القاهر الجرجاني³، و(المقرب) لابن عصفور⁴، و(قطر الندى وبلّ الصدى) لابن هشام الأنصاري⁵، والخلاصة المشهورة بألفية ابن مالك⁶، و(الأجرومية) لابن آجروم⁷، وهي مقدمة في النحو مختصرة جداً لا تتجاوز عدة صفحات.

وأما المطرزي صاحب (المصباح) فلم يكن ليطيل كما نطيل نحن في بيان مصير الحركات الإعرابية وتعليل كونها متعذرة لا ظاهرة بالتعذر أو الثقل في أواخر الاسم، وإنما اكتفى بالقول: «ما في آخره ألف لا يظهر فيه الإعراب كالعصا والرحى، وما في آخره ياء مكسورة ما قبلها يسكن في الرفع والجر ويحرك في النصب مثل: جاء القاضي ومررت بالقاضي ورأيت القاضي»، وما أظن النطق السليم يحتاج إلى أكثر من ذلك في المرحلة الأولى، وقد استغنى عن كل ما نعلمه اليوم من حدود وتعريفات ومصطلحات تتصل بالثقل والتعذر والمقصور والمنقوص⁸.

وفي العصر الحديث ظهرت بعض الكتب التي تتوخى التيسير في القواعد النحوية، ومن

¹ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

² ناصر بن أبي المكارم المطرزي، المصباح في علم النحو، تحقيق بايسن محمود ومراجعة وتقديم الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت 1997.

³ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي، العوامل المئة، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة في المملكة العربية السعودية، 2009.

⁴ علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار الجوّاري، وعبد الله الجبوري، بغداد 1972.

⁵ جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة، 1963.

⁶ عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة، 1954.

⁷ حسن خير المنشاوي، نصوص في علم النحو والصرف، مصر، شبرا، الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، القاهرة 2010.

⁸ الدكتور مازن المبارك، التجديد في قواعد العربية ومناهجها، المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق (التجديد اللغوي)، دمشق، 2008، ص 10.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

أشهرها (جامع الدروس العربية)¹ للشيخ مصطفى الغلاييني، حيث جاء سهل الأسلوب واضح المعنى، وفي الكتاب أمثلة توضح القاعدة المراد دراستها. كما ظهر كتاب (النحو الواضح)² لعلي الجارم ومصطفى أمين، وقد اعتمد مؤلفاه الطريقة الاستقرائية في تقديم القاعدة، واستعمال الأمثلة والشواهد المعاصرة في منأى عن الشواهد التقليدية، وهذا ما جعل المادة النحوية سهلة وميسرة.

ب. **الإلغاء والدمج:** من اتجاهات التيسير الدعوة إلى إلغاء بعض المباحث النحوية، وكان ممن حمل لواء هذه الدعوة إلى الإلغاء في تراثنا العربي ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة»³، إذ إنه دعا إلى إلغاء العوامل، والعامل عند النحاة هو ما أثر في غيره من حركة أو سكون أو حذف، ودعا أيضاً إلى إلغاء الحذف والتقدير وإسقاط العلل الثواني والثالث، وإلغاء التمارين.

وفي العصر الحديث جرت عدة محاولات للتيسير، منها محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو»⁴، وقد كان في محاولته ثائراً على النحويين الذين قصروا مباحث النحو على الإعراب والبناء، دون أن يبحثوا خصائص الكلام من تقديم وتأخير ونفي وإثبات وتأكيذ، وذهب إلى أن المتكلم هو الذي يحدث الحركات لا العامل الذي طالب بإلغائه على غرار ما دعا إليه ابن مضاء القرطبي، كما ذهب إلى أن التتوين علم التكثير، وفي بحثه عن معاني العلامات الإعرابية رأى أن الرفع علم الإسناد بدليل أن الكلمة يتحدث عنها، وأن الجر علم الإضافة سواء أكانت بحرف أم بغير حرف، وأن الفتحة ليست بعلم إعراب لأنها الحركة الخفيفة المستحبة التي يحب العرب أن يختموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها لافت، وعلامات الإعراب في الاسم لا تخرج عن هذا إلا في بناء أو نوع من الإتياع.

¹ الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، مراجعة وتنقيح الدكتور محمد أسعد النادري، بيروت، المكتبة العصرية 1998.

² علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ.

³ ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947.

⁴ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1951.

.....جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

وكانت المحاولة الثانية للتيسير في العصر الحديث تلك المحاولة التي قامت بها لجنة تيسير اللغة العربية التي ألفت عام 1938 بقرار من وزير المعارف بمصر، وجاء في حيثيات تشكيل قرار اللجنة أن الوزارة سبق لها أن عملت على تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة فيما أخرجت من الكتب، وأن هذه الخطوة التي خطتها الوزارة في الماضي لم تكن كافية، إذ إنه لوحظ أن صعوبة قواعد النحو والصرف والبلاغة ما تزال قائمة، وأن المعلمين والمتعلمين يبذلون جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً في تعليمها وتعلمها، ولا يصلون بعد هذا كله إلى نتائج تتفق مع ما يصرف من زمن وجهد.

وقد لاحظت اللجنة المشكلة لهذه الغاية أن أهم ما يعسر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء هي:

1. فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا، أو يسرفوا في الافتراض والتعليل.
2. إصراف في القواعد نشأ عنه إصراف في المصطلحات.
3. إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

لذا تقترح اللجنة فيما يخص المتعلمين إلغاء الإعراب التقديري والمحلي لعدم فائدته في ضبط لفظ أو تقويم لسان، وجعل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد أسمته (باب المسند إليه)، وإلغاء الضمير المستتر جوازاً ووجوباً¹.

أما المحاولة الثالثة التي كان لها صدى كبير في المناهج التعليمية فهي محاولة مؤتمر مفتشي اللغة العربية في القاهرة عام 1957، ورأت هذه المحاولة أن الكلام العربي كله مكون من جمل ومكملات وأساليب، وللجملتين ركنان أساسيان، اصطلاح على تسمية أحدهما (مسنداً)، والآخر (مسنداً إليه). وأما المكملات فهي كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساسية معنى يكمله. وأما الأساليب فهي تعبيرات خاصة نطق بها العرب على الصورة التي وصلت إلينا

¹ وزارة المعارف المصرية، تقرير لجنة تيسير قواعد اللغة العربية، مكتبة وزارة التربية والتعليم بالقاهرة، علوم عربية (نحو رقم 216) سنة 1938، ص 1.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

نحفظها ونقيس عليها، وقد رمت هذه المحاولة إلى تيويب مسائل النحو على أساس من المعاني التي تدور حولها الأساليب المختلفة، فيجمع كل ما يتعلق بالمعنى الواحد من قواعد النحو في باب واحد يسمى (أسلوباً)¹.

وعلى هذا فأسلوب النفي مثلاً وحدة تشتمل على النفي بالحرف وبالفعل وبالاسم، وعلى النفي في الزمان الحاضر والماضي والمستقبل أيّ كان الأثر الإعرابي الذي تحدثه الأدوات. وفي ضوء هذه المحاولة ألّف إبراهيم مصطفى كتاب «تحرير النحو العربي»² بالاشتراك مع سبعة آخرين ليكون مرجعاً قريباً للمعلم، كما صدر كتاب «الأساليب الإنشائية في النحو العربي»³ لمؤلفه عبد السلام هارون، وقد حاول فيه استخلاص ما يخص أساليب الإنشاء من أبواب النحو.

ولقد اشتملت أوراق العمل المقدمة إلى مؤتمر مفتشي اللغة العربية على ورقة عمل للأستاذ محمد أحمد برانق لخص فيها الوسائل والأساليب التي اتبعت في حركة تيسير القواعد النحوية منذ مطلع العصر الحديث حتى تاريخ انعقاد المؤتمر، ومن هذه الوسائل⁴:

الوسيلة الأولى: العمل على إلغاء موضوعات أو أجزاء من موضوعات لا يحتاج إليها التلاميذ في تقويم ألسنتهم، ومن أمثلة ذلك المبنيات بجميع أنواعها، فقد اصطلح النحاة على أن الكلمة التي لا يتغير آخرها بتغير التركيب تسمى «مبنية» كالأفعال الماضية، وأفعال الأمر، والفعل المضارع في بعض صوره، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر.

الوسيلة الثانية: إلغاء الإعراب التقديري والمحلي في المفردات والجمل لأنه لا أثر له في

¹ الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية)، يونيو 1957، دار المعارف، القاهرة 1958.

² إبراهيم مصطفى وآخرون، تحرير النحو العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة 1958.

³ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1959.

⁴ الاتجاهات الحديثة في النحو العربي، مرجع سابق، ص 64-76.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

سلامة النطق، ولا في إفهام المعنى، فلا حاجة بنا إلى أن نشغل به أوقات التلاميذ والمعلمين.

الوسيلة الثالثة: التخفيف من عمل الأدوات على النحو الذي قرره النحاة، واختلفوا فيه، وتعصب كل فريق منهم لראيه، فإنه لا فائدة من وراء دراسته. ولعل أول ما بدئ به من هذا إنما هو عدم الإشارة إلى أن «أن» تضم جوازاً أو وجوباً، وإلى أنها هي التي تنصب الفعل المضارع الواقع بعد لام الجحود أو حتى فاء السببية أو لام التعليل، إذ إن العرب نطقوا هذه الأساليب كما وصلت إلينا في القرآن والحديث.

الوسيلة الرابعة: العلامات الأصلية والعلامات الفرعية في الإعراب، فقد يُسر بأن جعلت علامات الإعراب كلها أصلية فالألف علامة رفع المثنى ولا تنوب عن الضمة، والياء علامة نصب جمع المذكر السالم ولا تنوب عن الفتحة، والواو علامة رفع جمع المذكر السالم ولا تنوب عن الضمة.

الوسيلة الخامسة: التكملة: وهو ما يذكر في الكلام، وليس ركناً أساسياً في الجملة، وهي منصوبة دائماً ما لم تكن مضافاً إليها أو مسبوقة بحرف جر.

الوسيلة السادسة: الأساليب: وهي دراسة بعض الموضوعات دراسة أسلوبية من غير التعرض لتفاصيل إعرابية تعسر على التلاميذ معرفتها، ومنها صيغ الإغراء والتحذير والتعجب والمدح والذم... الخ.

وكان اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية قد عقد ندوة في الجزائر عام 1976 تحت عنوان (تيسير تعليم اللغة العربية)، ورأى المنتدون في صدد تعليم النحو العربي أن يؤخذ بما يلي¹:

1. الربط بين علم النحو ومفهوم الدلالات.
2. استخلاص الشواهد والأمثلة من القرآن والحديث والنصوص الأدبية القديمة والحديثة.

¹ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، سجل ندوة الجزائر، تيسير تعليم اللغة العربية، القاهرة 1977.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

3. الاختصار في المادة النحوية ما أمكن على ما يستعمله الطلاب في حياتهم.
 4. الإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تعليل، وتراعى قدرة الطالب عند اختيار القواعد.
 5. دراسة بعض التراكيب النحوية دراسة تحدّد معانيها وتضبط أواخرها دون تعرّض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم والتعجب والتحذير والإغراء وما شاكل ذلك والنفي والتأكيد والتفضيل.
 6. ترك دراسة قواعد النحو التي تستعمل في الحالات النادرة كالانتازع والاشتغال.
 7. الحرص على المصطلحات النحوية التي عرفت من قبل كالفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر، لأنها أكثر دلالة على معانيها مما اقترح من مصطلحات.
 8. اعتبار جميع علامات الإعراب أصلية دون تمييز بين أصلي وفرعي.
 9. العناية بالنطق العربي ودراسة مجملته للأصوات.
 10. قصر محاولات التيسير على مرحلة التعليم العام.
 11. تنزيل كتب النحو بمقتطفات لتدريب الطلاب على استعمال الأساليب المختلفة كأساليب التعجب والنفي والتأكيد والتفضيل..
 12. ضم بعض القضايا الصرفية إلى القضايا النحوية حيثما يكون هناك ارتباط بينها، فتدرّس أوزان الفعل وما يحدث لها عند الإسناد إلى الضمائر في باب واحد.
- ولم تتوقف محاولات تيسير القواعد النحوية في سبعينيات القرن الماضي، وإنما ظهرت محاولة جديدة في ثمانينيات ذلك القرن على يد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تجديد النحو»¹، وقد اعتمد في محاولته ستة أسس لتجديد النحو، وهذه الأسس هي:
- الأساس الأول:** إعادة تنسيق أبواب النحو، وذلك بحذف ثمانية عشر باباً، وهذه الأبواب التي يقترح حذفها هي: باب كان وأخواتها، باب ما ولا ولات العاملات عمل ليس، باب كاد وأخواتها، باب ظن وأخواتها، باب أعلم وأخواتها، باب التنازع، باب الاشتغال، باب الصفة المشبهة، باب اسم التفضيل، باب التعجب، باب أفعال المدح والذم، كنايةات

¹ الدكتور شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، 1982.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

العدد، الاختصاص (واكتفي بإعراب هذه الصيغ الست في باب التمييز)، باب التحذير، باب الإغراء، باب الترقيم، باب الاستغاثة، باب الندية.

الأساس الثاني: إلغاء الإعرابين التقديرى والمحلى: إذ يكتفى أن يقال في إعراب جاء الفتى أن نذكر أن الفتى فاعل فقط، وفي جاء القاضي أن يقال في إعراب القاضي إنه فاعل فقط، وفي (هذا زيد) أن يقال في إعراب هذا مبتدأ فقط.

ودعا إلى إلغاء تقدير متعلق الظرف والجار والمجرور، وإلغاء عمل أن المصدرية في المضارع مقدرة أو مستترة بعد فاء السببية وواو المعية، وإلغاء العلامات الفرعية في الإعراب فلا الفتحة نائبة عن الكسرة في الممنوع من الصرف، ولا الكسرة نائبة عن الفتحة في جمع المؤنث السالم، ولا الواو في الأسماء الخمسة وجمع المذكر السالم، ولا الألف في المثنى، نائبتان عن الضمة، وليست الألف نائبة عن الفتحة أو الكسرة في المثنى وجمع المذكر السالم ... الخ.

الأساس الثالث: الإعراب لصحة النطق: وفي ضوء ذلك يكفي إعراب لاسيما وبعض أدوات الاستثناء وكم الخبرية والاستفهامية وأدوات الشرط الاسمية وإلغاء إعراب أن المخففة من الثقيلة.

الأساس الرابع: وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لبعض أبواب النحو التي لم يتح لها أن عرفت تعريفاً سديداً على نحو ما يلاحظ في المفعول المطلق والمفعول معه والحال.

الأساس الخامس: حذف زوائد كثيرة من مثل حذف شروط اشتقاق اسم التفضيل، وشروط فعل التعجب، وقواعد اسم الآلة، وشروط صيغ التصغير، وحذف قواعد النسب، وحذف تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المبتدأ على الخبر، وحذف إن المخففة من إن الثقيلة، وألغى أعمال كأن المخففة من كأن الثقيلة، وحذف إعمال ليت مع ما الكافة، وحذف شروط الحال وأحوالها وتابع المنادى وعمل المصدر... الخ.

الأساس السادس: إضافات متنوعة من مثل باب الذكر والحذف لعناصر الجملة، باب التقديم والتأخير، باب الجملة الأساسية، باب أنواع الجمل، إضافة جداول لتصريف الفعل مع

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ضمائر الرفع المتصلة، وجداول أخرى لتصريف المضارع، والأمر مع نون التوكيد، وأضاف إلى تقسيم الاسم تقسيمه إلى مضاف وغير مضاف ومتبوع وتابع حتى يستقر في ذهن دارس النحو أن المضاف وكذلك التابع ومتبوعه مفردات أو في حكم المفرد لا جمل مستقلة.

ج. التيسير بالتركيز على النحو الوظيفي: ويقصد بالنحو الوظيفي النحو الذي يساعد المتعلم على سدّ حاجاته وتحقيق متطلباته في التعبير عنها شفاهياً وكتابياً في تفاعله مع الآخرين في مجتمعه، وفي منأى عن الأخطاء. وما دعوة الجاحظ التي سبقت الإشارة إليها من قيل، ومحاولة خلف بن حيان الأحمر البصري في مقدمته في النحو، ومحاولة أبي جعفر النحاس النحوي في كتابه «التفاحة في النحو» ومحاولة ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة» إلا مظاهر من النحو الوظيفي، وما جميع المختصرات التي مرت بنا من قبل إلا أمارات على النحو الوظيفي الذي يساعد المتعلم على التعبير السليم شفاهياً وكتابياً، وعلى القراءة السليمة والاستماع الإيجابي الفعّال.

وفي ضوء هذا التوجه وضع الأستاذ عبد العليم إبراهيم كتابه «النحو الوظيفي»¹، وتجدر الإشارة إلى أن المعيار المعتمد في تعرف المباحث النحوية الوظيفية هو الاستعمال، فما استعمل من المباحث النحوية بكثرة عدّ وظيفياً، وما قلّ استعماله عدّ ثانوياً لا وظيفياً. ويتطلب هذا المعيار القيام بدراسات علمية لتعرّف أكثر المباحث النحوية شيوعاً وتواتراً واستعمالاً في التعبيرين الشفهي والكتابي للطلبة من جهة، وفي كتابات المؤلفين في مختلف ميادين المعرفة من جهة أخرى.

وجاءت الدراسة العلمية التي تقدم بها الدكتور محمود السيّد إلى جامعة عين شمس لنيل درجة الدكتوراه في التربية وعنوانها «أسس اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم

¹ عبد العليم إبراهيم، النحو الوظيفي، دار المعارف بمصر، القاهرة 1969.

..... جولة في رحاب التجديد اللغوي (1)

اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية¹ لتسلط الأضواء على تعرف المباحث النحوية الوظيفية. وكان الهدف من الدراسة اختيار مباحث القواعد النحوية في المنهج التربوي على أسس موضوعية مستمدة من الواقع في منأى عن الخبرة الذاتية والتقدير الشخصي، وذلك بتحديد أساسيات المادة التي تسهم في تزويد الناشئ بما يساعده على التفاعل الإيجابي مع مجتمعه، وإشباع حاجاته، وتنمية ميوله، واعتمد الباحث ثلاثة أسس في بناء المنهج أولها أساسيات المادة من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين، وثانيها المطالب اللغوية لطلبة المرحلة الإعدادية، وثالثها متطلبات المجتمع والعصر. وقد أمكن معرفة الأساس الأول بطريق المقابلة المنضبطة لعدد من المشتغلين بتعليم اللغة العربية من أساتذة الجامعات والموجهين الاختصاصيين وأعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة. وأمكن معرفة الأساس الثاني بطريق جمع عينات من التعبيرين الشفاهي والكتابي لعينة ممثلة من طلبة المرحلة الإعدادية وطالباتها. وكان المنهج المتبع في التعرف هو المنهج التحليلي بغية رصد المباحث النحوية التي تستعمل ومعرفة تواترها، ثم معرفة تواتر الأخطاء المرتكبة فيها؛ ومعرفة تواتر المباحث الفرعية في المباحث العامة. أما الأساس الثالث المتمثل في متطلبات المجتمع والعصر فأنجز بتحليل عينة ممثلة لأساليب الكتاب المعاصرين في مختلف ميادين المعرفة، ثم رصد المباحث النحوية التي يستعملها هؤلاء، ومعرفة تواترها في ميادين المعرفة عامة، ثم في كل ميدان، ومعرفة تواتر المباحث النحوية الفرعية في هذه الميادين لتعرف أيها أكثر استعمالاً.

وعرض البحث أيضاً للصعوبات اللغوية النحوية التي يعانيها بعض العاملين في وزارات الدولة ومؤسساتها ممن يحملون الشهادات الإعدادية والثانوية والجامعية، وذلك في أثناء ممارستهم للغة في إنجاز أعمالهم محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة، وفي ضوء ما أسفرت عنه دراسة المصادر السابقة من نتائج اختبرت المباحث النحوية الوظيفية في منهج تعليم اللغة العربية.

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، أسس اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية بجامعة عين شمس، القاهرة، 1972.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وإذا كانت هذه الدراسة قد وقفت على المباحث النحوية الوظيفية في أساليب الكتاب المعاصرين فإن الدراسة التي أنجزها الباحث نفسه لمصلحة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعنوانها «تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي»¹ قد أبانت أكثر المباحث النحوية استعمالاً في أساليب الكتاب السابقين أيضاً إلى جانب أساليب الكتاب المعاصرين، انطلاقاً من أن الطالب لا يقتصر في مناشطه اللغوية على تعرف كتابات المعاصرين فقط، وإنما يطلع أيضاً على التراث العربي، وبهذا تكتمل الصورة في الوقوف على أكثر المباحث النحوية الوظيفية شيوعاً وتواتراً واستعمالاً في الحياة، وهي التي ينبغي للنظام التربوي أن يركز عليها في تعليم اللغة العربية وتعلمها. وقام الباحث نفسه بوضع كتاب «أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً»² في ضوء هذا المنحى الوظيفي.

«للبحث بقية في العدد القادم»

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987.

² الدكتور محمود أحمد السيد، أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً، الهيئة العامة السورية للكتاب بوزارة الثقافة السورية، دمشق 2010.

الاستثمار في اللغة العربية

مبادئه وعوائده

د. ممدوح محمد خسارة

مجمع اللغة العربية - دمشق

أولاً: الاستثمار لغة واصطلاحاً وسياًقاً

ليس في المعاجم العربية القديمة المصدر (استثمار)، ولا فعله (استثمر). والذي فيها من هذه المادة: «الثَّمَر: هو حَمَلُ الشَّجَرِ وأنواع المال... وثَمَرَ الشَّجَرُ وأثمر: صار فيه الثَّمَر... وثَمَرَ مَالَهُ: نَمَّاه، وثَمَرَ اللهُ مَالَكَ: كَثَّرَهُ»¹.

ولكن العربية المعاصرة صاغت من الجذر (ثَمَرَ) فعل (استثمر) على بناء (استفعل) الذي من أظهر معانيه طَلَبُ الشيء، فصار معنى استثمر هو طَلَبُ الثمر والغلة من الشجر والأرض. ومما جاء في معاجمها الحديثة: «استثمر مَالَهُ: نَمَّاه»².

وإلى معنى التنمية تذهب دلالة الاستثمار، فصار (الاستثمار) معادلاً للتنمية، وهو ما ينصرف إليه الذهن عند إطلاقه.

ومن هذا التطور الصرفي والدلالي الموفق جاء المعنى الاصطلاحي للاستثمار وهو: «استخدام الأموال في الإنتاج إما مباشرة بشراء الآلات والمواد الأولية، وإما بطريق غير مباشر كسواء الأسهم والسندات»³.

¹ ابن منظور، لسان العرب: ثمر.

² مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ثمر.

³ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الكبير: ثمر.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ويلحظ التطور الدلالي الكبير في هذا المصدر الذي تجاوز الدلالة القديمة بطريق تعميم الخاص، فبعد أن كانت منصرفة إلى متطلبات حياة البداوة والفلاحة، انصرفت حديثاً إلى متطلبات الحياة الاقتصادية والمالية، وغلبت هذه الدلالة المعاصرة الواسعة على الدلالة اللغوية المحدودة القديمة. ويشير هذا التطور الدلالي وأمثاله إلى مدى الثروة اللغوية التي يمكن أن نجنيها من تفعيل قواعد الصرف والدلالة في جذور لغتنا.

وهذا المعنى الاصطلاحي هو ما تداولته وتوسّعت فيه المعاجم المتخصصة والموسوعات العلمية. جاء في الموسوعة العربية: «الاستثمار هو إنفاق ذلك الجزء الذي لا يُخصّص لشراء السلع والخدمات التي تفي بالمتطلبات الاستهلاكية مباشرة، بل الذي يؤوّل إلى زيادة وسائل إنتاج تلك السلع والخدمات»¹.

وإذا خرجنا من التعريف الأكاديمي الاقتصادي للاستثمار، فإن ثمة تعريفاً اجتماعياً شائعاً متداولاً، فهو يُطلق على «أيّ عملٍ يُحرّك فيه رأسُ مالٍ فيعود هذا التحريك بزيادة أو فائض فوق رأس ماله الأصلي»².

إلا أن الذي يهمننا في بحثنا هو المعنى السياقي الذي أخذته كلمة الاستثمار في قولنا: (الاستثمار في اللغة العربية). والذي نستخلصه بناء على ما تقدّم أن الاستثمار في اللغة هو توظيف المال من أجل تطوير اللغة العربية أولاً، ثم تحقيق الربح المادي والمعنوي ثانياً.

ويلحظ أن هذا المفهوم الاقتصادي الاجتماعي للاستثمار قد عاد في التفكير الجمعي إلى معنى طلب التنمية بواسطة رأس المال... وهذا الاستثمار لا يقتصر على التنمية المادية، بل تعدّاه إلى التنمية البشرية والاجتماعية، فصرنا نسمع عبارات من مثل (الاستثمار في الإنسان)، أي توظيف الأموال في تعليمه وتدريبه ليكون أكثر قدرة على الإسهام في زيادة الإنتاج لبلده، كأن يقال: إن التعليم هو استثمار في الإنسان والمواطن. كما دخلت هذه العبارة ميدان الثقافة

¹ هيئة الموسوعة العربية بدمشق، الموسوعة العربية 76:2.

² المصدر السابق 79:2.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

فصرنا نسمع عبارة (الاستثمار في اللغة). وصار الباحثون يفصلون في مفهوم الاستثمار في اللغة، فهو يعني عند بعضهم: «دعم استخدام اللغة العربية الاستخدام الأمثل وتوسيع انتشارها والإقبال عليها، وحمايتها من التهميش أو الإقصاء، أو المنافسة في جميع المؤسسات الحيوية وربطها بالمؤسسات الإنتاجية وفي العلوم والمعارف والتعليم والمؤسسات العلمية والبحثية والجامعات والصناعة والتجارة والتقنية والإدارة والاقتصاد وسوق العمل والثقافة والإعلام... بشكل يحقق السيادة والاستقلال والولاء والانتماء والوحدة الوطنية وسلامة الهوية العربية من أجل مصلحة المواطن والوطن العربي»¹.

ونحن مع من يرى أن لا مسوغ للتخوف مما قد تنثيره كلمة الاستثمار لدى بعضهم من دلالة تجارية سلبية إذ يقرنون بين مفهومي الاستثمار والاستغلال، فالكلمتان حياديتان في اللغة العربية تفيدان معنى طلب الثمار والغلة وهو شيء مشروع، ولكن بعض الأدبيات السياسية شحنت كلمة (الاستغلال) بدلالة معاصرة غير مستحبة، ولا نراها في كلمة (الاستثمار)².

ثانياً: مفهوم اللغة والهوية

اللغة كما يقول ابن جني «أصوات يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم»³ ويمكن أن نزيد على هذا التعريف بعض توضيح بأن نقول: اللغة العربية هي أصوات يعبر بها العرب عن مقاصدهم وفق منظومة لسانية محدّدة. أو هي المنظومة اللغوية المعيارية التي يتواصل بها العرب وفق أنظمتها النحوية والصرفية والدلالية.

أما (الهوية) لأي شعب، فعلى تعدّد مفاهيمها يمكن أن نرجح أنها «ذلك القدر الثابت والجوهري من السمات والقسمات العامة التي تميّز حضارته من غيرها من الحضارات»⁴.

¹ د. كوثر إبراهيم رزق، الاستثمار في اللغة في ظل الاغتراب والعولمة، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 497:8.

² ينظر اللغة العربية في أوروبا، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 556:8.

³ ابن جني، الخصائص 34:1.

⁴ د. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية: 85.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وعلى هذا فالهوية العربية هي السمات والخصائص التي تميّز الأمة العربية من غيرها من الأمم.

وهنا تظهر بجلاء العلاقة التكاملية أو التضمينية بين الهوية واللغة، ذلك أن أهم ما يميّز شعباً عما سواه هو لغته، فالأُم تُنسب إلى لغاتها غالباً، فالفرنسي هو من كانت الفرنسية لغته الأم والإسباني هو من كانت الإسبانية لغته الأم. والعربي هو من تكلم العربية، وذلك بنصّ الحديث النبوي: «ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، إنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي ألا إن العربية اللسان ألا إن العربية اللسان»¹. والأمة العربية قد تختلف في صفات وسمات بين شعوبها قليلاً أو كثيراً، ولكن الذي لا يختلف فيه هو اللغة، وكأننا نريد أن نقول: لا هوية عربية دون لغة عربية. والمقصود بالعربية هنا هو العروبة أي الأمة العربية، فلنتملّ من خلال هذا الحديث الوحدة القائمة بين العرب كأمة وبين لغتهم، إذ العروبة لسان، أي هويتنا هي لساننا العربي. والعروبة التي نعنيها هي عروبة اللسان لا عروبة الدم والجنس، ومما يقال في هذا الصدد (عروبة الإنسان في اللسان وعروبة الدم في الحصان). وقد تداخل مفهوم اللغة العربية والهوية العربية إلى درجة يمكن أن نقول عندها: إن لغتنا هوية كما أن هويتنا لغة². ويؤدي هذا بالضرورة إلى أن حماية أحد هذين الركنتين هي حماية لهما معاً، فالحفاظ على اللغة هو حفاظ على الهوية، وليس هذا في العربية فحسب، بل هو في معظم أمم العالم التي تندغم فيها لغتها بهويتها. ومن المعروف أن ثقافة الأمة هي التي تحدّد خصائصها وسماتها، وحامل هذه الثقافة هي اللغة. وإذا كان ثمة تداخل وتفاعل بين ثقافة كل أمة ولغتها، فإن ما بين ثقافة الأمة العربية ولغتها ما هو أكثر من التداخل والتفاعل، إنه التماهي بين الركنتين بسبب الوشيجة بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

أما عن أهمية اللغة العربية، فإنه إذا كانت شهادة أبنائها من أمثالنا مجروحة لأن الشخص

¹ ابن عساکر، تاریخ دمشق 224:24.

² لمزيد من التفصيل ينظر، مؤتمر العروبة والمستقبل: 65.

..... الاستثمار في اللغة العربية: ميادينه وعوائده

السويّ مجبولٌ على حب لغته وتقديرها، فإننا نجتزئ بما جاء في دائرة المعارف البريطانية «مما قاله (فرجسون): إن اللغة العربية سواء بالنسبة لعدد الناطقين بها أو إلى مدى تأثيرها تُعتبر إلى حد بعيد أعظم اللغات (السامية!) جميعاً، كما ينبغي النظر إليها كأحدى اللغات العظمى في عالم اليوم»¹ وأما عن أهمية اللغة عامة وضرورة الثقة بها لضمان استقرار المجتمع والأمة فيقول باحث كبير: «فقدان الثقة باللغة كفقْدان الثقة بالنقود يهز المجتمع من أساسه»².

ثالثاً: ميادين الاستثمار في اللغة العربية

الاستثمار في اللغة ليس مجرد شعارٍ وطني وواجبٍ قومي وديني، إنه أيضاً عمل تنموي. وإذا كان هذا الاستثمار ليس من الأنواع التي تدر عائداً مادياً وفيراً مباشراً، فإنه ذو عوائد بعيدة المدى، لأن الاستثمار في التعليم واللغة هو استثمار في الإنسان وهو أساس التقدم والإنتاج وصانعه³.

أجل، ثمة ميادين واسعة وطُرُق لاجبة لهذا النوع الجديد من الاستثمار الذي لغتنا العربية في مَسيس الحاجة إليه. ولعل أهم هذه الميادين:

1. الاستثمار في التعليم

كانت الحكومات هي الراعية للتعليم، وكانت تأخذ على عاتقها توفير التعليم المجاني والإلزامي أحياناً، لكل من هو في سن التعليم، ولكن ظروفًا طرأت جعلت كثيراً من الحكومات تنسحب من هذه المهمة العظيمة. وسُوِّغ هذا الانسحاب بعجزها عن مواكبة الأعداد الزائدة من طلبة التعليم، مما أدى إلى ازدياد عدد التلاميذ في الفصل الواحد، ونقص الخدمات في المدارس، والتقصير في توفير مستلزمات التعليم من وسائل ووسائط صارت ضرورية في

¹ د. نهلة فوزي، دور اللغة العربية في دعم المحتوى العربي، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 594:8.

² فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد: 28.

³ ينظر اللغة العربية في أوروبا، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 562:8.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

التعليم العصري، وتجلّى كل ذلك سلباً على العملية التعليمية، وهو ما أدّى إلى تدنّي مستوى مخرجات هذا التعليم في كل مراحلها. وعوّضت عن هذا الانسحاب والتخلّي بتشريع التعليم الخاص وقوّنته. وهذا ما فتح الأبواب واسعة للاستثمار في هذا الميدان. وعندما نقول بالاستثمار في التعليم فإن المراد بذلك هو التعليم باللغة العربية السليمة، لا باللهجات العامية.

ومن أهم حقول الاستثمار في هذا الميدان ما يلي:

1. إنشاء المدارس الخاصة المتطورة والجاذبة: إن تدنّي مستوى الخدمات التعليمية وتدنّي مستوى الخريجين في مدارس الدولة - كما ذكرنا - فرض بديلاً جديداً هو التعليم الخاص. وليست مهمة المدارس الخاصة أن تكون بديلاً كمّيّاً عن المدارس العمومية، بل أن تشكّل بديلاً كيفيّاً، أي أن تكون خدماتها التعليمية متطورة مواكبة للمتطلبات التربوية بدءاً من البناء والمرافق وانتهاء بطرائق التربية الحديثة، ومُروراً بالمناهج التعليمية والكتب المدرسية الجيدة مضموناً وشكلاً.

ومعروف أن ثمة مؤسسات تعليمية صارت عالميّة وعولميّة. ولكن لا يجوز الركون إلى تلك المؤسسات التعليمية المعولمة، لأنها لا تضع اللغة العربية ولا الثقافة الوطنية وتراث الأمة في أولوياتها، إذ هي تخرج أجيالاً ضعيفة الارتباط بأمتها ومجتمعها. ومن هنا تبدو الحاجة ملحّة، لأن تتولّى هذه المهمة مؤسسات تعليمية وطنية استثمارية، تلتزم ثقافة الأمة ولغتها. فنحن إمّا أن نستثمر في المدرسة الوطنية، وإما أن نترك للأجانب هذه المهمة الخطيرة ونتائجها الأكثر خطورة. وأنا لم أكن يوماً من دعاة خصخصة التعليم، ولا أن تتخلّى الدولة عن واجبها الوطني فيه، ولكن ما آلت إليه الأمور تجعلنا ننقل ما وقع، لعل في تخفيف الضغط على المدارس الحكومية ما يساعدها على تحسين أدائها ورفع مستوى خريجها الذين هم - غالباً - من أبناء الشرائح الاجتماعية غير الميسورة. وفي كل الأحوال يجب أن يكون التعليم الخاص تحت مظلة الدولة الوطنية والثقافة العربية الرصينة.

2. المدارس العربية في المهاجر الأجنبيّة: من القضايا التي تواجه العرب المهاجرين في أصقاع الأرض أن الجيل الثاني والثالث منهم بدأ يضيّع لغته العربية لغيب المدرسة

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

العربية هناك، ولذا فإن افتتاح المدارس الخاصة العربية في المهاجر الأجنبية في الغرب والشرق صار ضرورة ملحة، لا نعني بذلك أن تتوب هذه المدارس عن المدارس الحكومية في تلك البلاد، بل أن تكون إلى جانبها يتعلم فيها أبناء مهاجرين لغتنا وثقافتنا، ليكونوا سفراء لأمتهم وحضارتها في الخارج. كما يمكن افتتاح هذه المدارس الخاصة لغير الناطقين بالعربية، إذ غدا جلياً التوجُّه إلى تعلُّم العربية في كثير من بلاد العالم، ليس بين طلاب الاستشراق فحسب، بل وبين أولئك الذين يرغبون العمل في البلاد العربية حيث سوق العمالة واسعة، وكما ستكون مثل هذه المدارس مجزية مادياً إذا صدرت أنظمة وقوانين تطلب من الوافدين للعمل في البلاد العربية الإلمام بقدر معين من اللغة العربية، وإذا اعتمدت شهادة (الكفاية اللغوية العربية) (التوفل العربي)، والذي يسميه بعضهم (التتال العربي). «وقد نشرت جريدة (أندبندنت) البريطانية تقريراً تحت عنوان: انسُوا الفرنسية والصينية... العربية هي اللغة التي يجب تعلُّمها. وأوضح التقرير أن هناك أكثر من ثلاث مئة مليون شخص يتحدثون العربية في العالم، وهو ما دفع المعهد [البريطاني] للمطالبة بتعليمها في المدارس البريطانية، وأدرجت اللغة العربية على لائحة أكثر اللغات أهمية في بريطانيا بعد أن أعلن المعهد أن العربية هي ثاني أهم لغة أجنبية للحصول على العمل بعد الإسبانية»¹.

ونشير هنا إلى أنه أنشئت في البلاد الأجنبية مدارس عربية لغير الناطقين بها، ولكن الملاحظ أن تلك المدارس تغلب عليها الثقافة العربية الإسلامية السلفية والتقليدية، مما قد يسيء أحياناً إلى مفاهيم ثقافتنا ولغتنا لدى الآخر. وغني عن البيان «أن الوجود العربي في القارة العجوز والأمريكيتين لا يزال يتزايد كل يوم، وعلينا الانتباه إلى الحاجة الملحة لهذا اللون من الاستثمار لرعاية أبنائنا وإخوتنا هناك.. وإن مِثْل العائلات العربية لتدريس أبنائها في المدارس الأجنبية لا يلغي أبداً دور المدارس العربية»².

¹ اتحاد الكتاب العرب، جريدة الأسبوع الأدبي ع 1449 تاريخ 2015/7/26.

² ينظر اللغة العربية في أوروبا، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 8:558.

3. الكتاب المدرسي الإلكتروني: وهذا باب واسع من أبواب الاستثمار فمن المعروف أن الكتاب الورقي التقليدي - على أهميته واستمرار الحاجة إليه - صار بحاجة إلى أن يدعم بالنص الإلكتروني له. ولهذا فإن رقمنة الكتاب المدرسي العربي وتحويله إلى كتاب سمعي بصري يقدم المعلومة مشفوعة بالصوت والصورة والحركة واللون يفتح مجالاً واسعاً في التعليم. وسوف يكون لهذه الكتب الرقمية سوق واسعة لأنها غدت أفعال الوسائل التعليمية.

4. وسائل التعليم السمعية البصرية: إذا كانت وسائل الإيضاح التقليدية تعتمد على الرسم أو الصورة الثابتة، فإن وسائل الإيضاح الحديثة تعتمد الصور والأشكال المتحركة والملونة والناطقة، كما تعتمد الإحصاءات والبيانات، والحواسيب اللوحية والصوتية والأفلام التلفزيونية والفيديو التعليمية. وغالباً ما يُظلم التلميذ العربي الذي يتلقى تعليمه بوسائل تقليدية مُملّة ثم نقيسه بنظيره في البلاد المتطورة الذي تقدّم له المعلومة بأحدث الطرق والوسائط التقنية التي تزرع المعرفة في ذهنه وتستنبطها وتتعهدها بالرعاية والتنمية.

5. مراكز البحث والاستشراق: زاد الاهتمام باللغة العربية لدى المستعربين من مستشرقين يفدون من أوروبا وأمريكا والصين واليابان وشرقي آسيا عامة. ومن تمام إعداد المستعرب إقامته في البلدان العربية مدة من الزمن يتدرب فيها على ممارسة اللغة العربية ويعايش الحضارة العربية والواقع العربي.

ومن المؤسف أن هؤلاء المستعربين من باحثين وطلّاب لا يجدون في الوطن العربي مراكز يحلّون فيها، تقدّم لهم الخدمات اللغوية والعلمية والسياحية والمعاشية التي يحتاج إليها هؤلاء الطلاب والباحثون، ويذهب قسم كبير منهم إلى إسرائيل لوجود مثل هذه المراكز¹، للبحث في اللغة العبرية، والعربية أيضاً. ولا شك في أن إقامة مثل هذه المراكز هي مشروع استثماري بالمقاييس التجارية واللغوية. لقد نجحت بلدان عديدة في أن تجعل من بلدانها مقاصد للمصطافين وهي من أعلى درجات العالم حرارة في الصيف، وهو شيء تُغبط عليه،

¹ المصدر السابق 8:561.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

أفلا نستطيع أن نجعل في بعض مدننا العربية العريقة مراكز لخدمات الاستشراق تعلم فيها العربية للراغبين، ونربطها بمراكز الاستشراق الأصلية في بلدانها. أجل، ثمّة معاهد لتعليم الأجانب في بعض البلاد العربية، ولكنّ الانتقال من فكرة المدارس والمعاهد إلى فكرة مراكز استثمارية علمية وخدمية وسياحية متكاملة تستقطب الطلاب والباحثين والمستعربين هي خطوة رائدة في الاستثمار في اللغة والثقافة.

6. معاهد الترجمة: مع ازدياد الحاجة إلى الترجمة في المنظّمات الدوليّة والمؤسّسات العلمية والاقتصادية، فإن إنشاء معاهد للترجمة المتخصصة بأنواعها التحريرية والفورية وغيرها، يمكن أن تعد مشاريع استثمارية، ولا يقلل من أهميتها أن ثمة معاهد عالية للترجمة في الوطن العربي في الجزائر والمغرب وسورية والسعودية، ولكن شكوى المنظمات الدولية وغيرها من قلة عدد المؤهلين تأهيلاً عالياً في أنواع الترجمة تدل على وجود حاجة لمثل هذه المعاهد. ومعروف أن كثيراً من الطلبة ينتسبون إلى معاهد الترجمة العالية مقابل أجور أو أقساط سنوية.

2. الاستثمار في الإعلام

تشير دراسات إعلامية إلى أن اللغة العربية هي الرابعة في محطات الإذاعة والتلفزة العالمية بعد الانكليزية والفرنسية والروسية¹.

وفي الوطن العربي ما يزيد على مئتي قناة تلفزيونية بين جادة وغيرها. وتبث هذه الفضائيات على مدار أربع وعشرين ساعة، وهي بحاجة إلى برامج تملأ بها هذا الوقت الطويل. وإذا كان كثيرون يستثمرون في الإعلام الترفيهي والفني والدعائي، فإن ما هو أجدى وأنفع للأمة الاستثمار في البرامج الإعلامية العلمية والتعليمية والتوعوية. نعم قد لا يكون العائد المادي في الإعلام العلمي والتعليمي على المدى القريب كعائد ما سواه من أنواع الاستثمار الإعلامي

¹ د. كوثر إبراهيم رزق، الاستثمار في اللغة في ظل الاغتراب والعولمة، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 503:8 عن كلفي 2010.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الذي ذكرنا، ولكنه عائد مقبول، وقد يفوق مستقبلاً ما سواه أو يعدله.

وسوف نستعرض بعض مجالات الاستثمار في اللغة العربية في الإعلام، ولاسيما التلفزي:

1. البرامج العلمية بالعربية: كذلك التي تبحث في البيئة أو الفضاء الخارجي أو عالم البحار أو عالم الحيوان أو الطاقات المتجددة أو التقانات المتقدمة. وهذه البرامج العلمية تجد سوقاً رائجة لها. ويتابع كثيرون مثل هذه البرامج العلمية المترجمة أو (المُدبلجة)، ونظن أن إنتاج أمثالها بلغة عربية سليمة بابٌ واسع للاستثمار في الإعلام واللغة، وربما يتذكر كثير منا بعض تلك البرامج والأفلام العلمية الاستكشافية في (عالم البحار) ومدى ما حققه من كسب.

2. برامج الأطفال بالعربية: وهي من أكثر مشاريع الاستثمار في اللغة ضرورة وأهمية. وكلنا يذكر الإقبال والرواج الذي لقيه برنامج الأطفال المعروف (افتح يا سمسم)، وكم كانت فوائده المادية واللغوية، كما نلمس اليوم تعلق أطفالنا بالقنوات التي تبث للأطفال، والتي تعتمد أساساً على أفلام الأطفال والصور المتحركة. ويمكننا أن نقدر ذلك الكسب المادي والمعنوي الذي يدره مثل هذه الأفلام والمسلسلات ولاسيما إذا وقفت في الأداء الفني واللغوي. وهو ما يقطع الطريق على بعض الشركات التجارية التي بدأت (تدبلج) أفلام الأطفال باللهجات العامية.

ومما يُعدّ من الاستثمار في برامج الأطفال الاستثمار في الصحافة الطفلية ومجلات الأطفال التي توجه لهذه الشريحة المحبوبة والمهمة من مجتمعنا. فقد شهدت مجلات أطفال معينة قبولاً وانتشاراً في كثير من بلدان الوطن العربي. وواضح أن مشروعاً استثمارياً من هذا القبيل لا يخفى مردوده المادي والمعنوي على أصحابه إذا استطاع المستثمر تقديم هذه المجلات في صورة مشوّقة جذابة.

3. البرامج الدينية التوعوية الرشيدة: إن هذا النوع من البرامج شائع وذائع، ولكن - مما يؤسف له - أن معظم تلك البرامج تتولاها وتقوم عليها جهات يغلب عليها الفكر الغيبي أو المتشدد، مما أدّى إلى نشر الأفكار الخرافية والمتطرّفة وغياب الفكر العلمي والنزعة

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

الموضوعية والمنطق الوسطي التوافقي التصالحي الذي يقوّي لُحمة الأخوة والمواطنة والسلام الأهلي، لا نعني هنا البرامج الخطابية المباشرة فحسب، بل ونعني أيضاً الأفلام والمسلسلات التي تقدم الصورة الحقيقية الطيبة عن الدين، والصورة الصحيحة للدعوة والدعاة عامة.

4. **برامج تعليم العربية لأبنائها وللناطقين بغيرها:** لقد شاع التعليم باستعمال الشابكة (الإنترنت)، سواء في الجامعات الافتراضية أو في معاهد اللغات، ونرى أن العربية لم تستفد بعد من هذه التقنية وهذه الوسيلة كما يجب، والحاجة تدعو إلى إعداد منظومة برامج متكاملة لتعليم العربية من مرحلة رياض الأطفال فالتعليم الأساسي فالثانوي. وفي هذه البرامج تقدم دروس اللغة العربية في سلسلة من الكتب الورقية والإلكترونية مع وسائط إيضاحها المشوقة. ونظن أن الاستثمار في إنتاج مثل هذه البرامج التعليمية في سلاسل أو حلقات تراعى فيها الطرائق الحديثة والمادة اللغوية السليمة المناسبة لكل فئة عمرية يمكن أن يكون استثماراً واعداً.

5. **البرامج الطبية الإرشادية باللغة العربية:** يقوم الإعلام بدور كبير في نشر الوعي الصحي من خلال برامج تلفزيونية، وأفلام توضيحية، ولهذا النوع من البرامج راعبون ومتابعون كثر، ومثل هذه البرامج لا تسهم في نشر الوعي الصحي لدى المواطن فحسب، بل وتسهم في نشر اللغة العربية العلمية وتعميمها، وتسهم بذلك في حركة الترجمة العلمية، لأن مثل هذه البرامج هي - غالباً - ترجمة لمثيلاتها في اللغات الأجنبية.

6. **الأفلام الوثائقية والتاريخية:** وهي ضرب من الاستثمار في اللغة أيضاً، إذ إن هذا النوع من الأفلام لا يمكن أن يقدم إلا بلغة عربية سليمة ليتسنى ترويجه وتسويقه في الوطن العربي كله على تعدد لهجاته المحلية. وهذا النوع من الأفلام مما يسهم في نشر لغة عربية مبسطة مباشرة، لأنها هي المؤهلة فنياً وواقعياً لتكون لغة التوصيل والتواصل بين أوسع شريحة من المواطنين العرب.

3. الاستثمار في المعلوماتية

والذي نعنيه بالمعلوماتية - هنا - تطبيقاتها في اللغة العربية، إذ من المعروف أن علوم المعلوماتية تشمل ميادين واسعة متعدّدة، بدءاً من التصميم والتصنيع وانتهاء بالتطبيقات. وما يهمنا نحن في هذا السياق هو تطبيقات المعلوماتية وتقاناتها على اللغة العربية، والاستثمار في هذه التطبيقات. وقد كان للغات البشرية ومنها العربية حظ وافر من تطبيقات تقانات المعلوماتية. ولعل أهم حقول استثمار المعلوماتية في اللغة العربية ما يلي:

1. المكتبة الإلكترونية العربية الجامعة: «المكتبة الإلكترونية هي المكتبة التي تتوفر على الكتب والنصوص والوثائق بشكل رقمي، سواء أكانت مخزّنة على أقراص مدمجة أو ذواكر أو محمّلة على موقع إلكتروني خاص على الشبكة (الانترنت)»¹.

وقد أنشئت عدة مكتبات عربية إلكترونية حتى الآن، بعضها باسم مكتبة، وآخر باسم موقع، وثالث باسم برنامج، ورابع باسم موسوعة... وكلها في المحصلة مكتبات إلكترونية صغيرة أو كبيرة. وقد أدّت هذه المكتبات أو المواقع دوراً حسناً في خدمة الباحثين العرب، كالمكتبة الشاملة وموقع شكاة الإسلامية، وموقع الورّاق، وموقع يعسوب، وموقع الألوكة وموسوعة الشعر العربي والموسوعة الشعرية.. وأمثالها مما أعترز عن عدم ذكرها لجهالتي بها كلها، وهي تستحق شكراً وثناء على ما قدّمت وتقدم للقارئ العربي من:

- توفير كمّ كبير من البيانات والمعلومات في مكان واحد كموقع أو قرص.
- اختصار الوقت والجهد في البحث والنقّص.
- إتاحة نشر كتب قيّمة لم يتهيأ لمؤلفيها نشرها ورقياً لسبب أو لآخر.
- زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة...

ولكن هذه المكتبات الإلكترونية لا تخلو من سلبيات منها:

¹ د. محمد حسان الطيان، المكتبة الإلكترونية صفحة 3. من أبحاث المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق - اللغة العربية في عصر المعلوماتية - دمشق 2006.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

- أن كثيراً من محتويات هذه المكتبات ليست محققة تحقيقاً علمياً، ويكثر فيها التصحيف والتغيير مما يُضعف من مقبولية الوثائق منها.
 - ثمة عيوب في التنضيد، أو في المطبوع المنقول منه كالانقطاع بين الصفحات والنقطع في فقرات الفصل الواحد.
 - معظم محتويات هذه المكتبات لا تتوافق مع المطبوع من حيث ترقيم الصفحات والفصول مما يصعب العودة إلى النسخة الورقية للتحقق أو التوثيق.
 - الطبيعة غير الموضوعية وغير العلمية لمعظم أو كل المكتبات الإلكترونية، فكل جهة تمول مكتبة إلكترونية أو تشرف عليها لها أهداف خاصة بها، ولذا فهي لا تفسح المجال أمام الكتب التي لا تتفق وفلسفتها أو مذهبها، فبعض المكتبات منحاز إلى التراث انحيازاً تاماً فلا تحمّل الكتب المعاصرة حتى ولو كانت لأدباء كبار أمثال الرافعي وطه حسين وميخائيل نعيمة، أو لشعراء كبار كالقباني والسيّاب والبردوني. وبعضها منحاز إلى الحداثة انحيازاً طاعياً، فلا يحمّل إلا ما هو معاصر ولو كان معادياً لثوابت الأمة.
 - معظم هذه المكتبات لا تحتكم إلى الحاجات الفعلية للمجتمع العربي، بل تخضع لسلطة الماضي التراثية على ما كانت، أو سلطة الحاضر الوصائية.
- ولذا فإننا ندعو في إطار الاستثمار في اللغة العربية إلى إنشاء المكتبة العربية الإلكترونية الجامعة التي تتخلص من سلبيات المكتبات الإلكترونية القائمة. ويؤمل منها أن تضمّ عشرات الآلاف من الكتب العربية التراثية والمعاصرة وفق منهج في الاختيار يقوم على الموضوعية والحيادية والحداثة والمستقبلية. ونعتقد جازمين أن هذه المكتبة العربية الإلكترونية الجامعة ستمثل في حال إنجازها عصرَ التدوين الثاني للغة العربية¹. وبها يؤمن إلى الأبد التخوف من ضياع الثروة اللغوية والأدبية والمعرفية العربية عامة.

¹ لمزيد من التفصيل ينظر: د. ممدوح خسارة، المكتبة العربية الإلكترونية الجامعة عصر التدوين الثقافي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 3/87 صفحة 661-686. وعصر التدوين الأول هو عصر جمع اللغة من القبائل والبادي.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

2. مدونة اللغة العربية: من المشاريع اللغوية الاستثمارية الضرورية والممكنة إنشاء مدونة اللغة العربية.

«والمدونات هي نصوص لغوية ضخمة تمثل اللغة بوجه عام، ولغرض أن تمثل المدونة نصوص اللغة يجب أن تحوي كمّاً هائلاً منها بشكل يمثل حقّاً زمنية متعدّدة، لكي تحوي معلومات عن تطور اللغة العربية ومفرداتها، ويجب أن تحوي كل فروع العلم من تخصصات علمية وإنسانية، كما يجب أن تحوي النصوص التراثية والنصوص الحديثة من صحافة وكتب حديثة وقديمة ودواوين شعر وغيرها»¹. فغرض المدونة وضع قاعدة معطيات وبيانات تساعد على تطوير المعاجم، لأن اللغة في كل زمان هي أوسع من معاجمها، والناس يسبقون معاجمهم التي تصوّر اللغة في زمن معيّن. «والنصوص والسياقات في المدونة هي التي يعتمد عليها في تحديد معاني المفردات ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم الموجودة»².

ثمّة مدونة للغة العربية هي مدونة (علم) للدكتور عدنان عيدان وفريقه «وهي ملفٌ إلكتروني يضمّ نحو مليار كلمة، والعمل جارٍ للوصول بها إلى عشرة مليارات كلمة، وهي تهدف إلى وضع بنية أساسية (تحتيّة) للغة العربية قديمها وحديثها، مما يجعلها قاعدة معلومات وبيانات غزيرة لأي عمل لغوي معاصر، كما لصناعة المعجمية والدراسات الدلالية والأسلوبية»³.

وقد أشار باحثون إلى أن «من صعوبات إنشاء المدونة اللغوية العربية عدم توفر المال اللازم لتأهيل العناصر البشرية الخبيرة والكافية، وعدم توفر محركات البحث بالعربية»⁴. أي إن مجال الاستثمار مفتوح لهذا النوع من المشاريع اللغوية حيث لا ينقصها إلا التمويل.

وهذا المشروع يتكامل مع المشاريع اللغوية الأخرى الهامة كالمكتبة الإلكترونية العربية

¹ د. محمد زكي خضر، ندوة خطة مرجعية لمشروع مرصد اللغة العربية، مجمع دمشق 2009، ص 38.

² المصدر السابق نفسه 37.

³ د. عدنان عيدان، مدونة اللغة العربية: صفحة 2، من أبحاث المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق 2006.

⁴ د. علي القاسمي، لسانيات المدونة الحاسوبية صفحة 34، من أبحاث المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق 2006.

..... الاستثمار في اللغة العربية: ميادينه وعوائده

الجامعة، ومشروع الذخيرة اللغوية التي انطلقت فكرتها الرائدة من الجزائر ومجمعها سنة (1991)، والتي تطورت إلى مؤسسة الذخيرة اللغوية التابعة لجامعة الدول العربية سنة (2008). إن مثل هذه المشاريع اللغوية ميادين واسعة الاستثمار.

3. الترجمة الآلية: الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وقد كانت الترجمة شفاهية أو كتابية لقرون طويلة، إلى أن اخترع الحاسوب وتطبيقاته اللغوية، فظهرت الترجمة البشرية بمعونة الحاسوب ثم الترجمة الآلية.

وكما هو معروف، فإن ثمة نحو خمسة عشر موقعا للترجمة الآلية بين اللغات العالمية، ومنها العربية، كموقع جوجل، وبينغ، وسيستران، وترانسلاطور، والوافي، وغريب، وهو لشركة صخر. وهذه التقنية الجديدة - وإن كانت في الوقت الحاضر دون المأمول بكثير من حيث الصحة والدقة، إلا أنها تقانة لغوية واعدة يمكن الاستثمار فيها، وهي في حال نجاحها ستكون مجزية بالنظر إلى الحاجة للترجمة إلى العربية ومنها، ومعروف لدى الباحثين ضالة ما يترجم إلى العربية، ومنها، حتى صار التقصير في ترجمة وثائق الأمم المتحدة إلى العربية ومنها مصدر إقلاق يهدد استمرار العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة.

«والترجمة الآلية - كما يعرف الخبراء - تحتاج إلى برامج تحليل صرفي وتحليل نحوي وبرامج العبارات الاصطلاحية وبرامج العبارات المسكوكة والعبارات البلاغية»¹، وبرامج المتلازمات اللفظية، وكل ذلك مشاريع استثمار لغوي سيكون لها منافع علمية وعوائد مجزية في حال تطور الترجمة الآلية وإثبات نجاحها. ومن المعروف أن بعض مواقع الترجمة الآلية صارت مأجورة الخدمات.

4. حوسبة اللغة العربية: العمل على حوسبة اللغة العربية والبحوث فيها، أدّى إلى ظهور علم جديد يجمع بين اللغة والمعلوماتية هو علم (اللغويات الحاسوبية).

وتجدر الإشارة إلى بعض الملتقيات والندوات التي كانت حوسبة العربية جوهر عملها،

¹ د. محمد زكي خضر، اللغة العربية والترجمة الآلية، مجلة التعريب ع 43، صفحة 242.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ومنها:

- ندوة المركز العربي للتنسيق والتخطيط العلمي والتقني - المغرب (1983).
- ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسوب- الكويت (1985).
- مؤتمر الكويت للحاسوب (1989).
- الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني للعام (1996).
- وثمة كتب عدة حول هذا الموضوع¹.

وقد انتقلت هذه الجهود التطويرية إلى حيز التطبيق العملي، فظهرت برامج لغوية حاسوبية نشير منها إلى:

- برنامج نظام التحليل الصرفي باستخدام الحاسوب².
- برنامج التحليل الصرفي باستخدام الحاسوب³.
- نظام الاشتقاق والتصريف في اللغة العربية⁴.
- برامج التصحيح الإملائي والمعرّب والمحلّ الصرفي⁵.
- برنامج (تشكيل) الذي أطلقته شركة (جوجل) لضبط النصوص العربية، والذي نجح إلى حد بعيد في الضبط الصرفي، وقليلًا في الضبط الإعرابي.
- المعجم الحاسوبي: وهو «من أهم ما تحتاج إليه اللغة العربية اليوم لدخولها عالم تقنية المعلومات بفاعلية، وهو معجم عربي إلكتروني يتضمّن كل مفردات اللغة العربية على وجه يسهّل التعامل مع مفرداتها في كافة التطبيقات ذات العلاقة. وإن السبب في عدم إنجاز مثل هذا المعجم حتى الآن هو عدم وجود جهة علمية ذات قدرة مالية على مستوى العالم

¹ من هذه الكتب كما هو معروف: اللغة العربية والحاسوب للدكتور نبيل علي. والحاسوب واللغة العربية لنياب العجيلي.

² وهو للباحث يحيى هلال.

³ وهو للباحث مأمون خطاب وزميله.

⁴ وهو للباحث المجمعى مروان بواب ومشاركه.

⁵ بنظر د. نعيمة بوزيدي، اللغة العربية والحاسوب، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 2008:3-209.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

العربي تأخذ على عاتقها القيام بمثل هذا المشروع الضخم والبالغ الأهمية¹. وثمة مشروع واضح ومتكامل لمثل هذا المعجم الحاسوبي قُدِّم فيه بحث قيم وهو ما زال ينتظر مؤسسة علمية استثمارية لتعمل على إنجازه². كما أن ثمة جهوداً علمية دؤوبة في برامج تعرّف الكلام العربي وتحويل الكلام المكتوب إلى منطوق وبالعكس.

ويجدر التنبُّه على أنه «لا يجوز أو لا يحسن أن يترك أمر البرمجيات الحاسوبية العربية بيد الشركات ومراكز البحوث الغربية»³، ونحن، وإن كنا نرحب بأي إنجاز لخدمة اللغة العربية ومن أي جهة كان، إلا أنه لا بد من التركيز بأن ما يهم تلك الشركات بالمقام الأول هو الربح المادي، أما توخي الصوابية والدقة اللغوية فهو في مقام ثانٍ عندها، وهذا ما قد يؤدي إلى إضرار بالعربية السليمة.

5. محركات البحث في النصوص العربية: «محرك البحث عبارة عن برنامج حاسوبي صُمِّم لمساعدة مستعمله على البحث في مدوِّنة حاسوبية»⁴ فهو يمكن القارئ من الوصول إلى المعلومة المطلوبة بسهولة ويُسر. ونظن أن شركات تقانة المعلوماتية العربية التي أنجزت محركات بحث مثل محرك البحث (عربي) و(الخوارزمي) وأمثالها⁵ تعمل على تطوير محركات بحثها لتواكب متطلَّبات الاستخدام المثلى. وليس بوسعي - باحثاً لغوياً - الخوض في مسألة علمية تقانية متقدِّمة كهذه، فخبراء المعلوماتية هم المؤهلون للنظر فيها.

¹ أ. مروان البواب، المعجم الحاسوبي: 15 من أبحاث المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق (اللغة العربية في عصر المعلوماتية) (2009).

² المصدر السابق.

³ د. نعيمة بو زيدي، كتاب المؤتمر الدولي الأول للغة العربية 2012:3.

⁴ د. علي القاسمي، لسانيات المدونة الحاسوبية: 13، من أبحاث المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق (اللغة العربية في عصر المعلوماتية).

⁵ أ. مروان البواب، محركات البحث في النصوص العربية وصفحات الشائكة، مجلة الحياة الفكرية دمشق ع 2: 49 (2009)م.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

والمأمول أن يكون للعربية محركات بحث تضارع محركات البحث العالمية كمحرك البحث لشركة (غوغل) وغيرها.

صحيح أن محركات البحث العربية ما تزال في بداياتها، إلا أننا ننظر بالتقدير والاعتزاز لما وصلت إليه حتى الآن.

6. برامج تعليم العربية على الشبابة لأبنائها وللناطقين بغيرها: شاع التعليم باستعمال الشبابة (الإنترنت)، سواء في الجامعات الافتراضية أو في المعاهد. ولم تستفد العربية بعد من هذه التقانة التعليمية كما يجب. مع أن الحاجة إليها قوية. وفي هذه البرامج يمكن تقديم اللغة العربية في سلسلة من الكتب الإلكترونية على مواقع شبكية أو على أقراص مدمجة. ونظن أن الاستثمار في إنتاج مثل هذه البرامج التعليمية في حلقات تراعى فيها الطرائق التربوية الحديثة، والإخراج الفني اللائق والمادة اللغوية المناسبة لكل فئة عمرية، يمكن أن تكون استثماراً واعداً. وقد سمعنا بشائر هذا المشروع في المؤتمر الوطني الأول للمحتوى العربي الرقمي الذي عقد في دمشق سنة (2009)، حيث جاء فيه أن برنامج تعليم العربية باستعمال الشبابة قد بدأ إعداده، وسوف يوضع في الخدمة عمّا قريب¹.

4. الاستثمار في التعريب والترجمة

ما نعنیه بالتعريب هنا هو نقل العلوم إلى اللغة العربية وجعل التعليم بالعربية في جميع مراحله. وإذا كنا نلج دائماً على تعريب التعليم «فليس هناك إلحاح أكثر من إلحاح تقارير هيئة اليونسكو التي توصي باستعمال اللغة الأصلية في التعليم... ولنا في الحاضر أمثلة معاصرة لا تقبل الجدل، فهناك دول الشرق الأقصى مثل الصين واليابان وكوريا التي تقدّمت تكنولوجياً باستعمال لغاتها الأصلية في التعليم والأبحاث والتطوير»².

¹ جريدة الثورة، دمشق العدد 13957 بتاريخ 2009/6/28.

² د. يحيى عبد الرؤوف خليل، اللغة العربية ضرورة للحاق بقاطرة الهندسة والتكنولوجيا كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 3:545.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

والعلاقة بين الترجمة والتعريب علاقة جدلية تفاعلية إذ لا يمكن الحديث عن واحد منهما دون الآخر، إذ يقتضي نقل العلوم والتعليم إلى العربية ترجمة الكتب العلمية المرجعية والمنهجية إلى اللغة العربية. لأننا مازلنا في مرحلة استيراد العلم لا إنتاجه كما في الدول المتقدمة، فنحن في حالة أخذ لا عطاء ونَقْل لا إبداع. وإلى أن نصل إلى حالة إنتاج العلم والتقانة فلا سبيل أمامنا إلا الترجمة. بل إن الحاجة إلى الترجمة تزداد حتى بعد وصول مراحل متقدمة من العلم والتقانة، بدليل أن الأمم المتقدمة علمياً وتقنياً هي الأمم الأكثر ترجمة إلى لغاتها. ولن أذكر بالأرقام المتواضعة لعدد المترجمات إلى العربية، لأنها مخجلة بالمقارنة بالدول النامية بل المتقدمة. «فهي لا تزيد على خمس ما يترجمه بلد أوربي صغير كالليونان»¹.

ولسنا بحاجة إلى كثير من التفكير في أسباب ضعف الترجمة إلى العربية، ولا إلى المبالغة في جلد الذات بما نردده كثيراً من أن الإنسان العربي لا يقرأ، فهذا كلام ليس بالدقيق تماماً، بل من الطبيعي أن تكون حركة الترجمة عندنا ضعيفة ومقلّة إذ لا سوق نافقة للمترجمات ولا سيما العلميّة منها مادامت لغة التدريس في التعليم العالي غالباً وفي كثير من التعليم الثانوي يجري بلغات أجنبية. وفي هذه الحالة، فإن أي كتاب علمي مترجم لا يباع منه في أحسن الأحوال ما يزيد على مئات النسخ في غضون خمسة أعوام، في حين أنه في حال تعريب التعليم الجامعي فإن أي كتاب مترجم في العلوم سوف يسوّق بالآلاف لأنه سيغدو مرجعاً وضرورة للحصول العلمي، وسوف نتسابق إذ ذاك مع شركات أجنبية متخصصة بترجمة الكتب العلمية، لأنها ستكون استثماراً مضمون الربح، مادام للكتاب المترجم سوق رائجة في التعليم. وقد ذكر رئيس جامعة يابانية لوفد عربي زائر أن الترجمة إلى اليابانية لا تشكل عبئاً على الجامعات في بلاده، فما إن تقرر جامعة كتاباً كمرجع في كليّاتها حتى تنبri مؤسسات النشر لترجمة ذلك الكتاب إلى اليابانية. وثمة دليل آخر يعضد ما نذهب إليه وهو أن دور النشر العربية تنهافت على طباعة أي كتاب جامعي يقرر تدريسه في جامعة من الجامعات أيّا كان مستوى ذلك الكتاب،

¹ د. محمد زكي خضر، اللغة العربية الترجمة الآلية، مجلة التعريب ع 239:43.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

في حين يشقى أصحاب المؤلفات غير المقررة للتدريس في الجامعة لنشر مؤلفاتهم أيّاً كان حظها من الجودة والجدة والأصالة.

ولذلك نقول: إذا أردتم حركة ترجمة عربية متنامية وعظيمة فالسبيل إلى ذلك هو تعريب العلوم والتعليم. ومن أهم أبواب الاستثمار في الترجمة والتعريب ما يلي:

1. ترجمة الكتب العلمية المرجعية والمنهجية: لعلّ من أهم مشاريع الاستثمار في اللغة الاستثمار في الترجمة، ولكن ذلك كما قدّمنا مرتبطٌ بتعريب العلوم والتعليم. ومع ذلك فإن الترجمة حتى في الظروف الراهنة عملٌ قد يكون مجزياً نوعاً ما. بدليل أن دور النشر تقوم بهذه المهمة كجزء من عملها. ونظنّ أن ترجمة الكتب العلمية الأجنبية المرجعية المقررة في جامعات عربية لمساعدة الطلبة في استيعاب مضمونها مهمة تستحق الجهد الصادق، وهذا ما يقوم به بجدارة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ولا حاجة لما يدعو إليه بعضهم من إنشاء مؤسسات ترجمة عربية، فالمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر هو الأولي بالدعم بعد أن أثبت كفاءة عالية في هذا المضمار، وأعظم دعم له هو تعريب التعليم العالي. وهذا ما قام به على نطاق ضيق مركز التعريب في جامعة الملك سعود عندما ترجم اثنين وعشرين مقراً مما يدرس في كلية الهندسة، وهناك نحو ثلاثة وثلاثين مقراً في قيد الطبع حالياً [أي سنة 2002]¹.

2. صناعة المعاجم المصطلحية المتخصصة: وعلى الرغم من قلة نسبة التعليم الجامعي المعرب في الوطن العربي، فإن الطلب على المعاجم المصطلحية المتخصصة هو في ازدياد، لأن هذه المعاجم ضرورة لا يستغنى عنها في ميادين الإعلام والصحافة والعلوم، إذ إنّ معظم برامجنا العلمية والوثائقية والطبية والمعلوماتية هي مترجمة، وترجمتها تعتمد على المعاجم المتخصصة، ولولا المصطلح العلمي العربي لما أمكن تقديم أيّ عمل إعلامي

¹ د. سعد القحطاني، التعريب والتخطيط اللغوي: 70.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

أو علمي ذي بال. وتزخر المكتبة العربية اليوم بالمئات من المعاجم المتخصصة. ولكن الحياة العلمية في تقدّم مُطرّد ومتزايد بسرعة مذهلة، ولذا فإن الحاجة دائمة إلى تحديث هذه المعاجم المتخصصة أو وضع الجديد منها للعلوم المستجدة أو العلوم المتفرعة عن العلوم السابقة، إذ لم يعد معجم واحد للطب كافياً بعد أن تفرّع الطب إلى عشرات الاختصاصات، ولم يعد معجم واحد للمعلوماتية وافياً بعد أن تفرّع إلى عدّة علوم فرعية. ومن المعلوم أن معاجم المصطلحات هي الحوامل المادية للمفاهيم العلمية ورموزها.

3. بنوك المصطلحات: يعرف الباحثون أن المصطلحات العلمية تتكاثر في ظلّ تقدّم العلوم وتشعبها وتزايد البحوث والتقانات التي تطرح نحو مئة مصطلح يومياً، في حين كان تقدير ما يُطرح منها نحو خمسين مصطلحاً في السبعينيات من القرن الماضي¹. ولا أزعم أن العربية تنقل كل ما يوضع من مصطلحات أجنبية جديدة، بل أظن أن نحو ربع هذه المصطلحات هو ما يدخل لغتنا بمقابلات عربية. وقد توزعت هذه الذخيرة من المصطلحات العلمية العربية على أكثر من ألف معجم تخصصي ورفقي، لكن الرجوع إليها في مصادرها صعب ومجهّد في ظل الظروف الحالية للوطن العربي، وما يوضع من عقبات أمام الكتاب العربي، فصار إلزاماً أو ضرورة أن تجمع هذه المصطلحات في بنوك مصطلحات، وهذا ما حصل فعلاً إذ أنشئ البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)² إضافة إلى بنوك أقل استيعاباً وهي بنك مصطلحات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في المغرب. وبنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني³. إن إنشاء المزيد من هذه البنوك وتحديث محتوياتها يفتح مجالاً حسناً للاستثمار في اللغة العربية، على أن تخزّن المصطلحات الموحدة، وأن يشار إلى غير الموحد منها ليصار إلى توحيده وتنميته ما أمكن ذلك.

¹ د. محمد المنجي الصيّادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: 228.

² د. سعد القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي: 15-16.

³ لمزيد من التفصيل ينظر، د. ممدوح خسارة، التعريب مؤسساته ووسائله: 122.

4. **مرصد اللغة العربية:** تنادت جهات لغوية وتدارست موضوع إنشاء مرصد للغة العربية يكون «الغرض منه تكوين مرجعية عربية عليا للمصطلحات يقوم بجمع المصطلحات وتنسيقها وتبويبها وعرضها وتحديثها»¹. ولعلَّ المهمة الأولى لهذا المرصد كما يدل اسمه - هو تتبع المصطلحات الجديدة وتسقطها من مظانها في مجالات البحوث العالمية كمجلة (نيتشر ولانسيت...) وفي الكتب العلمية الحديثة الإصدار، وفي كُتُبَات دليل الاستعمال (الكتالوجات)، وقوائم هيئات المواصفات والمقاييس في الدول العربية والتنسيق معها، لأنها هي التي تواجه - أولاً وبحكم عملها - المنتجات الجديدة لتحديد مواصفاتها وتسميتها، وذلك قبل أن تدخل المسميات الأجنبية الاستعمال اليومي، ثم إحالتها إلى بنوك المصطلحات ليسترشد بها المستهلكون وتروج بينهم قبل أن تشيع المسميات الأجنبية اقتراضاً أو تعريباً مما يجعل التخلص منها أمراً في غاية الصعوبة.

ونرى ألا يحصر عمل المرصد اللغوي في رصد المصطلحات العلمية التقنية - على أولويته - بل أن يوسع ليشمل رصد استعمالات مؤسسات الإعلام والإدارات العامة والمجتمع للغة العربية، ليصحَّح ما ثبت خطؤه ولكن في ضوء سعة اللغة ومرونتها، وكل ذلك بالتعاون والتنسيق مع المؤسسات اللغوية العلمية في الوطن العربي، وفي المقدمة منها مجامع اللغة العربية.

رابعاً: عوائد الاستثمار في اللغة

لابدَّ قبل تفصيل القول في هذه العوائد من التنبيه إلى أنه إذا كان نجاح معظم المشاريع يُقاس غالباً بعوائده الماديّة المنظورة والمباشرة، فإن الاستثمار في اللغة لا يُقاس بعوائده المادية فحسب، بل يُقاس في المقام الأول بعوائده اللاماديّة المعنوية التي نعني بها آثاره على الأمة وعلى بنيتها العليا المتمثلة في خلودها وحفظ خصائصها المميّزة لها من ثقافة ومعتقد.

¹ محمد زكي خضر، خطة مرجعية لمشروع مرصد اللغة العربية: 73 من أبحاث ندوة خطة مرجعية في مجمع دمشق (2009).

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

ومع ذلك فإن للاستثمار في اللغة كغيره من أنواع الاستثمار عوائد لا مادية وعوائد مادية.

أولاً: العوائد اللامادية للاستثمار في اللغة

نعتقد أن العوائد اللامادية الباقية أهم بكثير من العوائد المادية المباشرة الزائلة. ويجسد العائد اللامادي أو المعنوي للاستثمار في تراثنا وثقافتنا قصة زهير بن أبي سلمى الشاعر مع هرم بن سنان المرّي الوجيه الكريم، إذ فني المال الذي أخذه الشاعر وبقي الشتاء الذي ناله الوجيه المصلح، وعلى حدّ عبارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض ولدِ هرم بن سنان عندما قال لعمر متباهياً «إنا كنا نعطيه فنجزل، فقال عمر، ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم»¹. ولكن أعظم صور العوائد اللامادية المعنوية في ثقافتنا ومعتقدنا يجسدها مفهوم (الصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به) إذ إن هذين المشروعين - إن جاز التشبيه - هما نوعان من الاستثمار ذي العوائد اللامادية الدائمة.

إن كل إضافة معنوية أو اعتبارية إلى المجتمع هي جزء من الاستثمار النافع وتسمي الدراسات الاقتصادية هذه العوائد بالمنافع الاجتماعية، إذ ترى « أن الاستثمار العام ينطلق من محور النظرة الشاملة للمنافع الاقتصادية والاجتماعية التي تؤول إلى البلد كلية ولا ينحصر بحافز الربحية الضيق، كما هو في حال الاستثمار الخاص»² وغالباً ما يتحول الكسب اللامادي أو المعنوي إلى عائدٍ مادي، فالتاجر أو الصانع الذي يكتسب عائداً معنوياً في تعامله مع الآخرين، كالسمعة الطيبة أو الصدق والأمانة، سرعان ما يتحول هذا العائد المعنوي إلى عائد مادي، إذ يزداد الإقبال على إنتاجه أو خدماته ازدياداً يفضي إلى ربح وكسب مالي.

ولعلّ أهم العوائد اللامادية للاستثمار في اللغة هي:

1. بقاء الأمة واستمرارها حيّة فاعلة: وذلك أن أهم خصائص الأمم - ولاسيما العربية - هو لغتها، فبقاؤها مرهون ببقاء لغتها، وإذا كان الله تعالى قد طمأننا بحفظ الذكر الحكيم وحفظ

¹ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 21.

² هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية 2: 77.

التعريب العدد الواحد الخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

لغته، فإن بقاء الأمة العربية حيّة فاعلة يتطلب وجود لغة عربية قوية قادرة على التواصل والعطاء في ميادين الحضارة الإنسانية ولا سيما العلوم والثقافة، ولا يتحقق هذا إلا بحماية العربية السليمة ونشرها وتطويرها، والاستثمار في اللغة يؤدي في المحصلة إلى ذلك كله ومن ثمّ فهو مؤدّ حكماً إلى بقاء الأمة وخلودها بين الأمم، والذي نعنيه بالبقاء هنا هو البقاء الإيجابي الفاعل المبدع لا البقاء الصوري العضوي.

2. حفظ تراث الأمة وثقافتها: اللغة حاملة للثقافة العربية والحضارة العربية الإسلامية وهي

خزانها الفكري والقيمي. وكل ما يوصل إلى حمايتها وحفظها يوصل في الوقت نفسه إلى حفظ ثقافتها وقيمها، الإيجابية منها للاغتناء بها وتطويرها، والسلبية لتجنبها أو تغييرها.

3. حماية السيادة الوطنية والأمن الثقافي العربي: اللغة كما هو معلوم رمز للسيادة الوطنية،

والأمة التي لا تستعمل لغتها ولا تسود فيها هي أمة ناقصة السيادة، وكل الثورات العربية المعاصرة بدءاً بالثورة العربية الكبرى (1916) في الحجاز والشام إلى الثورة الجزائرية (1954)، كانت تضع استعادة اللغة العربية الأم على رأس أهدافها. والكل يعرف كيف أن الدول الاستعمارية تضع على رأس أولوياتها السياسية في المستعمرات نشر لغاتها ومحو لغة الأمة المغلوبة. ودون سيادة اللغة العربية لا يمكن الحديث عن الأمن الثقافي العربي، الذي يعدل الغذائي والمائي الذي يجنب الأمة المجاعات والكوارث، بل إن الأمن الثقافي أخطر، لأن افتقاده لا يقتل الأبدان والأجسام، بل يقتل روح الأمة المتمثلة في لغتها وتراثها وقيمها، ويسلبها أهم خصائص وجودها.

ثانياً: العوائد المادية للاستثمار في اللغة

وتشمل هذه العوائد المكاسب المادية المباشرة، وغير المباشرة وهي مكاسب على المدى البعيد. ومن أبرز هذه العوائد:

1. بناء مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة: أهم ما تعنيه هذه العبارة تمكين الأغلبية الكبرى في

المجتمع من امتلاك العلم والخبرة المؤدية إلى زيادة الإنتاج والتجديد والابتكار في شتى

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

الميادين. وهذا المجتمع يعني أن كل فرد فيه ذو معرفة متقدمة معاصرة، ومقدرة على التواصل يمكنه توظيفها لرفع مستوى أدائه في حقل من حقول الإنتاج المتنوعة. إن انتشار المعرفة والخبرة في عدد محدود من أبناء المجتمع لا يحوله إلى مجتمع معرفة، وما يحوله إلى ذلك هو أن تكون هذه المعرفة والخبرة المتقدمة متاحة للجميع وبمقدور الجميع أو الأغلبية الساحقة منهم، وهذا ما لا يمكن تحقيقه باللغة الأجنبية، لأن نشر العلم والمعرفة بلغة أجنبية غير ممكن إلا لشريحة محددة ميسورة من أبناء المجتمع، وليس لهم جميعاً، علماً بأن النظم الثقافية والاقتصادي والصناعي يحتاج إلى التواصل والتعاون بين الجميع، بدءاً من المهندس المصمم والإداري المخطط، وانتهاء بالعامل اليدوي، مروراً بالفني أو العامل الماهر. وما لم يكن هؤلاء يتكلمون لغة واحدة، وما لم يؤهلوا جميعاً بلغة وطنية علمية جامعة فلا يمكن لهم إنجاز إنتاج مشترك، ولا يتهيأ لنا هذا إلا بتعريب العلوم والتعليم الذي مداره على الاستثمار في الإنسان وفي لغته أصلاً. أجل قد تقام منشآت ثقافية متقدمة في غير مجتمعات معرفة، ولكن النتيجة أن إنتاج تلك المؤسسات لن ينعكس على المجتمع عامة، ولن تتجذر فيه الخبرة والمعرفة التي تصير جزءاً من بنيته، أي تبقى الخبرة غريبة ويكون المواطن مجرد بئز في مأكنة، يقوم بما يوكل إليه آلياً، ويبقى المجتمع سوقاً لليد العاملة أو للاستهلاك، وليس منبعاً للإنتاج والابتكار. وإلى أبعد من هذا يذهب باحثون كبار إذ يقولون: «إن تعليم اللغات الأجنبية بدلاً من اللغة العربية يمثل عائقاً في سبيل بناء مجتمع المعرفة، لأن من شأنه أن يقوى النزعة العلمية الطبقية والمعرفية، وصناعة نخبة عالمية مؤهلة للهجرة سلفاً، فيكون الاستثمار خاسراً، لأن المنتج وهو الطبقة الخبيرة يعطى للآخر مجاناً»¹ إن اقتصاد المعرفة يقوم على مجتمع المعرفة، مجتمع التطور العلمي والثقافي. والدول الآن تبيع الخبرة والمعلومة كما تبيع سائر السلع والمنتجات، واللغة العربية هي وسيلتنا لبناء مجتمع المعرفة وهي لهذا وسيلتنا لبناء

¹ د. محمد مراياتي، الأبعاد الاقتصادية للتوثيق الرقمي باللغة العربية، من أبحاث ندوة رقمنة وتطوير المحتوى العربي، الكويت (2006).

التعريب العدد الواحد الخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

اقتصاد المعرفة.

2. **ريعية التعليم:** ثمة عوائد مادية مضمونة للاستثمار في التعليم، وذلك يعود - كما سبق - لعوامل عدة منها.

- تدني مستوى التعليم الحكومي العمومي - كما ذكرنا - وهو ما جعل كثيراً من الناس يفضلون تعليم أولادهم في مدارس خاصة.
- ازدياد أعداد المهاجرين من الوطن العربي إلى الغرب، وحاجة هؤلاء إلى تعليم أبنائهم.
- الحاجة إلى تعلم اللغة العربية وسيلة عمل في البلاد العربية.
- سعة السوق العربية لغة واقتصاداً، وهو ما يدفع أعداداً متزايدة لتعلمها. ولولا أن هذا الميدان مريح لما رأينا شركات أجنبية وعربية تتناهب التعليم الخاص في كل البلاد العربية ولا سيما دول الخليج العربية التي تحرم أبناء العاملين العرب فيها من التعلم في مدارسها!!

3. **الإسهام في تسويق المنتجات والبضائع العربية:** إن معرفة لغة أمة ما من دوافع شراء بضائع وبيع تلك الأمة. «إذ تعد اللغة أداة للتسويق. قال أحد الرؤساء الفرنسيين: علموهم الفرنسية يستهلكوا فرنسيّاً... وقال المستشار الألماني السابق (ويلي براندت): إذا أردتُ أن أبيعك بضاعتي يجب عليّ أن أتحدث لغتك وإذا أردتُ أن تبيعني بضاعتك فعليك أن تتحدث بالألمانية... وفي هذين القولين لسانة كبار إقرار بقيمة اللغة لضمان السوق للبضاعة المادية المراد تسويقها»¹.

4. **إغناء المحتوى العربي الرقمي على الشبكة (الإنترنت):** ما نعينه بالمحتوى الرقمي العربي هو مجموع ما ينشر على الشبكة سواء في المكتبات الإلكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي أو المدونات. ومما يوصف به المحتوى الرقمي العربي على الشبكة أنه ضعيف من حيث الكم والكيف.

¹ د. محمد عبد العظيم، اللغة عامل خطي من النمو الاقتصادي، مجلة التعريب ع 193:34.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

وتتنشط مؤسسات رسمية وأهلية في إغناء هذا المحتوى. «وقد أكد إعلان مبادئ القمة العالمية لمجتمع المعلومات الأهمية القصوى لصناعة المحتوى الرقمي وضرورة إنتاج محتوى باللغات الوطنية ملبياً لمطالب الجماعات المحلية»¹.

قدرت دراسات أن حجم المحتوى الرقمي العالمي سنة (2011م) كان (47) مليار صفحة، العربي منها (165) مليون صفحة أي بنسبة (3%) من المحتوى العالمي، في حين كانت سنة (2007م) لا تتجاوز (1%). ويشهد المحتوى الرقمي العربي زيادة مطردة أسرع من نسبة زيادة المحتوى العالمي، إذ تضاعف المحتوى العربي في عشر سنوات نحو (200) مرة². وترجع هذه الزيادة إلى أن المحتوى العالمي قارب الإشباع، في حين ما يزال المحتوى العربي بعيداً من ذلك. على أن ثمة تفاوتاً في الأرقام التي تقدمها الدراسات، إذ تقدر دراسة أخرى أن نسبة المحتوى العربي الرقمي على الشبكة ستبلغ (5%) أي (330) مليون صفحة عربية من مجموع (60) مليار صفحة عالمية. أما نسبة المحتوى العربي في المكتبة الرقمية العربية فهو (8%) من إجمالي مجموع المكتبات الرقمية العالمية³، وهي نسبة مرضية كمياً.

وإذا كان المحتوى الرقمي العربي قد بلغ تقريباً في هذه الأيام نسبة تطابق نسبة العرب في العالم. إلا أن المشكلة تبقى في كميّة هذا المحتوى التي تعطيها قيمته الحقيقية ودوره في بناء مجتمع المعرفة العربي، وذلك أن ثلث المحتوى العربي على الشبكة هو مواقع دردشة ومعلومات غير مدققة⁴، كما أن محتويات المكتبات العربية الإلكترونية تهتم في معظمها بالتراث العربي الإسلامي أكثر بكثير من اهتمامها في إثراء ودعم الإنتاج الفكري والعلمي بالعربية.

ولكي يكون المحتوى الرقمي العربي على الشبكة ذا قيمة مضافة لا بدّ من أن تتعاضد فيه

¹ د. نبيل علي، بحث مقدم إلى ندوة رَقْمَنَة وتطوير المحتوى العربي الرقمي، الكويت (2006).

² د. نهلة فوزي علي، دور اللغة في دعم المحتوى الرقمي على الشبكة - كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 590:8.

³ د. نهلة فوزي علي، دور اللغة في دعم المحتوى الرقمي على الشبكة، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية 590:8.

⁴ المصدر السابق نفسه.

التعريب العدد الواحد الخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

البحوث والدراسات والمؤلفات العلمية باللغة العربية. وهنا نعود مرة ثانية وثالثة إلى مرتبط الفرس - كما يقول العرب - وهو أن مفتاح تطوير اللغة العربية في أي مجال إنما هو تعريب العلوم والتعليم، فما يكتب من مباحث علمية وفكرية باللغة العربية هو ما يرفع منسوب المحتوى الرقمي العربي كفاءاً، وهو ما يفتقر إليه، لأن طلابنا - وقد درسوا العلوم باللغات الأجنبية - يصعب عليهم الكتابة العلمية بالعربية أو تتقل.

خامساً: خلاصة البحث

نخلص من كل ما تقدم إلى ما يلي:

1. قوة اللغة دليل على قوة أمتها، فما من أمة قوية إلا وكانت لغتها كذلك، وتقوية اللغة منوطة بالعلميين واللغويين والاقتصاديين وغيرهم من أبناء الأمة القادرين على تطويرها وعصرنتها.
2. عوائد الاستثمار اللامادية المعنوية أبقى من العوائد المادية، وأهمها: تحقيق بقاء الأمة ووجودها، وصون ثقافتها وخصائصها وقيمتها.
3. عوائد الاستثمار المادية في اللغة العربية ممكنة ومجزية إلى حدٍ معقول إذا ما أحسن توجيهها ولا سيما في بناء اقتصاد المعرفة وفي التعليم.
4. الاستثمار في اللغة العربية هو استثمار في الإنسان العربي الذي يجب إعداده بكل الوسائل الممكنة لبناء مجتمع المعرفة المنتج المبدع.
5. لا تطوير للأمة إلا بتطوير لغتها، لتصبح لغة علم وثقافة ومعاصرة، ولن تصبح كذلك إلا إذا كان التعليم في مختلف مراحل بلغة الأمة التي هي العربية، فالاستثمار في تعريب التعليم هو استثمار في التقدم العلمي النقاني.
6. التخلف اللغوي في بلادنا جزء من التخلف العام، وتقدم اللغة العربية مرتبط بالتقدم في ميادين العلم والصناعة والاقتصاد والسياسة وغيرها.

..... الاستثمار في اللغة العربية: مبادئه وعوائده

المصادر والمراجع

الكتب:

1. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تح عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والتوزيع.
2. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، د. محمد المنجي الصيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت (1984).
3. التعريب ونظرية التخطيط التربوي، سعد هادي القحطاني، مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت (2002).
4. التعريب مؤسساته ووسائله، د. ممدوح خسارة، مؤسسة الرسالة، دمشق (1999).
5. الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 4 (د.ت.).
6. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة (1423هـ).
7. كتاب المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، بيروت (2012).
8. كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي (2015).
9. كتاب مؤتمر العروبة والمستقبل، دمشق (2009).
10. اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت (2000).
11. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار الفكر العربي، القاهرة (2005).
12. معجم لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط 3، بيروت (1414هـ).
13. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الناشر دار الدعوة، (د.ت.).
14. الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، ط 1 دمشق (2003).

أبحاث المؤتمرات:

1. المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق، اللغة العربية في عصر المعلوماتية (2006).
2. الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني (1996).

أبحاث الندوات:

1. ندوة خطة مرجعية لمشروع مرصد اللغة العربية، دمشق (2009).
2. ندوة رقمنة وتطوير المحتوى العربي، الكويت (2006).

الدوريات:

1. جريدة الأسبوع الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق ع 1449 (2015).

التعريب العدد الواحد الخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

2. جريدة الثورة، دمشق، ع 13957 (2009).
3. مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر، دمشق ع 43 (2012).
4. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج 3/873 (2012).
5. مجلة الحياة الفكرية، دمشق، ع 2 (2009).

لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

د. علي القاسمي

خبير في مكتب تنسيق التعريب

1. مفاهيم وتعريفات أساسية

1.1. منظومة الثقافة

تتألف منظومة الثقافة في المجتمع من عدة أنظمة مترابطة متكاملة في مقدمتها التربية والتعليم والإعلام. وللمنظومة والنظام، من حيث البنية، مفهوم واحد، فهما عبارة عن كُلاً مركب من عناصر بينها علاقات تكاملية وتبادلية التأثير، أي يؤثر بعضها في بعض، وتكون وحدة واحدة ذات حدود معينة، ولها وظيفة تؤديها وهدف تحقّقه (1, CEDIP). بيد أن (المنظومة)، من الناحية الكمية أكبر من النظام، إذ إنها تضم عدة أنظمة.

وقد يتألف النظام، هو الآخر، من نظم صغيرة. فالنظام التعليمي، مثلاً، يتكوّن من نظام الإدارة ونظام المناهج ونظام الامتحانات، إلخ...

وهناك تصنيفات نوعية عديدة للأنظمة. فالنظام يوصف بأنه نظام مفتوح إذا كان ذا صلة وثيقة بمجتمعه وبيئته ويتفاعل معهما، فيكون قابلاً للمراجعة والتعديل والتطوير. ويوصف النظام بأنه مغلق إذا كان لا يسمح بالتفاعل مع مجتمعه وبيئته وغير قابل للتغيير والتطوير.

ومن ناحية أخرى، يصنّف النظام بأنه بشري (أي من صنع البشر) أو طبيعي (وُجد بصورة طبيعية). فمنظومة الثقافة والأنظمة المكوّنة لها هي أنظمة بشرية من إنتاج الإنسان نفسه؛ والشجرة والأنهار والغابة الطبيعية هي أنظمة طبيعية. ولكن عندما يقرر رجل إنشاء مزرعة من أشجار الزيتون، مثلاً، فإن هذه المزرعة نظام بشري وإن كانت عناصره مؤلفة

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

من أنظمة طبيعية. ومعروف أن الإنسان كان قديماً عنصراً من عناصر الطبيعة، ثم انفصل عنها وأخذ يسخرها لمصلحته وترقية حياته بالثقافة.

وعلى الرغم من وجود مئات التعريفات للثقافة، فإنه "ينبغي أن يُنظر إليها بوصفها مجمل السمات المميزة، الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، التي يتصف بها مجتمع أو مجموعة اجتماعية وعلى أنها تشمل، إلى جانب الفنون والآداب، طرائق الحياة، وأساليب العيش معاً، ونظم القيم، والتقاليد، والمعتقدات". وهو التعريف الذي اعتمده إعلان اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي عام 2001، (اليونسكو، 1).

2.1. سمات النظام

- من أبرز سمات النظام أو المنظومة ما يأتي:
- أ. للمنظومة حدودٌ تميزها عن المحيط والبيئة حولها.
 - ب. ومع ذلك، فإن المنظومة لا تستطيع أن تكون خارج بيئتها بالمرة، فهي مرتبطة بها من خلال علاقات تبادلية.
 - ج. تتميز الأنظمة التي تتكوّن منها المنظومة، بعضها عن بعض، بالوظائف التي تؤديها والأهداف التي تتوخاها، على الرغم من الترابط والتكامل بينها.
 - د. إن فحص أي نظام من أنظمة المنظومة لا يجري بمعزل عن الأنظمة الأخرى، بسبب وجود العلاقات التكاملية والتبادلية بينها. فإذا فحصنا تأثير أ في ب، ينبغي كذلك فحص تأثير ب في أ.
 - هـ. تخضع العلاقات التبادلية والتكاملية بين أنظمة المنظومة لقوانين منطقية ورياضية يمكن التوصل إليها من طريقة عمل المنظومة ونوعية العناصر المكوّنة لها.
 - و. تتميز المنظومة المفتوحة بقابليتها للمراجعة والتعديل والتطوير.

3.1. أسلوب تحليل النظم

يمكن دراسة أي نظام أو أية منظومة بأسلوب تحليل النظم، الذي كان في الأصل أسلوباً

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مستعملاً في فحص المعدّات الهندسية المعقّدة، ثم أصبح يُستعمل في فحص الأنظمة في مجالات مختلفة مثل فحص الكائن الحي، وفحص المؤسسات الاجتماعية، وفحص النظم الإلكترونية، وغيرها. ويُستعمل هذا الأسلوب لحلّ مشكلةٍ ما تطرأ على النظام، عن طريق تجزئة النظام إلى العناصر المكوّنة له، ودراسة عمل كل عنصر على حدة، لمعرفة مدى تفاعله مع العناصر الأخرى. وغاية هذا الأسلوب تحسين أداء النظام ليكون أشد فاعلية وأكبر مردوداً.

فأسلوب "تحليل النظم" يساعدنا على التحقق من أمور ثلاثة:

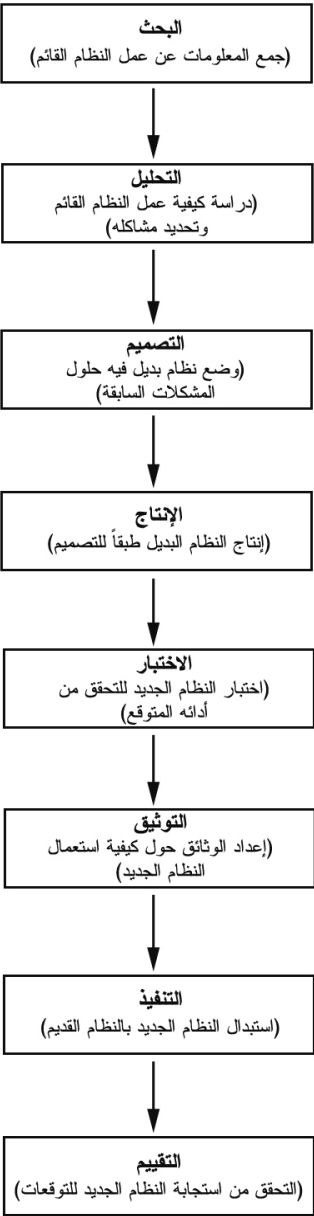
أ. قدرة كل عنصر من عناصر النظام (أو كل نظام من أنظمة المنظومة) على ممارسة وظيفته والقيام بواجباته.

ب. مدى الترابط والتفاعل بين عناصر النظام (أو بين أنظمة المنظومة).

ج. إمكان بلوغ كلّ عنصر الأهداف التي يتوخاها، ومن ثمّ قدرة المنظومة على تحقيق غاياتها.

وهكذا يساعدنا أسلوب تحليل النظم على الوقوف على مكن الخلل لتصحيحه أو موضع النقص لإكماله باقتراح نظام أفضل (3, EGCSE ICT). وفي وسعنا تلخيص الخطوات التي يتبعها أسلوب تحليل النظم بالشكل التالي:

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية



2. النظام الإعلامي في البلدان العربية

في ضوء ما تقدم، سنقوم بدراسة النظام الإعلامي في البلدان العربية للوقوف على نقاط القوة والضعف فيه، ومدى تفاعله مع بقية عناصر منظومة الثقافة وقدرته على تحقيق الأهداف المرسومة.

2.1. مفهوم وسائل الإعلام

وسائل الإعلام هي أدوات تقنية تُستعمل للاتصال بالناس بواسطة اللغة، وتزويدهم بالمعلومات والأخبار والأفكار لتحقيق أهداف معينة. ويُطلق مصطلح "وسائل الإعلام"، كما جرت العادة، على الصحف والمسرح والراديو والسينما والتلفزة والشابكة (الإنترنت). بيد أننا نميل إلى توسيع هذا المفهوم ليشمل جميع الملصقات واللافتات في الشوارع التي تشتمل على إعلانات رسمية أو غير رسمية، وعلى إشهارات البضائع والمواد الاستهلاكية. وتشمل وسائل الإعلام، في نظرنا، كذلك لافتات أسماء الشوارع والمحلات التجارية والمؤسسات المتنوعة. ويتسع هذا المصطلح لبضم الإعلانات الصوتية أو اللوائح المكتوبة التي تبين مواعيد وصول الطائرات والسفن والقطارات والحافلات في المطارات والموانئ ومحطات القطار وجميع محطات النقل الأخرى. ولا نتردد في اعتبار الإرشادات المصاحبة للأدوية والمنتجات الأخرى التي تبين كيفية استعمالها، من وسائل الإعلام كذلك. وبعبارة أخرى، فإن جميع الوسائل التي تزود الإنسان بمعلومات، سواء كانت تلك الوسائل مقروءة أو مسموعة أو مرئية، هي من وسائل الإعلام. ومن عبقرية اللغة العربية، أن ألفاظ (إعلام) و(معلومات) و(علم) مشتقة من جذر واحد وبينها صلة قرابة لفظية ودلالية.

2.2. وظائف وسائل الإعلام

يُسمى العصر الحاضر أحياناً بعصر الاتصال والإعلام، نظراً لتعدد وسائل الاتصال والإعلام، وتنوع الطرائق والأساليب التي تنتهجها، وازدياد تأثيرها في المتلقين، واستحواذها على أوقاتهم، والاستئثار بجُلِّ اهتمامهم. فقد أصبحت وسائل الإعلام مؤسسة اجتماعية كالأُسرة

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

والمدرسة، بل تفوقهما تأثيراً، بفضل تقنياتها وجاذبيتها، وبفضل الساعات الطويلة التي يمضيها الأفراد برفقتها؛ إذ تشير الإحصائيات إلى أن الفرد العادي يمضي ما معدله (2.5) ساعتين ونصف ساعة كل يوم أمام شاشة التلفاز، وأن التلاميذ يجلسون أمام شاشات التلفاز أكثر من جلوسهم أمام معلمهم في صفوف المدرسة. فعندما ينهي التلميذ دراسته الثانوية يكون قد أمضى 20,000 ساعة أمام التلفاز في مقابل 15,000 ساعة في المدرسة (بلغيت، 2).

ولهذا كلّه، فإن معظم الدول المتقدّمة وجلّ الباحثين الإعلاميين يرسمون وظائف جليّة وأهدافاً كثيرة للإعلام، يمكن إجمالها فيما يأتي:

أ. الإدماج والتماسك الاجتماعي:

فوسائل الإعلام تقوم بوظيفة وطنية هي إيجاد التجانس الفكري والمشاركة الوجدانية بين أبناء الوطن الواحد، وهذا ما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي وإرساء السلم الأهلي. ويؤدي الإعلام هذه الوظيفة الخطيرة باستعمال ثلاث وسائل أساسية في برامجه:

الأولى، اللغة المشتركة: اللغة هي العامل الأساس في استمرار المجتمع، وتماسك شرائحه، ووحدة أهدافه، وتمائل قيمه، وتقارب تفسيره للرموز، وتشابه تقطيعه لعناصر الوجود، وتكوين الوعي الاجتماعي، وبروز رأي عام موحد. وكلّما تقاربت المستويات اللغوية في المجتمع تمتنّ تماسكه واندماجه بصورة سليمة، وكلّما تباعدت المستويات اللغوية، ازداد تفككه وانحلاله (شحرور، 1).

يقول العالم اللساني التربوي الدكتور محمود السيد: "تحافظ اللغة على الهوية من الضياع، وعلى الشخصية من الذوبان، وثمة ارتباط بين اللغة والهوية، والمحافظة على إحداها محافظة على الأخرى" (السيد: 23).

قد لا تكون اللغة الوطنية المشتركة هي اللغة الوحيدة في البلاد، ولكنها هي اللغة الموحّدة للسكان على اختلاف لهجاتهم الاجتماعية والمحلية. وباستعمال اللغة الفصيحة، يعمل الإعلام على تقريب اللهجات المختلفة من اللغة المعيارية التي تحمل في ألفاظها وتراكيبها ثقافة معينة،

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وطريقة تفكير متميزة، فتؤدي إلى اكتساب المواطنين هُويّة وطنية متفردة تعمل على تمتين التماسك الاجتماعي وإرساء السلم الأهلي.

الثانية، التراث: يمثل التراث، وهو الإرث الفكري الذي ما يزال فاعلاً في الثقافة السائدة، تراكماً ثقافياً وحضارياً ينتقل عبر الأجيال عن طريق اللغة والمحاكاة والتقليد. ولهذا فإن الإعلام يستعمل التراث في برامجهِ ليغرس في نفوس المواطنين شعوراً بالانتماء إليه والاعتزاز به، وهذا ما يعضد التماسك الاجتماعي بينهم.

الثالثة، القيم: القيم هي تصورات ومفاهيم تحدّد ما هو مُستحسن وما هو مُستقبح اجتماعياً. وهذه القيم مترابطة وتُرتّب هرمياً في سلم من حيث أهميتها. وفي بلادنا العربية تُستمدّ هذه القيم من الدين الإسلامي الحنيف، وتدعم الهُويّة الوطنية المشتركة. وعندما ينشر الإعلام هذه القيم في برامجهِ، فإنه يعمل على تعزيز النظام التربوي، وتقارب المواطنين في رؤاهم وتوجهاتهم السلوكية.

ب. الإخبار:

من وظائف الإعلام تزويد مستقبله بالأخبار التي تجري في بلده وفي العالم. ومعروف أن صياغة الخبر قد لا تكون موضوعية محايدة تماماً، ومن هنا يستطيع الإعلام أن يكون الآراء والاتجاهات والمواقف لدى المواطنين. ويفترض في الإعلام أن يستطلع بؤابر المخاطر المستقبلية مثل إرهابات الكساد الاقتصادي، والأضرار التي تحيق بالبيئة، فيوجّه الانتباه إليها. كما يكون وسيلة رقابة لكشف الفساد وإساءة استعمال السلطة، لتعمل الدولة على تقويم هذه الظواهر قبل استفحالها.

ج. التعليم:

يقوم الإعلام بدعم النظام التعليمي عن طريق تقديم برامج تعزّز ما يتعلّمه التلميذ في المدرسة إضافة إلى تزويدهم بمهارات جديدة وإطلاعهم على المستجدات العلمية والتقنية، بواسطة برامج ظاهرها ترفيهي، ومضمونها معرفي تعليمي عميق.

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

د. الترفيه:

تقوم وسائل الإعلام بدور ترفيهي لتخفيف الضغوط النفسية والتوتر عن طريق بث برامج ثقافية متنوعة كالموسيقى والغناء والمباريات الرياضية والطبخ، وغيرها.

هـ. التنمية البشرية:

نظراً لقدرة وسائل الإعلام على الوصول إلى أوسع الجماهير فإنها تكون عاملاً فاعلاً في نشر المعرفة وتكوين "مجتمع المعرفة" القادر على تحقيق التنمية البشرية في البلاد، فلا تبقى المعرفة محصورة في المؤسسات المدرسية والجامعية والبحثية. وهكذا يتفاعل النظام الإعلامي مع النظامين التربوي والتعليمي في تحقيق التنمية البشرية (القاسمي، 207 – 213).

3. النظام الإعلامي العربي

ليس في الإمكان فحص النظام الإعلامي العربي بصورة ناجعة دون النظر إلى عنصريه الأساسيين: المضمون، واللغة.

3.1 مضمون الإعلام العربي

عند النظر في مضامين الإعلام العربي الرئيسة خلال السنوات السبعين الماضية، أي منذ استقلال البلدان العربية تقريباً، يتبين لنا ما يأتي:

أ. إن الإعلام العربي، شأنه شأن الإعلام في البلدان النامية، يعتمد بصورة أساسية على المادة التي تأتيه من وكالات الأنباء الغربية. فحوالي 80% من أخبار العالم ترد من 5 وكالات غربية هي: رويترز البريطانية، ووكالة الصحافة الفرنسية، ووكالتي أسوشيتد برس ويوناييتد برس الأمريكيتين، ووكالة تاس الروسية. وهذه الوكالات لا تخصص من مساحتها الإخبارية إلا ما تتفاوت نسبته بين 10 إلى 30 بالمئة لأخبار الدول النامية. وعادة ما تعرض فيها الجوانب السلبية، كأخبار الكوارث الطبيعية، والاضطرابات الاجتماعية، والحروب الأهلية، وما إلى ذلك (طاش، 1).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ولم تقتصر تبعية الإعلام العربي للإعلام الغربي على اعتماده على التقنيات الغربية، وتقليد الإعلام الغربي في تسيير البنيات الأساسية فحسب، بل عمد كذلك إلى استيراد البرامج الإعلامية الغربية، وهي في معظمها تحمل قيماً وتقاليد مخالفة لقيمنا وأعرافنا. وهكذا تسرّبت إلينا مصطلحات غربية تروّج مفاهيم ليست في مصلحة البلدان العربية. ومن أمثلة ذلك أن الإعلام العربي قبل قيام الكيان الصهيوني كان يستعمل مصطلح (الوطن العربي) و(الأمة العربية). ثم روج الإعلام الأمريكي مصطلح (الشرق الأوسط) و(الشرق الأوسط الجديد)، فسارع الإعلام العربي إلى اعتمادهما وإشاعتها دون تمحيص، فهذا المصطلح يسوق فكرة التخلي عن الهوية العربية الإسلامية لهذه البلدان العربية.

ب. هيمنت الأنظمة الشمولية في البلدان العربية على الحياة الاجتماعية، وعملت بشتى الطرق لفرض القيود على حرية الإعلاميين، واحتكار الإعلام لدعم سلطتها وترسيخها وتوسيعها، ومصادرة حق حرية التعبير المنصوص عليه في دساتيرها وفي الشريعة الإسلامية وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. صحيح أنه لا يوجد إعلام حرّ في العالم اليوم، لأن كلّ إعلام هو نشاط إنساني له انتماء محدّد ويعبر عن مصالح الجماعة التي أنشأته؛ بيد أن "حرية الإعلام" هي حرية نسبية ترتبط بطبيعة النظام السياسي القائم في البلاد.

ج. اتجه الإعلام العربي تدريجياً، وطبقاً لتخطيط واعٍ، على قصر وظيفته على الأخبار التي تمجّد النظام الشمولي وتحبّب توجهاته وتبرر إجراءاته، وعلى الترفيه المتمثل في الأغاني الخفيفة، والرقص الهابط، والرياضة، والشعوذة. واستبعد من برامجه المواد الثقافية الجادة، فنادر ما تجد مثلاً قراءة في كتاب، أو برنامجاً علمياً أو تقنياً.

يبلغ عدد الهيئات العربية التي تبث قنوات فضائية، 758 هيئة، منها 29 هيئة رسمية، و729 هيئة خاصة. وتتولى هذه الهيئات بث أو إعادة بث 1294 قناة فضائية (اتحاد الإذاعات، 12). ولكن الدول العربية التي تمارس فيها هذه الهيئات نشاطها، لا تخضعها لشروط البث من حيث اللغة أو المضمون، بحجة "الإعلام الحر". فأنّت لا تعثر في هذه القنوات الفضائية على فضائية تسمي نفسها "ثقافية"، سوى عدد محدود لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

ولكنك، في المقابل، تجد عشرات، إن لم نقل المئات، من الفضائيات الرياضية والغنائية وما إليها. والنزر اليسير منها يلتزم بلغة عربية فصيحة. (قارن مثلاً الوضع في كوريا التي حققت أعلى درجات التنمية البشرية، ففيها حوالي 101 قناة كلها خاصة ما عدا واحدة رسمية. ولكن جميع القنوات ملزمة بالبحث باللغة الكورية المعيارية المشتركة).

د. إن كثيراً من الفضائيات الدينية وغير الدينية تبث برامج حوارية حول قضايا أكل عليها الدهر وشرب، وتتنحصر غايتها المشبوهة في إثارة النعرات العرقية أو الطائفية أو اللغوية، وتأجيج الكراهية بين شرائح المجتمع، بدلاً من نشر التسامح والإخاء والإدماج الاجتماعي والهوية الوطنية المشتركة، ودون أن تخضع تلك البرامج لرقابة الدولة أو ضوابطها، بحجة حرية الإعلام.

3.2. لغة الإعلام العربي

تعد الصحافة أولى وسائل الإعلام الحديثة الرئيسة التي دخلت البلاد العربية. وقد استعملها رواد النهضة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، لبث الوعي الوطني والقومي في جميع أنحاء الوطن العربي على الرغم من نقشي الأمية وتعدد الاستعمارات (العثمانية، والبريطانية، والفرنسية) فيه آنذاك. ولهذا حرص الرواد على استعمال اللغة العربية الفصيحة المشتركة. وقد أغنت الصحافة اللغة العربية بمصطلحات وتراكيب جديدة. وعندما دخلت الإذاعات البلدان العربية في النصف الأول من القرن العشرين، كانت اللغة الغالبة فيها هي اللغة العربية الفصيحة المشتركة، ولم تستعمل اللغة الأجنبية ولا اللهجة العامية التي كانت تقتصر على بعض الأغاني وبعض المسرحيات الإذاعية.

إن انتشار العامية في الإعلام العربي اليوم يثير في الذهن ثلاث مفارقات مضحكة مبكية في آن، وهي:

الأولى، إن اللغة العربية الفصحى كانت مستعملة في الإعلام زمن الاستعمار، وبعد الاستقلال اتجه الإعلام إلى ترسيخ العامية، (الإسماعيلي، 1).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الثانية، بعد مضي نحو قرن من الزمن على نشوء الإعلام العربي، وانتشار المدارس والجامعات، وانحسار الأمية إلى نسبة 30 بالمئة، فإن إذاعاتنا وقنوات التلفزة العربية اتجهت إلى تقليص اللغة العربية الفصيحة المشتركة وزيادة المساحة البرامجية للهجات المحلية والجهوية، بحجة سدّ احتياجات المتلقين وجذب مزيد من الجماهير (هويدي، 1)، أو تعميم لهجة البلد التي راحوا يسمونها باللغة الوطنية (المصرية أو العراقية أو التونسية، إلخ...).

الثالثة: إن الإعلام العربي يغلب العامية على حين أن الإعلام الأجنبي يلتزم بالعربية الفصيحة المشتركة. فهناك نحو سبعين محطة أجنبية تبث باللغة العربية الفصحى، مثل بي بي سي البريطانية، وفرانس 24 الفرنسية، وسي أن أن الأمريكية. ويتساءل المرء لماذا تبث هذه الدول، وهي ليست حريصة على وحدة الوطن العربي، بالعربية الفصيحة المشتركة؟

قد يتبادر للمرء أول وهلة أنها مضطرة للبث بلغة واحدة بدلاً من لهجات متعددة لأسباب مالية وتقنية. ولكن الحقيقة أن التقنيات الحديثة أصبحت تتغلب على هذه الصعوبة بسهولة تامة. أحسب أن السبب يكمن في أن المستمع العربي، حتى الأمي، يحترم البث الإذاعي والتلفزيوني ويتقبله، لا بفضل صدقّة الأخبار وقيمة البرامج فحسب، بل بفضل رقي اللغة المستعملة كذلك، فهو يحترم ما يُقال باللغة العربية الفصيحة ويصدّقه، لأنها لغة راقية ولها صبغة مقدّسة. وقد دلت الإحصائيات والاستطلاعات الإعلامية أن معظم العرب يفضلون الإذاعات ومحطات التلفزة التي تبث بالعربية الفصيحة على تلك التي تكثر من العامية (المعوش، 7).

ومن يلقي نظرة فاحصة على لغة وسائل الإعلام في الوطن العربي يجد ثلاث لغات مستعملة فيها هي:

أ. لغة المستعمر القديم:

إن كثيراً من الإذاعات والقنوات التلفزيّة العربية تبث برامج عديدة بلغة المستعمر القديم (الإنكليزية في المشرق "العربي" أو الفرنسية في المغرب "العربي")، مع أن هذه البرامج

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

موجهة لجمهور عربي. وقد أجازت السلطات إنشاء إذاعات وقنوات تلفزيونية للبت بالفرنسية أو بالإنكليزية وهي موجهة للمواطنين العرب.

ففي بلدان المشرق العربي، انتشرت الفضائيات التي تبث الأفلام الأمريكية التي تسطح عقل المشاهد، وتشجع على العنف والجريمة، وتنتشر القيم الأمريكية المنافية لأخلاقنا وتقاليدنا. وفي بلدان المغرب العربي، انتشرت الإذاعات الخاصة الجهوية (المحلية) التي تبث باللغة الفرنسية أو بخليط هجين من الفرنسية الفصحى والعربية العامية الدارجة.

يقول اللساني الدكتور محمد الينبجي: "إن هذه الإذاعات الخاصة تفتخر بإعلان تبعيةها للغة والثقافة الفرنسيتين انطلاقاً من لغة الحديث والحوار والاختيارات الغنائية، ومروراً بنقل عدد من البرامج مباشرة من إذاعات فرنسية، وانتهاء بتغطية الحياة الفنية والإعلامية بفرنسا دون ذكر اسم هذا البلد، وكأن المستمع المتابع يقطن بإحدى المدن أو القرى الفرنسية..." (الينبجي، 89).

وراحت الإذاعات والقنوات التلفزيونية العربية التي تبث بالعربية فقط، تحم كلمات إنجليزية أو فرنسية بلا داع ولا سبب ظاهر. فالتلفزيون العراقي الرسمي، يقدم نشرة أخباره بعنوان (العراقية News) وكأن المستمع العراقي لا يفهم كلمة (أخبار). وأشهر مسابقة تقدمها إحدى المحطات التلفزيونية ومقدار جائزتها مليوناً دولار أمريكي، وهي مسابقة ربعية لا تتطلب أي مجهود لغوي أو علمي أو ثقافي ولا تستلزم أية مهارة: فقط أرسل رقم هاتفك مع كلمة (حلم) أو (Dream) أو (Rêve)، وكأن الكلمة العربية (حلم) وحدها لا تكفي، أو أنها دعوة لهذا العربي لتعلم الإنكليزية أو الفرنسية. وبرنامج اكتشاف المواهب الغنائية لدى الأطفال العرب في تلفزة (أم بي سي مصر) يجري باللغة العربية وموجه للمشاهد العربي، ولكن عنوانه (The Voice Kids). هل هذه مصادفة أو موضة إعلامية أو ماذا؟ فهي فريدة لا نظير لها في احتقار اللغة الوطنية وإذلالها في عقر دارها.

وإذا تجول سائح في شوارع إحدى العواصم العربية، فإنه سيلاحظ أن الأغلبية الساحقة من

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

لافتات أسماء المحلات التجارية مكتوبة باللغة الإنكليزية أو الفرنسية، حتى ليخال إليه أنه في بلدة بإحدى المستعمرات البريطانية أو الفرنسية. وقد أخذت المطاعم والمقاهي "الراقية" في العواصم العربية تقدّم قوائم الأطعمة والمشروبات باللغة الإنكليزية أو الفرنسية فقط، تعبيراً عن احتقارها للمواطن العربي ولغته الوطنية الرسمية.

وكثيراً ما يشتري المواطن العربي الدواء من صيدلية في بلده، ليفاجأ بأن إرشادات الدواء مكتوبة بالفرنسية أو الإنكليزية، وليس ثمة ترجمة عربية لها. فهل هذا يعني أن حياة هذا المواطن العربي لا قيمة لها ما لم يتقن لغة المستعمر القديم لدرجة تؤهله فهم اللغة الطبية والصيدلية المتخصصة؟

ب. اللغة العامية الدارجة:

من المعروف أن اللغات الكبرى كالإنكليزية والفرنسية والعربية، لها مستويان: المستوى الفصيح الذي يُستعمل في التواصل الثقافي والعلمي والتجاري، والمستوى الدارج المستعمل في الحياة اليومية. والمستوى الدارج هو تحريف للفصيح، وهو محدود في مفرداته وتراكيبه، مختزل في قواعده، ولا يصلح للتحليل المنطقي والتفكير العلمي. وعندما تنتشر الثقافة والتعليم والقراءة في المجتمع، يتقارب المستويان حتى يسود المستوى الفصيح. وتزداد الهوة ويتسع الفارق بينهما بتفشي الأمية والجهل. وكلتا الحالتين نتيجة طبيعية للسياسة اللغوية التي تضعها وتطبقها الدولة.

ومن أشهر الأمثلة على السياسات اللغوية الناجحة في ترقية لغة المواطن وفكره، السياسة اللغوية في ألمانيا. فقد كانت ألمانيا في أوائل القرن التاسع عشر مكوّنة من 38 ولاية يربط بينها حلف رخو وتتكلم ثلاث لهجات ذات أصل ألماني. فعمل اللغويون والمثقفون على نشر لغة ألمانية معيارية مشتركة تحقيقاً لرغبة الألمان في إنشاء اتحاد ألماني واحد. وتمكّن اللغويون من وضع قواعد اللغة الألمانية المعيارية المشتركة في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وعندما تحقق الاتحاد الألماني سنة 1871 على يد بسمارك زعيم ولاية بروسيا

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

المحنك، اتبعت الدولة الألمانية سياسة لغوية تعتمد استعمال اللغة الألمانية المعيارية المشتركة في التعليم والإعلام وجميع مرافق الحياة، حتى أصبحت الغالبية الساحقة من الألمان اليوم تستعمل هذه اللغة المشتركة، وقلما تُسمَع اللهجات، مع أن "اللغة الألمانية المعيارية المشتركة لم تتطور من لهجة منطقة واحدة، وإنما اصطنعها الشعراء والفلاسفة والباحثون" (Deutsch Learnen).

أما السياسة اللغوية التي تسير عليها الدول العربية في الإعلام، فترمي إلى التخلي عن اللغة العربية الفصيحة المشتركة وإحلال اللهجات العامية محلها. وقد أخذ هذا التوجه في الجلاء والوضوح بعد أن قامت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندليزا رايس بجولاتها المكوكية في البلدان العربية سنتي 2005 و 2006 وأطلقت من تل أبيب دعوتها لإيجاد "شرق أوسط جديد" عن طريق "الفوضى الخلاقة" التي تؤدي إلى تقسيم المقسم وتجزئة المجرأ. وعند ذاك هبّت الدول العربية هبة رجل واحد لتحقيق غايات المشروع الجديد وذلك بتهيئة الأسس اللغوية اللازمة لتحقيقه، فأنشأت محطات إذاعة وتلفزة أهلية حرة تعتمد، في الأساس، اللهجة العامية في برامجها حتى في نشرات الأخبار، بحيث ينطبق عليها قوله تعالى: (يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم)، وراح بعض رجال الدين في وسائل الإعلام يستعملون العامية في تفسير القرآن الكريم، وأخذ كثير من المسؤولين يدلون بتصريحاتهم باللهجات الدارجة. ومن الأمثلة على ذلك أن صحفياً أديباً نقل تصريحات رئيس الحكومة المغربية، عبد الإله بنكيران، وهو رئيس حزب إسلامي المرجعية، حول مشروع قدمه إلى البرلمان، فقال الصحفي: "... مضيفاً بلغة الأم الدارجة المغربية الفصيحة: وغادي يدوز إن شاء الله هاد العام...". (رحمون).

وحتى في الصحافة المكتوبة، نجد أن العاميات قد حققت تقدماً ملحوظاً. ففي بعض البلدان العربية صدرت صحف أسبوعية ويومية بخليط من العربية واللهجة الدارجة لذلك البلد مثل جريدة (نيشان) المغربية الأسبوعية. وخصصت صحف عربية أخرى صفحات كاملة للشعر النبطي أو العامي، أو صفحات للرسوم الكاريكاتورية مع تعليقات بالعامية. كما لا تتردد الصحف العربية في نشر إعلانات وإشهارات إدارية وتجارية باللغة الأجنبية أو بالعامية

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الدرجة. إضافة إلى ذلك، فإن صحفنا العربية قد لا توظف مدققاً لغوياً أو مصححاً مطبعياً فتتطلع على القراء بصنوف من الأخطاء المطبعية والإملائية والنحوية واللغوية.

ج. اللغة العربية الفصيحة:

انحسر استعمال اللغة العربية الفصيحة في وسائل الإعلام، حتى كاد ينحصر في إذاعة نشرات الأخبار، والتعليقات التي تبرر سياسات الأنظمة الشمولية وتوجهاتها. يقول الدكتور سالم المعوش في دراسة إحصائية عن اللغة العربية في وسائل الإعلام:

"وتنفرد البرامج الإخبارية في المرئي والمسموع اللبناني بأنها تترك واحات صغيرة للفصحى لا يتعدى نطاقها الدقائق... وتتجلى أزمة استعمال اللغة العربية أكثر ما تتجلى في الإعلانات التي تترامى إلى الأسماع وتعانقها الأبصار. إن من يتابع الإذاعات العربية كلها، لا يقع إلا فيما ندر على إعلان بالفصحى، وإذا وجد فإنه لا يزيد عن 1%" (المعوش).

اللغة الفصحى، أية لغة فصحى، تكون بطبيعتها بعيدة عن اليومي والمباشر، فتجول بحرية في مجالات الفكر والفن والعلم والأدب، ولها الاستعداد الكامل لتمثل التقدم والتطور في تلك المجالات وتنمي الإبداع فيها، بفضل ألفاظها التي تنتمي إلى دائرة مفتوحة، وتركيبها المتعددة، وأساليبها المتنوعة، وأدواتها الملائمة للمقولات المنطقية المختلفة. وفي المجتمعات الديمقراطية، يستعمل الإعلام لغة فصيحة موضوعية، تنمي التسامح، وتساعد على التفكير الحر، وتسمح بالحوار والمناقشة والمساءلة، وتشجع الرأي والرأي الآخر، والرؤية والرؤية المضادة، والموقف والموقف المخالف. فلغة الإعلام في المجتمع الديمقراطي تمارس حرية التعبير، في المضمون والصياغة، لتستوعب مضامين الحضارة المتطورة، ومفاهيم العلوم المتجددة.

بيد أن الأنظمة الشمولية تسعى إلى التحكم بوسائل الإعلام وأدوات التعبير وتسخرها لأغراضها، ورعاية مصالحها، وتقوية سلطتها وهيمنتها. فتستعمل بنيات فكرية ومادية تساعد على القسر والتحكم في الناس، وتختار لغة إعلامية ذات أنماط بنوية وأساليب دلالية محدودة

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

ملائمة لصياغة مضامين ذرائعية وطروحات تبريرية تجعل من السلطة مصيبة دوماً، معصومة أبداً؛ لغة جامدة في تراكيبيها، تسلطية في أطروحاتها، تؤكد الألفاظ الرنانة المستهلكة لا المدلولات العميقة المتجددة، وتختار الكلمات الجوفاء التي تخاطب العواطف السطحية، لا المعاني والمفاهيم التي تحاور العقل والمنطق؛ لغة تحفظ عن ظهر قلب، وليس لغة تستوعب وتفهم لتتجذر في الفكر؛ لغة تقوم على التهويل والمبالغة، في عبارات مرصوفة تسمع لتُحفظ، لا لتوعى وتفهم... إنها لغة إعلامية تنفي المنطق، وتسجن العقل، وتقتل وسائل الإقناع. إن احتكار السلطة الشمولية للإعلام يؤدي إلى جمود لغة الإعلام، ويعطل إمكان عصرنتها وعقلنتها والارتقاء بها. (فلسطين، 2).

4. تحليل لغة الإعلام العربي في ضوء الأهداف

يعمل الإعلام باللهجات العامية عكس الأهداف التي يتوخاها كل إعلام شريف في ترقية الإنسان لغة وفكراً، وتنمية الثقافة الوطنية بلغتها المشتركة وتراثها وقيمها، وتحقيق الإدماج الاجتماعي، وإنجاز التنمية البشرية.

فالعاميات تُرسّخ أمية المستمع ودونية ثقافته وضيق تفكيره. فهي لا تحسب لذكائه الفطري، ولا لقدراته اللغوية حساباً. فإذا كان الأمي يعاني نقصاً في قدرته التعبيرية باللغة الفصيحة، فإن له قدرة استيعابية بها، لأن الفصح والدارج مستويان في لغة واحدة وليس لغتين مختلفتين. ويمكن تطوير قدرات المستمع الاستيعابية بالفصح عن طريق التكرار والمران.

ومن إبداعات الإعلام العربي أنه أدمن دبلجة المسلسلات التلفزيونية الأجنبية باللهجة العامية لكل بلد، وفي ذلك أضرار خطيرة تشرحها الإعلامية المغربية إلهام بنجدية في مقال بعنوان "المسلسلات المدبلجة... أسلحة الدمار الشامل التي تستهدف الهوية المغربية: تطبيع مع الدعارة، والخيانة الزوجية، والولادة خارج مؤسسة الزواج، ومظاهر العري الفاحش". وتصف هذا التوجه في الإعلام بكونه لا يعدو ابتذالاً تحكمه رهانات سياسية لا وطنية، وأبعد ما يكون عن تحقيق رغبات المتفرج الذي يجري تصنيعه وفق نسق خاص، حيث يصبح لا

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

يفكر ولا ينتقد، ومستسلماً لهضم كل ما يتلقاه من إنتاجات مدبلجة بالعامية، هدفها الأول والأخير "قتل المشاهد الكريم" (بنجدية، 1).

ويقول فاعلون في المجال الفني إن استيراد المسلسلات الأجنبية المدبلجة إلى محطات التلفزة العربية يؤدي إلى قتل الإنتاج الوطني والإبداع الوطني. فالأدباء العرب يلقون التشجيع إذا تحول إنتاجهم إلى أفلام ومسلسلات. والإنتاج الوطني يساعد على تطوير قطاعي السينما والتلفزة وخبرة العاملين فيهما من مختلف التخصصات. أما الإكثار من المواد الإعلامية الأجنبية والمسلسلات المدبلجة بالعاميات، فإنه يقلل من الإنتاج الوطني ويضعفه، بطبيعة الحال (بنجدية).

واستعمال العامية في الإعلام يضرُّ بالعربية الفصيحة ويحدُّ من تطورها، لأن نمو اللغة مرهون بالاستعمال. كما ينتج عنه ترسيخ ارتباط المستمع بمحليته وإقليميته وطبقته الاجتماعية على عكس الفصيحة المشتركة التي تنتزع الناس من المحلية والقبلية والطائفية وتوحد طريقة تفكيرهم، لأننا نفكر باللغة. والعلاقة وثيقة بين التطور اللغوي والتغيرات الاجتماعية.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره مذيع في محطة إذاعية سمحت بها الدولة لرجل أعمال، في نطاق خطتها لـ "تحرير الإعلام" وإجازة إذاعات أهلية، فقرّر الرجل، طبقاً لأهداف الإذاعات الأهلية الحرة التي أطلقتها الدولة، استعمال العامية في بث جميع نشرات الأخبار. يقول المذيع: "حينما بدأنا نقدم نشرات الأخبار بالدارجة، بدأ المواطنون يتصلون بنا ويطلبون منا الحديث بلهجاتهم: الريفى يريد لهجته والمراكشي والدكالي، كلُّ يطالب بلهجته... وهكذا وحدة الشعب بدأت تنوب. التبرير المنطقي لكل ما يحدث هو أن طائفتين جُددًا أُعطيت لهم مشاريع إذاعية" (عدناني).

ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من البرامج الإذاعية والتلفزية والمواقع الشبكية تخلط بين العامية الدارجة والعربية الفصيحة. وهذه الطريقة تؤدي إلى تدمير اللغة العربية الفصيحة المشتركة. فالمتلقي يتعود الصيغ الخليطة بحيث لا يمكنه التمييز بين ما هو فصيح وما هو عامي.

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

والإعلام بالعامية لا يعزز ما يتعلّمه الأطفال في مدارسهم باللغة العربية الفصيحة، بل يشوّش أذهانهم، ويخرّب ما تعلموه من لغة فصيحة. فنكون " كالتّي نقضت غزلها أنكاثاً".

نستخلص من هذا بوضوح أن الإعلام باللهجة العامية لا يسمح بتفاعل النظام الإعلامي مع النظامين التعليمي والتربوي بصورة إيجابية، ولا يُسهم في التماسك الاجتماعي، ولا في تكوين هوية وطنية مشتركة، ولا في إرساء السلم الأهلي، ونتيجة لذلك لا يُسهم في التنمية البشرية بل يعرقلها.

أما البرامج التي تمزج العربية بالإنجليزية أو الفرنسية، فإنها تضر باللغة العربية إذا كانت موجهة إلى المستمع العربي، وتضر بالإنجليزية أو الفرنسية إذا كانت موجهة للمستمع الإنجليزي أو الفرنسي. ولكننا لا نجد وسيلة إعلام إنجليزية أو فرنسية تخلط لغتها بلغة أجنبية. فهذا الخلط الجائر على العربية هو من مبتكرات الإعلام العربي التي تفرّد بها في العالم.

إن استمرار السياسة اللغوية المتبعة في النظام الإعلامي، قد يؤدي إلى تدمير اللغة العربية الفصيحة المشتركة. فقد خلص اللساني المجمع الدكتور أحمد الضبيب في دراسة قيمة له عن مستقبل اللغة العربية استعرض فيها آراء المفكرين العرب والأجانب في الموضوع منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى اليوم، إلى إمكان انقراض اللغة العربية الفصيحة وبقاء لهجاتها العامية. (الضبيب، 18)

وفي كتاب "موت اللغة"، يعدد اللساني البريطاني ديفيد كريستال الأسباب التي تؤدي إلى انقراض لغة من اللغات. ويخلص كريستال إلى أن اللغة تموت عندما يموت الناطقون بها نتيجة كارثة طبيعية أو تشتتهم بصورة تؤدي إلى اختفاء الجماعة اللغوية (Crystal). ولكن فات هذا اللساني سبب هامّ هو موت اللغة بموت ضمير الناطقين بها وموت وعيهم بأهمية اللغة المشتركة لوجودهم كأمة.

5. تصميم نظام إعلامي بديل

لقد تأكد لنا أن النظام الإعلامي العربي الراهن لا يحقق الأهداف المرجوة من الإعلام

الجيد. ولهذا نقترح ما يأتي:

أ. إن فشل منظومة الثقافة في البلدان العربية يعود في الأساس إلى غياب الوعي بالمرجعية المحددة للمنطلقات والغايات، وغياب الوعي بمفاهيم الهوية الحضارية والذاتية الثقافية، وغياب الوعي بالتحديات الداخلية والخارجية، وغياب الوعي بالإستراتيجيات المستقبلية (الزباخ، 7)، ولا بدّ من تعميم هذا الوعي بجميع الوسائل التربوية والتعليمية والإعلامية.

ب. ضرورة اعتماد البلدان العربية سياسة لغوية صريحة تعتمد اللغة العربية الفصيحة المشتركة في جميع مجالات الحياة، وهي لغة التواصل الوحيدة القادرة على إيجاد مجتمع المعرفة الذي يتمكن من تحقيق التنمية البشرية، أو كما قال المرحوم الدكتور نبيل علي: "اللغة العربية هي البوابة الملكية للعبور إلى مجتمع المعرفة" (علي، 234).

ج. ضرورة قيام السياسة اللغوية البديلة على مبدأ اعتماد اللغة العربية الفصيحة المشتركة في التعليم وجميع وسائل الإعلام، وتضييق الخناق على العاميات فيها بهدف التخلص منها تدريجياً حسب خطة قصيرة الأجل.

د. بُغية زيادة التفاعل الإيجابي بين الأنظمة التربوية والتعليمية والإعلامية، لا بد من القضاء على الأمية التي تقارب نسبتها الـ 30% طبقاً لبيان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو، 1). والدول لا تستطيع أن تحقّق التنمية البشرية في البلاد ما لم تأخذ على نفقتها التعليم الإلزامي الجيد لجميع أبناء الشعب، وتقديم الخدمات الصحية والطبية ذات الجودة العالية، وضمان جميع حقوق الإنسان وفي مقدمتها حقوقه الاقتصادية.

بيدّ أن إحلال النظام الإعلامي البديل محل النظام القائم الذي أثبت فشله، لا يتوقف على الباحثين والمتقنين، بل على السلطة التي تعتمد السياسات ذات الفعالية العالية والمردود الكبير.

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

المراجع والمصادر

- الإسماعيلي، محمد (2015). "لغة الضاد وأهميتها للإعلام العربي المعاصر" في جريدة البيان المغربية بتاريخ 2015/7/30 وفي: www.albayan.ae/five-senses/culture/2015-07-30-1.2426414
- الألكسو (2013). بيان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس عن الأمية في العالم العربي، في: <http://www.turess.com/alfajnews/110445>
- اتحاد إذاعات الدول العربية (2014). التقرير السنوي 2014. تونس: اتحاد إذاعات الدول العربية.
- بلغيت، سلطان (2014). "وسائل الإعلام واللغة العربية: الواقع والمأمول" في www.diwanaladab.com/spip.php?page=article&id_article=4568
- بنجدية، إلهام (2014) "المسلسلات المدبلجة" في جريدة (المساء) المغربية يوم 2014/9/28 وفي: www.maghress.com/lamassae/216122
- رحمون، عبد الحق بن (2016). "إصلاح نظام التقاعد في المغرب" في جريدة الزمان اللندنية بتاريخ 2016/2/9.
- الزباخ، مصطفى (2016) التوجه الإستراتيجي الحضاري لمواجهة تحديات التعليم في العالم الإسلامي. الرباط: مطابع الرباط نت.
- السيد، محمود (2010). اللغة العربية "واقعاً وارتقاءً". دمشق: وزارة الثقافة.
- شحرور، زهير عزت (2011). "دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية" في مجلة آفاق المعرفة، عدد مارس، 2011، ص 1-12. وكذلك في: www.Arabiclanguage.ic.org/view_page.php?ic=2083
- الضبيب، أحمد (2014). مستقبل اللغة العربية. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية.
- عبد القادر طاش (?) "الإعلام العربي بين الواقع والأمل" في www.almeshkat.net/index.php?pg=art&cat=3&ref=153
- عدنان، جلال (2007) مقابلة صحفية مع المذيع المصطفى العسري بعنوان "ملاحم فضيحة اسمها إذاعة كازا إف إم" في جريدة (الأحداث) المغربية يوم 2007/6/18. ونشرها كذلك موقع مغرس الإلكتروني في: www.maghress.com/hespress/1305
- علي، نبيل (2001) الثقافة العربية وعصر المعلومات. الكويت: سلسلة عالم المعرفة رقم 265.
- فلسطين، نسر (2010) "لغة الإعلام العربي بين اللغة العربية والعاميات" في: <http://www.startimes.com/?t=26431244>
- القاسمي، علي (2012). السياسة الثقافية في العالم العربي. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- المعوش، سالم (2003). "اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان: دراسة تحليلية ونقد" في: www.njma.org.jo/index.php/2009-02-10-09-35-28-254-21-6.html
- هويدي، فهمي (2013). "واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام" في www.uqu.edu.sa/page/ar/148322
- الينبي، محمد (2009) "اللغة العربية في أوطانها بين التحديات والآفاق" في كتاب: العربية بين الواقع والمأمول. الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
- اليونسكو (2001) إعلان اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي. وكذلك المؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الثقافية من أجل

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الانتمية (ستوكهولم، 1998).

- CEDIP (2012) Analyse systémique: définition. www.cedip.equipement.gouv.fr/analyse-systémique-definitions-a88.html
- Crystal, David (2000) Language Death. London: Univ. Press.
- Deutsch-Lernen (2015) German varieties, in: http://www.deutsch-lernen.com/learn-german-online/study_tips.php
- IGCSE ICT(2015) “What is Systems Analysis?”. www.igcseict.inform/theory/8/what/

..... لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية

من أسرار صيغة فعل

توسيع الحقل الدلالي للثلاثي المزيد بتضعيف عينه، ليلبغ الظرف أو الجار
والمجرور، لازماً كان أو متّعدياً، أو لازماً حيناً ومتّعدياً حيناً آخر

أ. د. سام عبد الكريم عمار

كلية التربية - جامعة دمشق

1. مقدمة

تطرق علماء العربية، قداماء ومحدثين، إلى معاني الزيادة في الأفعال الثلاثية المزيدة في مصنفاتهم، فتناولوها بعضهم بشيء من التفصيل، وعبر بعضهم بها عبوراً سريعاً. ولكن أيّاً من هؤلاء جميعاً لم تشغله فكرة مسح معانيها في المعاجم وتقصيها؛ لتشكل هذه المعاني المتولدة عن دخول أحرف الزيادة على الأفعال الثلاثية المجردة، معجم معانٍ أو معاجم معانٍ تُضاف إلى معاجم العربية، فتغنيها بمعانيها الجديدة، وتدلل على قدرة اللغة العربية غير المحدودة، على الخلق والإبداع، باستعمال أدوات متنوعة (أبرزها الاشتقاق في أنواعه الأربعة، وصيغ الزيادة على الأفعال المجردة) لا تضاهيها فيها لغة أخرى. وبهذه المعاني الجديدة تطوّر اللغة العربية دلالاتها، وتُغني مفرداتها، وتشحن معاجمها بطاقات متجددة تسدّ حاجات الاستعمال المتنامية، وتمنح المستعمل مرونة وراحة وأفقاً رحباً في التفكير والتعبير والتدبر.

2. مشكلة البحث

هذه الظاهرة الخلقة التي قلّما عُنيت بها أقلام اللغويين وعقولهم، ننصرف إليها نحن منذ سنوات عدة، ونقفُ لها وقتنا وجهدنا، ودأبنا وتأمّلنا، وصبرنا وعنادنا، وخبرتنا ووعينا

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

اللغويّ، ولهفتنا وغيّرتنا على لغتنا العربية الرائعة، محفوزين في ذلك كله بوهج الاكتشافات المتلاحقة، ونشوة الحصاد المدهش. إن المعاني التي تولّدها صيغ الزيادة تسمح لنا بالحديث عن معاجم للمعاني المترادفة. فظاهرة المعنى الواحد الذي قد تتطوي عليه عشرات الأبنية من الأفعال المبنية على هذه الصيغة أو تلك، والمستعملة في سياقات متعددة ومختلفة، تُغني معاجم اللغة، وتطور دلالاتها واستعمالاتها، وتمنحها رشاقة حيوية نادرَتين. وهذه الظاهرة المبدعة الخلاقة قد لا نجدُها في كثير من اللغات الأخرى، إن تواضعنا ولم نحصر الأمر في اللغة العربية وحدها.

وبعد رحلة متعمّقة سابرة، مضيئة وممتعة في آن معاً، استهدفت استكشاف التحولات الدلالية التي تتجم عن تضعيف عين الأفعال الثلاثية المجردة، مستهديةً بعملينا السابقين في استكشاف همزة أَفْعَلَ (عمار، 2014)، واستكشاف ما تولّده إضافة الألف والسين والتاء من معانٍ في صيغة استفعل (عمار، 2015)، توصلنا إلى حقيقة ساطعة، هي أن صيغة فَعَلَ هي أم الباب بين صيغ زيادة الفعل الثلاثي جميعها: إنها الأوسع أفقاً، والأعزّز معاني، والأغنى مادةً، والأبعد أثراً في رَفَدِ معاجم اللغة العربية بعدد هائل من البنى اللغوية الغزيرة المتنوعة المعاني من جهة، والمترادفة بخصوص المعنى الواحد من جهة ثانية.

والعمل على تتبّع المعاني التي يولّدها تضعيف عين الأفعال الثلاثية المجردة في صيغة فَعَلَ شائق وممتع. وقد تطرّق إليه تطرّقاً سريعاً ومُبَسَّطاً عدد من علماء العربية (سيبويه في الكتاب، 1982؛ وابن عصفور في الممتع في التصريف، 1970، من القدماء؛ والحملوي في شذا العرف في فن الصرف، 1972، من المحدثين). وأشار إليه كثير من المحدثين في كتبهم، إشاراتٍ عابرة اقتضتها طبيعة عرض صيغ الزيادة (من هؤلاء نذكر الغلابيني في جامع الدروس العربية، 1966؛ والأفغاني في الموجز في قواعد اللغة العربية، 1971).

ولعلنا نجد لمن سبقونا العذر في ذلك بأنهم كانوا يُعَنّون بقضايا أخرى أكثر إلحاحاً، وأن هذا النمط من البحث المدقّق جدّاً، والمضني جدّاً في تلافيفه التفصيلية، ربما كان يُنظرُ إليه

..... من أسرار صيغة فَعَلَ

بوصفه نوعاً من التّرف في البحث اللغويّ، تحفُّ به المخاطر، ويخشى من ضالة نتائجه؛ ولذلك عزفوا عنه. غير أن هذا العمل الضخم، الذي يشكل موضوع كتاب مازال بين يدينا في قيّد الإنجاز، ليس غاية بحثنا هذا الذي يحرص على موضوع أضيق ملائم للنشر في مجلة متخصصة.

إن الموضوع الذي نصرف إليه همتنا هنا هو جانب آخر من جوانب عبقرية صيغة فَعَلَ، لا يقل عن سابقه أهمية وإمتاعاً، وخلقاً وإبداعاً. وهذا الجانب الذي لم تتناوله قبلنا أقلام الكتاب في حدود علمنا وتقصينا عنه في الشابكة، والذي يشكل مشكلة البحث، هو: استقصاء الحالات التي تدلّ على الدور الذي يؤديه تضعيف عين الأفعال الثلاثية المجردة، لازمة كانت أو متعدية، أو لازمة حيناً ومتعدية حيناً آخر، في توليد معانٍ جديدة (لم تكن موجودة في الأصل المجرد)، وذلك بتوسيع حقلها الدلالي لتبلغ الظرف أو الجار والمجرور.

وهذا يعني مرة أخرى أن الفعل الثلاثي المجرد: موضوع البحث لم يكن يمتلك هذه الخاصية قبل تضعيف عينه في صيغة فَعَلَ.

3. سؤال البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤالين الآتيين:

1. ما الآفاق الجديدة لصيغة فَعَلَ، التي سيقدمها هذا العمل في مجال توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي المجرد لدى تضعيف عينه، ليلبغ الظرف أو الجار والمجرور، لازماً كان أو متعدياً، أو لازماً حيناً ومتعدياً حيناً آخر؟
2. ما الشواهد المعجمية التي تدلّ على وجود هذه الآفاق وتؤكددها؟

4. هدف البحث

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

1. استكشاف الآفاق التي يولدها تضعيف عين الأفعال الثلاثية المجردة، في مجال توسيع حقلها

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

- الدلالي، لتبلغ الظرف أو الجار والمجرور، لازمة كانت أو متعدية، أو لازمة حيناً ومتعدية حيناً آخر، وحصرها وتصنيفها.
2. توثيقها بإيراد الشواهد المعجمية التي تدل على وجودها وتثبتها.

5. حدًا البحث

ينحصر حدًا بحثنا هذا فيما يأتي:

1. صيغة **فَعَلَ** وحدها من بين صيغ الزيادة الاثنتي عشرة في الأفعال الثلاثية المزيدة.
2. الحالات التي يتجلى فيها اتساع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي المضغفة عنه في صيغة **فَعَلَ**، ليلبغ الظرف أو الجار والمجرور، لازماً كان أو متعدياً، أو لازماً حيناً ومتعدياً حيناً آخر.

6. منهج البحث

المنهج المتبع في هذا البحث مسحي استقصائي، وهو الوحيد الملائم لأهداف البحث والموصول إلى تحقيقها. إنه يقوم على تتبع الأفعال التي وردت في المعجم، على صيغة (**فَعَلَ**)، وتجلى فيها اتساع الحقل الدلالي، لتبلغ الظرف أو الجار والمجرور في حالات اللزوم، أو التعدّي، أو اللزوم حيناً والتعدّي حيناً آخر في الفعل الواحد، وذلك بجردها واحداً واحداً وتصنيفها.

7. مصدر التوثيق

لقد عدنا في البحث عن المعاني التي توصلنا إليها، وفي توثيقها، إلى المعجم الوسيط من دون بقية المعاجم. وقد وجّهتُنا إلى ذلك الاعتبارات الآتية:

1. أنه صادر عن هيئة علمية رسمية عريقة ومشهود لها في المجال اللغوي، وهي مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

..... من أسرار صيغة فَعَلَ

2. أنه خلاصة عمل فريق من علماء اللغة العربية والباحثين في شؤونها، وهم جميعاً أعضاء

في المجمع. والمعجم هنا يحمل ميزتين،

• أولاهما: أن العمل الجماعي يخفف الضغط الذي كان يمكن أن يعاني منه شخص واحد يتصدى لهذه المهمة الصعبة والمضنية؛

• وثانيتهما: أن الذين تصدّوا للمهمة علماء لغة مشهود لهم في الميدان.

3. أن المعجم الوسيط سعى إلى أن يكون معاصراً، فاعتمد الترتيب الأبجدي للأصول، وأدخل

الكثير من الألفاظ المعاصرة والمستحدثة، تعريباً أو ترجمة أو وضعاً، فأغنى ذلك مفرداته وعصرَها، ومنحها حيوية ورشاقة واضحتين. كما أهمل كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافية أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها؛ وأهمل كذلك الألفاظ التي أجمعت المعاجم على شرحها بعبارات تكاد تكون واحدة، شرحاً غامضاً مقتضباً، لا يبيّن حقائقها ولا يقرب معانيها؛ وأغفل، إلى ذلك، بعض المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات، وعُني بإثبات الحي السهل المأنوس من الكلمات والصيغ، واستعان في شرحه الألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يُعتمد عليها، وعزّز ذلك بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأمثال العربية، والتراكيب البلاغية الماثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء (تصدير الطبعة الأولى). وهذه الخواص مجتمعة لا نجدها في أي معجم آخر.

وإذا كان هناك بعض من هُتات في المعجم قد يذكرها بعض النقاد فإن العمل الإنساني يبقى غير كامل. وما في المعجم من ميزات يفوق كثيراً هذه الهُتات، ويجعلنا نتمسك به بصفته أنموذجاً عصرياً للمعجم العربي جديراً بالتقدير. ومظاهر النقد هذه التي توجّه إلى طبيعة تصنيف الأفعال من الأصولين الواوي واليائي لا تتعلق في نهاية المطاف بهدف بحثنا، وهو استقصاء معاني الأفعال الواردة على صيغة (فَعَلَ) في بعض حالاتها، أكان الفعل لازماً أم متعدياً.

8. توسيع الحقل الدلالي، للفعل الثلاثي من صيغة فَعَلَ، ليبليغ الظرف أو

الجار والمجرور

يسمح لنا تتبّع الأفعال الثلاثية المزيدة بتضعيف عينها في صيغة: فَعَلَ، بأن نلاحظ وجود حالات يكون فيها الأصل الثلاثي المجرد (فَعَلَ) مرتبطاً بالظرف أو الجار والمجرور، ثم تبقى هذه الصلة مستمرة في صيغة: فَعَلَ. ومن أمثلة الارتباط بالجار والمجرور: "تَفَخَّ بفمه ونَفَخَ بفمه؛ ونَقَرَ عن الأمر، ونَقَرَ عنه؛ ووَحَشَ بثوبه وسلاحه ووَحَشَ بهما؛ وورَكَ على الأمر وورَكَ عليه". وأفعال هذه الأمثلة كلها، كما نلاحظ، لازمة.

ومن أمثلة الارتباط بالظرف: "أَرَجَ بين الناس وأَرَجَ بينهم؛ وأَسَا (يأسو) بينهما وأسَى بينهما؛ وأَشَبَّ الأمرُ بينهم وأَشَبَّ فلانٌ بينهم؛ وحرَّشَ بينَ القومِ وحرَّشَ بينهم؛ وفرَّعَ بينَ المتخاصمين وفرَّعَ بينهم؛ وفرَّقَ بينَ المتشابهين وفرَّقَ بينهما، ... إلخ". وأفعال هذه الأمثلة كلها، كما نلاحظ، لازمة أيضاً.

ولكننا نجد، في حالات أخرى، أن بعض أفعال صيغة: فَعَلَ، اللازمة، يقتزن بالظرف أو بالجار والمجرور، الذي لا يكون مقترناً به أصله المجرد. وهذا ما أطلقنا عليه سمة: توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه. وفيما يلي التفصيل الذي يجيب عن سؤالي البحث، ويحقق هدفه.

1.8. توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي اللازم من صيغة: فَعَلَ، ليبليغ الظرف أو الجار

والمجرور

1.1.8 توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي اللازم من صيغة: فَعَلَ، ليبليغ الظرف

من أمثلة هذه الحالة:

- **الفعل:** "خلا"، اللازم، غير المقترن بظرف، مثل: "خلا المكانُ والإناءُ وغيرُهما يخلُو خُلُوءًا: فرَغَ مما به. ويُقال: خلا فلانٌ، وخلا من الهم، وخلا المكانُ من أهله، وعن أهله. وخلا

..... من أسرار صيغة فعلٍ

- فلانٌ من العيب: برئ منه. ويُقال: خلا فلانٌ من الذمِّ، وهو منه خلاءٌ. وأفعل كذا وخلاكَ ذمٌّ: أعذرتَ وسقطَ عنكَ الذمُّ. وخلا الشَّيءُ: مضى وذهب... (ص 254).
- فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلْ، صار متعدياً في الأعم الأغلب، غيرَ مقترنَ بظرف، ولازماً في حالة اقترانه بالظرف، مثل: "خَلَّى بينهما: تركهما مجتمعين" (ص 254).
- والفعلُ: "رَقَّ"، اللازم غير المقترن بظرف، مثل: "رَقَّ فلانٌ يَرِقُّ رِقَّةً: دَقَّ ونَحَفَ وَلَطَفَ. ورقَّ عظمُهُ: ضعُفَ، أو كَبِرَ أو أَسَنَّ. ورقَّ عددهُ: نقصَ عمرُهُ، وذهبَ جُلْدُهُ وقوَّتُهُ. ورقَّتْ حالُهُ: ساءتَ وقلَّ مالُهُ. ورقَّ: لَانَ وسهَّلَ..." (ص 365).
- فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلْ كان له ثلاثة معانٍ متعدية غير مقترنة بظرف، وواحد لازم يقترن فيه بالظرف، مثل: "رَفَّقَ بينهما: أفسد" (ص 366).
- والفعلُ: "سَوَّى"، اللازم غير المقترن بظرف، مثل: "سَوَّى الرَّجُلُ يَسَوِي سَوًى: استنقَمَ أمرُهُ" (ص 466).
- فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلْ كان له معنيان متعديان لا يقترن فيهما بظرف، وواحد لازم يقترن فيه بالظرف، مثل: "سَوَّى بينهما: ساوَى... وساوَى بينهما: جعلهما يتماثلان ويتعادلان" (ص 466).
- والفعلُ: "قَلَصَ"، اللازم غير المقترن بظرف، مثل: "قَلَصَ الشَّيءُ يَقْلِصُ قُلُوصًا: تَدَانَى وانضمَّ. وقَلَصَ الثَّوبُ بعدَ الغَسْلِ: انكمشَ وقَصُرَ. وقَلَصَ الظِّلُّ عَنِّي: انقبضَ ونقصَ. وقَلَصَتِ الشَّفَّةُ: شَمَرَتْ. وقَلَصَتِ البئرُ أو الغديرُ: ذهبَ أكثرُ مائه. وقَلَصَ القومُ: اجتمعوا فساووا. وقَلَصَ الرَّجُلُ: ذهبَ. وقَلَصَتُ نَفْسُهُ: غَتَّتْ" (ص ص 654-755).
- فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلْ كان له معنىً متعدٍ لا يقترن فيه بظرف، وأربعة لازمة يقترن في واحد منها بالظرف، مثل: "قَلَّصَ بينَ الرَّجُلَيْنِ: خَلَّصَ بينهما في سُبَابٍ أو قتال" (ص 755).
- والفعلُ: "هَرَشَ، هَرِشَ"، اللازم غير المقترن بظرف، مثل: "هَرَشَ الدَّهْرُ يَهْرِشُ هَرَشًا:

اشْتَدَّ. وَهَرَشَ فَلَانٌ يَهْرَشُ هَرَشًا: سَاءَ خُلُقُهُ" (ص 981).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ بَقِيَ لَازِمًا وَاقْتَصَرَ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مُقْتَرِنٍ بِالظَرْفِ،
مِثْلُ: "هَرَشَ فَلَانٌ بَيْنَ الْكِلَابِ أَوْ نَحْوِهَا: هَارَشَ (حَرَسَ). وَيُقَالُ: هَرَشَ بَيْنَ النَّاسِ: أَفْسَدَ"
(ص 981).

● والفعلُ: "مَالَ"، اللّازم غير المقترن في أيٍّ من معانيه بظرف، مثل: "مَالَ الشَّيْءُ يَمِيلُ مِيلًا،
وَمِيلَانًا: زَالَ عَنْ اسْتَوَائِهِ. يُقَالُ: مَالَ الْحَائِطُ: لَمْ يَكُنْ مُسْتَقِيمًا. وَمَالَتِ الشَّمْسُ: زَالَتْ عَنْ
كِبِدِ السَّمَاءِ. وَمَالَ الْغَصْنُ: حَرَكَهُ النَّسِيمُ. وَمَالَ عَنْهُ: حَادَ وَعَدَلَ... وَمَالَ إِلَيْهِ: أَحْبَبَهُ
وَانْحَاذَ لَهُ. وَمَالَ عَلَيْهِ: جَارَ وَظَلَمَ..." (ص 894).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنَيَانِ: مُتَعَدِّ لَا يَقْتَرِنُ فِيهِ بِظَرْفٍ، وَلَازِمٌ يَقْتَرِنُ
فِيهِ بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "مِيلَ فَلَانٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: تَرَدَّدَ" (ص 894).

● والفعلُ: "هَاشَ"، اللّازم غير المقترن في أيٍّ من معانيه بظرف، مثل: "هَاشَ الْقَوْمُ يَهْشُونَ
هَوَشًا: هَاجُوا وَاضْطَرَبُوا. وَهَاشَ الْقَوْمُ: وَقَعُوا فِي فُسَادٍ. وَهَاشَتِ الْإِبِلُ وَنَحْوُهَا: نَفَرَتْ مِنْ
الْغَارَةِ فَتَقَرَّقَتْ وَتَبَدَّدَتْ. وَيُقَالُ: هَشْتُ إِلَى فَلَانٍ: خَفْتُ إِلَيْهِ وَنَهَضْتُ. فَهُوَ هَاشٌ، وَهِيَ
هَاشَةٌ" (ص 999).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنَى مُتَعَدِّ لَا يَقْتَرِنُ فِيهِ بِظَرْفٍ، وَاثْنَانِ لَازِمَانِ
يَقْتَرِنُ فِي أَحَدِهِمَا بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "هَوَشَ فَلَانٌ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَفْسَدَ" (ص 999).

● والفعلُ: "وَرَعَ"، اللّازم غير المقترن بظرف، مثل: "وَرَعَ يَرَعُ وَرَعًا، وَوَرَعًا، وَرِعَةً:
تَحَرَّجَ وَتَوَقَّى عَنِ الْمَحَارِمِ؛ ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِلْكَفِّ عَنِ الْحَلَالِ الْمُبَاحِ. فَهُوَ وَرِعٌ. وَوَرَعَ يَرَعُ
وَرَعًا، وَوَرِعَةً، وَوَرَاعًا، وَوَرُوعَةً: جَبْنٌ. وَوَرَعَ: ضَعْفٌ. وَوَرَعَ: صَغَرٌ. فَهُوَ وَرِعٌ.
جَمْعُهُ أَوْرَاعٌ. وَوَرَعَ يَرَعُ، وَيَوْرُعُ وَرَعًا، وَرِعَةً: صَارَ وَرَعًا. وَوَرُعٌ يَوْرُعُ وَوَرُوعًا،
وَوَرَاعَةً: وَرَعَ" (ص 1025).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ جَاءَ مُتَعَدِّيًا فِي عِدَّةٍ مَعَانٍ لَا يَقْتَرِنُ فِيهَا بِالظَرْفِ،

..... من أسرار صيغة فَعَلَ

ولازماً في معنى واحدٍ يقترن فيه بالظرف، مثل: "وَرَعَ فلانٌ بينهما: حَجَرَ" (ص 1026).

2.1.8 توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي اللازم من صيغة فَعَلَ، ليلبغ الجار

والمجرور

من أمثلة هذه الحالة:

- **الفعل:** "أُنْتُ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "أُنْتُ فلانٌ يَأْنْتُ أَنْوَتَهُ، وَأَنَاَتَهُ: لَانَ. فهو أُنَيْتٌ" (ص 29).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ جاءَ متعدياً في معنى لا يقترن فيه بالجار والمجرور، ولازماً في آخر، يقترن فيه بهما، مثل: "أُنْتُ فلانٌ في الأمر: لَانَ ولم يَتَشَدَّدْ" (ص 29).

- **والفعل:** "جَوَقَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "جَوَقَ يَجَوِّقُ جَوَقًا: غَلِظَ عُنْقُهُ. وجَوَقَ الوجهُ: مَالَ. فهو أَجَوَّقُ، وهي جَوَقَاءُ. والجمع: جَوَّقٌ. وهو جَوِّقٌ" (ص 148).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ جاءَ متعدياً في معنى لا يقترن فيه بالجار والمجرور، ولازماً في آخر، يقترن فيه بهما، مثل: "جَوَّقَ القومُ عليه: ارتفعتْ أصواتُهُم واختلطتْ" (ص 148).

- **والفعل:** "ضَاءَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "ضَاءَ الشَّيْءُ: يَضُوءُ ضَوْءًا وضياءً: أَنَارَ وَأَشْرَقَ" (ص 546).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ جاءَ متعدياً في معنى لا يقترن فيه بالجار والمجرور، ولازماً في آخر مقترن بهما، مثل: "ضَوَّأَ عنه: مَالَ وَعَدَلَ" (ص 546).

- **والفعل:** "عَرَبَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "عَرَبَ فلانٌ يَعْرَبُ عَرَبًا: فَصَحَ بَعْدَ لُكْنَةٍ. وعَرِبَتِ المَعْدَةُ: فَسَدَتْ... وعَرِبَتِ المرأةُ: تَحَبَّيْتُ إلى زوجها. وعَرِبَ الماءُ: صَفَا. فهو عَرَبٌ وَعَرِبَ. وَعَرِبَ النهرُ: كَثُرَ مَاؤُهُ. فهو عَارِبٌ" (ص 590-591).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ كان له معانٍ كثيرة، متعدية لا يقترن فيها بالجار

والمجرور، أو لازمة يقترن في اثنين منها بهما، مثل: "عَرَّبَ فلانٌ عن صاحبه: تكلمَ عنه واحتجَّ. ويُقالُ: عَرَّبَ عنه لسانُهُ: أبانَ وأفصحَ... ويُقالُ: عَرَّبَ عليه كلامُهُ: قَبَّحَ عليه كلامُهُ" (ص 591).

• والفعلُ: "فَحَّشَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "فَحَّشَ القولُ والفعلُ يَفْحَشُ فَحْشًا: اشتدَّ قُبْحُهُ. وَفَحَّشَ الأمرُ: جاوزَ حدَّهُ فهو فاحشٌ، وَفَحَّاشٌ" (ص 675).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَّ بقي لازماً واقترن بالجار والمجرور، مثل: "فَحَّشَ فلانٌ بالشَّيْءِ: شَنَّ" (ص 675).

• والفعلُ: "فَاشَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "فَاشَ الرَّجُلُ يَفِيشُ فَيْشًا: افتخرَ وتكَبَّرَ، ولا شيءَ عنده. وفَاشَ فلانٌ فَيْشوشَةً: ضَعُفَ واسترخت أعضاؤه" (ص 708).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَّ بقي لازماً واقترن بالجار والمجرور، مثل: "فَيشَ فلانٌ عن الأمرِ: رَجَعَ عنه وَجِبْنَ" (ص 708).

• والفعلُ: "لَأَى"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "لَأَى فلانٌ يَلْأَى لَأِيًا: أَبْطَأَ. ولَأَى فلانٌ: احتبسَ" (ص 811).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَّ بقي لازماً واقترن بالجار والمجرور، مثل: "لَأَى فلانٌ في حاجته: أَبْطَأَ" (ص 811).

• والفعلُ: "مَرَضَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "مَرَضَ فلانٌ يَمْرَضُ مَرَضًا: فَسَدَتْ صَحَّتُهُ فَضَعُفَ. فهو مريضٌ، ومَرَضٌ... " (ص 863).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَّ كان له معنيان متعديان لا يقترن فيهما بالجار والمجرور، ومعنيان لازمان يقترن فيهما بهما، مثل: "مَرَضَ فلانٌ في الأمرِ: قَصَرَ فيه ولم يُحْكَمْ. يقالُ: مَرَضَ في حاجتي: نَقَصْتُ حركتَهُ فيها. ومَرَضَ في كلامه: ضَعَفَهُ" (ص 863).

..... من أسرار صيغة فَعَلَ

● **والفعلُ:** "مَكَّنَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "مَكَّنَ فلانٌ عندَ الناسِ يَمَكُنُ مكانةً: عَظُمَ عندهم. فهو مَكِينٌ. جمَعُهُ مَكْنَاءٌ. وفي التنزيل العزيز: (قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ)" (ص 881).

فإذا ضَعُفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ كان له معنيان متعديان لا يقترن فيهما بالجار والمجرور، وواحد لازمٌ يقترن فيه بهما، مثل: "مَكَّنَ له في الشَّيْءِ: جعلَ له عليه سلطاناً. وفي التنزيل العزيز: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ)" (ص 881).

● **والفعلُ:** "نَشَمَ" اللازم غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "نَشَمَ الشَّيْءُ يَنْشَمُ نَشْمًا: تَغَيَّرَتْ رائحتهُ. فهو نَشِمٌ. ويُقال: يَدُّ نَشِمةً: عُلِقَتْ بها رائحةٌ كريهةٌ ... " (ص 924).

فإذا ضَعُفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ بقي لازماً، وكان له ثلاثة معانٍ لازمةً، اقترن في أحدها بالجار والمجرور، مثل: "نَشَمَ في الأمرِ: ابتدأ فيه وأخذ. ويُقال: نَشَمَ في الشرِّ" (ص 924). ● **والفعلُ:** "نَغَرَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "نَغَرَتِ القِدْرُ تَنْغَرُ نَغْرًا، وَنَغِيرًا، وَنَغْرَانًا: غَلَتْ وفارت. وَنَغَرَ فلانٌ: غَلَى جوفُهُ من الغيظ. وَنَغَرَ الدَّمُ: انفجر. وَنَغَرَتِ القِدْرُ تَنْغَرُ نَغْرًا: نَغَرَتْ. وَنَغَرَ فلانٌ: نَغَرَ. فهو نَغَرٌ، وهي نَغْرَةٌ" (ص 936).

فإذا ضَعُفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ كان له معنيان: أحدهما متعدُّ لا يقترن فيه بالجار والمجرور، والآخر لازمٌ، يقترن فيه بهما، مثل: "نَغَرَ فلانٌ منه، وبه: صاح" (ص 936). ● **والفعلُ:** "وَبَصَّ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "وَبَصَّ البرقُ ونحوهُ يَبْصُ وَبِصًا، ووبيصًا، وبِصَّةً: لَمَعَ وبرق. ويُقال: وَبَصَّ القمرُ. ووبصَ الجَرُوءُ: فتَحَ إحدى عينيه. ووبصَتِ الأرضُ: كَثُرَ نَبْتُها... ووبصَتِ النَّارُ: أضاءَتْ" (ص 1008)

فإذا ضَعُفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ بقي لازماً، وكان له معنيان: اقترن في أحدهما بالجار والمجرور، مثل: "وَبَصَّ فلانٌ لفلانٍ بشيءٍ: أعطاه إيَّاه" (ص 1008).

● **والفعلُ:** "وُخْشَ"، اللازم، غير المقترن في أيٍّ من معنييه بالجار والمجرور، مثل: "وُخْشَ الشَّيْءُ يُوخْشُ وَخاشَةً، ووُخوشَةً، ووُخوشًا: ذَلَّ وصارَ رديئًا. ووُخْشَ يَبْسُ وتضاعَل" (ص 1019).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنِيَانِ لِأَزْمَانٍ، اقْتَرَنَ فِي ثَانِيهِمَا بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "وَحَشَّ فُلَانٌ لِفُلَانٍ بِالْعَطِيَّةِ: قَلَّلَهَا" (ص 1019).

• والفعلُ: "وَرِمَ"، اللّازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مِثْلُ: "وَرِمَ يَرِمُ وَرَمًا: انْتَفَخَ. وَوَرِمَ أَنْفُهُ: غَضِبَ. وَوَرِمَ النَّبْتُ: سَمَقَ وَطَالَ. فَهُوَ وَارِمٌ" (1027).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنِيَانِ مُتَعَدِّيَانِ لَا يَقْتَرَنُ فِيهِمَا بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، وَمَعْنَى لَازِمٍ يَقْتَرَنُ فِيهِ بِهِمَا، مِثْلُ: "وَرِمَ فُلَانٌ بِأَنْفِهِ: شَمَخَ وَتَكَبَّرَ" (ص 1027).

3.1.8 يتفرع عن هذه الحالة، الحالة التي يكون الثلاثي المجرد فيها لازماً غير

مقترن بجار ومجرور أو ظرف، ثم يصبح في صيغة: فَعَلَّ، في بعض معانيه متعدياً مقترباً بأحدهما

1.3.1.8 من أمثلة هذه الحالة على الاقتران بالظرف:

• **الفعلُ: "أَجَّ"**، اللّازم، غير المقترن بظرف، مِثْلُ: "أَجَّتِ النَّارُ تَوُجُّ أَجًّا، وَأَجِيًّا، وَأَجَّةً: تَلَهَّبَتْ وَتَوَفَّقَتْ، وَكَانَ لِلْهَيْبَةِ صَوْتُ ... وَأَجَّ الشَّيْءُ: لَمَعَ وَتَوَهَّجَ. وَأَجَّ النَّهَارُ: اشْتَدَّ حَرُّهُ. وَأَجَّ الْأَمْرُ: اخْتَلَطَ. وَأَجَّ الْمَاءُ أَجُوجًا وَأُجُوجَةً: مَلَحَ وَمَرَّ" (ص 6).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ، صار متعدياً، واقترن أحد معانيه الثلاثة بالظرف، مِثْلُ: "أَجَّجَ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ" (ص 6).

• **والفعلُ: "رَقَّ"** من الباب الثاني (فَعَلَ يَفْعُلُ)، اللّازم، غير المقترن بظرف، مِثْلُ: "رَقَّ (فُلَانٌ أَوْ الشَّيْءُ) يَرِقُّ رِقًّا وَرِقًّا وَرِقَّةً: دَقَّ وَنَحُفَ وَلَطَفَ. وَرَقَّ عَظْمُهُ: ضَعُفَ، أَوْ كَبُرَ وَأَسَنَّ. وَرَقَّ عَدْدُهُ: نَقَصَ عَمْرُهُ وَذَهَبَ جَلْدُهُ وَقُوَّتُهُ. وَرَقَّتْ حَالُهُ: سَاءَتْ وَقَلَّ مَالُهُ. وَرَقَّ فُلَانٌ: لَانَ وَسَهَلَ. يُقَالُ: رَقَّ جَانِبُهُ. وَرَقَّ لَهُ: رَحِمَهُ. وَرَقَّ فُلَانٌ: خَضَعَ وَذَلَّ..." (ص 365).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ صار متعدياً، واقترن في واحد من معانيه الأربعة بالظرف، مِثْلُ: "رَقَّقَ مَا بَيْنَهُمَا" (ص 365).

2.3.1.8 ومن أمثلتها على الاقتران بالجار والمجرور:

- **الفعل: "تأس"**، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "تأسَ الجَدِيُّ يَتَيْسُ تَيْسًا: صارَ تَيْسًا. وتَيْسَتِ العَنُرُ تَتَيْسُ تَيْسًا: صارَ قرناها كقرني الوعلِ في طولهما. فهي تَيْسَاء" (ص 91).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ صارَ متعديًا**، واقترن في واحد من معنييه بالجار والمجرور، مثل: "تَيْسَ فلانًا عن كذا: رَدَّه عنه وأبطلَ قوله" (ص 91).

- **والفعل: "سَوَّلَ"**، اللازم، غير المقترن في الجار والمجرور، مثل: "سَوَّلَ فلانٌ يَسُوْلُ سَوْلًا وسَوْلَةً: استرخى. يُقال: سَوَّلَ البطنُ. وسَوَّلَ فلانٌ: استرخى بطنُهُ. فهو أسوْلٌ، وهي سَوْلَاء. والجمع سُوْلٌ" (ص 465).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ صارَ متعديًا**، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "سَوَّلَ له الشرُّ: حَبَّبه إليه وسَهَّلَه له. يُقال: سَوَّلَت له نفسه كذا، وسَوَّلَ له الشَّيْطانُ كذا..." (ص 465).

- **والفعل: "لَدَّنَ"**، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "لَدَّنَ الشَّيْءُ يَلْدُنُ لَدَانَةً، وَلُدُونَةً: لَانَ. فهو لَدَنٌ. جمْعُهُ لَدَنٌ، وَلِدَانٌ. وهي لَدَنَةٌ. جمْعُها لِدَانٌ... وَلَدَنْتُ أخلاقَهُ: لَانَتْ وحسُنَتْ. وفلانٌ لَدَنُ الخليفة: لَيِّنُ العريكة" (ص 825).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ صارَ متعديًا**، واقترن في أحد معانيه بالجار والمجرور، مثل: "لَدَّنَ فلانًا في الأمر: لَيَّنَهُ" (ص 821).

- **والفعل: "مَزَّ"**، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "مَزَّ الشَّيْءُ أو الرَّجُلُ يَمَزُّ (كفرَح) مَزَازَةً: فضَّلَ غيره. فهو مَزِيْزٌ. ومَزَّ الشَّرَابُ مَزَازَةً ومُزَوَّزَةً: اشتدَّت حموضتُهُ. فهو مَزٌّ" (ص 866).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ صارَ متعديًا**، واقترن في واحد من معنييه بالجار والمجرور، مثل: "مَزَّزَ فلانًا بذلك الأمر: فَضَّلَهُ" (ص 866).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

• **والفعل:** "مَكَّنَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "مَكَّنَ فلانٌ عند الناس: يَمَكِّنُ مكانةً: عَظُمَ عندهم. فهو مَكِينٌ. جمعه مَكْنَاءٌ. وفي التنزيل العزيز: (قال: إِنَّكَ اليومَ لدينا مَكِينٌ أَمِينٌ)".

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَّلَ كان له معنى لَازِمٌ مقترن بالجار والمجرور، مثل: "مَكَّنَ له في الشيء: جعل له عليه سلطاناً. وفي التنزيل العزيز: (إِنَّا مَكَّنَّا له في الأرض)؛ ومعنيان متعديان يقترن في ثانيهما بالجار والمجرور، مثل: "مَكَّنَ فلاناً من الشيء: أَمَكَّنَهُ منه" (ص 881).

• **والفعل:** "وَرَعَ"، اللازم، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "وَرَعَ يَرَعُ وَرَعًا، وورَعَ، ورعة: تحرَّجَ وتوقَّى عن المحارم؛ ثم استُعِيرَ للكفِّ عن الحلال المُباح. فهو وَرَعٌ. وورَعَ يَرَعُ وَرَعًا، وورعة، وورَعَ، وورَعَ: جَبَنَ. وورَعَ: ضَعُفَ. وورَعَ: صَغُرَ. فهو وَرَعٌ. جمعه أوراغ. وورَعَ يَرَعُ، ويورُعُ وَرَعًا، ورعة: صارَ وَرَعًا. وورَعَ يورُعُ وَروعًا، ووراعة: وَرَعٌ" (ص 1025).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَّلَ جاء متعدياً في عدة معانٍ، يقترن في اثنين منها بالجار والمجرور، مثل: "وَرَعَ فلانٌ فلاناً عن الشيء: كَفَّهُ. وفي حديث عمر: (وَرَعَ عَنِّي في الدرهم والدرهمين)؛ أي كَفَّ عَنِّي الخصومَ بأن تقضيَ بينهم، وتنبَّأ عني في ذلك" (ص 1026). و"وَرَعَ الإبلَ عن الماء: رَدَّها" (ص 1026).

2.8. توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي المتعدي من صيغة فَعَّلَ، ليبُلِّغَ الجار والمجرور وهنا أيضاً نلاحظ وجود حالات يرتبط فيها معنى الثلاثي المجرد المتعدي بالظرف أو بالجار والمجرور، وتبقى هذه الصلة مستمرة في صيغة: فَعَّلَ. ومن أمثلة الارتباط بالظرف: "قَسَمَ القومُ الشيءَ بينهم وقَسَمُوا المالَ بينهم". ومن أمثلة الارتباط بالجار والمجرور: "عائته عن الأمر وعوَّته عن الأمر؛ وعاقه عنه وعوَّقه عنه؛ وعاضه منه وعنه، وعوَّضه منه وعنه؛ وفَصَّى اللحمَ عن العظم وفَصَّى اللحمَ عن العظم". والملاحظ أن أفعال الأمثلة كلها متعديّة.

..... من أسرار صيغة فَعَلَ

ولم نجد أفعالاً متعديةً من صيغة فَعَلَ اقترنت بظرف لم يكن ثلاثيها المجردً مقتراً به؛ ولذلك اقتصرنا في العنوان على الارتباط بالجار والمجرور. غير أننا وجدنا، في حالات أخرى، أن بعض أفعال صيغة: فَعَلَ، المتعدية، يقترن بالجار والمجرور الذي لا يكون مقتراً بهما أصله الثلاثي. وهذا ما أسميناه توسيع الحقل الدلالي للفعل المزيد بتضعيف عينه.

من أمثلة هذه الحالة:

• **الفعل:** "بَغَضَ"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "بَغَضَ الشَّيْءَ يَبْغِضُهُ بَغْضًا: مَقَّتَهُ وَكَرِهَهُ. فهو باغِضٌ، وبغوضٌ؛ والشَّيْءُ مبغوضٌ، وبغيضٌ" (ص 64).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَ بقي متعديًّا، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "بَغَضَهُ إِلَيْهِ: جَعَلَهُ يَبْغِضُهُ كَثِيرًا" (ص 64).

• **والفعل:** "حَرَّمَ"، المتعدّي إلى اثنين، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "حَرَّمَ فَلَانٌ فَلَانًا الشَّيْءَ يَحْرِمُهُ إِيَّاهُ حَرْمَانًا: مَنَعَهُ إِيَّاهُ" (ص 168).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَ بقي متعديًّا، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "حَرَّمَ الشَّيْءَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهِ: جَعَلَهُ حَرَامًا" (ص 169).

• **والفعل:** "حَفَظَ"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "حَفَظَ فَلَانٌ الْعُودَ وَنَحْوَهُ يَحْفُظُهُ حَفَظًا: حَنَاهُ. وحفظَ الشَّيْءَ: أَلْقَاهُ" (ص 185).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَ بقي متعديًّا، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "حَفَظَ الشَّيْءَ مِنْ يَدِهِ: حَفَظَهُ" (ص 185).

• **والفعل:** "حَلَّى"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "حَلَّى الْمَرْأَةَ يَحْلِيهَا حَلْيًا: جَعَلَ لَهَا حُلْيًا. وحلَّى المرأةَ والسَّيْفَ، وغيرهما: زَيَّنَّهَا بِالْحُلْيِ" (ص 195).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: فَعَلَ بقي متعديًّا، واقترن في أحد معانيه بالجار والمجرور، مثل: "حَلَّى الشَّيْءَ فِي عَيْنِ فَلَانٍ: زَيَّنَّهُ" (ص 195).

• **والفعل:** "حَاقَ"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "حَاقَ الْبَيْتَ

ونحوه: كَنَسَهُ" (ص 208).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ جَاءَ لَازِمًا فِي مَعْنَى اقْتَرَنَ فِيهِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، وَمَتَعِدِّيًا فِي مَعْنِيَيْنِ، اقْتَرَنَ فِي أَحَدِهِمَا بِهِمَا، مِثْلُ: "حَوَّقَ عَلَيْهِ: عَوَّجَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ وَخَلَطَهُ. وَيُقَالُ: حَوَّقَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ" (ص 208).

● **والفعلُ:** "رَازَ"، المتعدي إلى واحد، غير المقترن في أيٍّ من معانيه بالجار والمجرور، مِثْلُ: "رَازَهُ يَرُوزُهُ رَوَازًا: جَرَّبَهُ وَاخْتَبَرَهُ. وَرَازَ الدِّينَارَ: وَزَنَهُ حَتَّى يَعْلَمَ مَقْدَارَهُ. وَرَازَ الْحَجَرَ وَنَحْوَهُ: اخْتَبَرَهُ حَتَّى يَعْلَمَ ثِقْلَهُ. وَرَازَ صَنْعَتَهُ وَمَالَهُ: قَامَ عَلَيْهِمَا وَأَصْلَحَهُمَا..." (ص 382). فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ صَارَ لَهُ مَعْنِيَانِ مَتَعِدِّيَانِ، اقْتَرَنَ أُولُهُمَا بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "رَوَّزَ كَلَامَهُ وَرَأْيَهُ فِي نَفْسِهِ: رَوَّى فِي تَقْدِيرِهِ وَتَرْتِيبِهِ" (ص 382).

● **والفعلُ:** "زَنَرَ"، المتعدي إلى واحد، غير المقترن في أيٍّ من معانيه بالجار والمجرور، مِثْلُ: "زَنَرَهُ يَزْنَرُهُ زَنْرًا: أَلْبَسَهُ الزَّنَّارَ. وَزَنَرَ الْإِنَاءَ: مَلَأَهُ" (ص 403).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ صَارَ لَهُ مَعْنَى لَازِمٌ لَا يَقْتَرَنُ فِيهِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، وَمَعْنِيَانِ مَتَعِدِّيَانِ، اقْتَرَنَ أُولُهُمَا بِهِمَا، مِثْلُ: "زَنَّرَ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَبِهَا: دَقَّقَ النَّظَرَ فِيهِ وَحَدَّقَ" (ص 403).

● **والفعلُ:** "عَلَّكَ"، المتعدي إلى واحد، غير المقترن في أيٍّ من معانيه بالجار والمجرور، مِثْلُ: "عَلَّكَ الْعِلَّكَ وَغَيْرَهُ يَعْلُكُهُ عَلَّكَ: مَضَغَهُ وَأَدَارَهُ فِيهِ. وَعَلَّكَتِ الدَّابَّةُ اللَّجَامَ: لَاكَتْهُ وَحَرَّكَتُهُ فِي فِيهَا. وَعَلَّكَ نَابِيَّهُ: حَكَّ أَحَدَهُمَا بِالْآخِرِ فَحَدَّثَ بَيْنَهُمَا صَوْتًا" (ص 623).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنِيَانِ مَتَعِدِّيَانِ، اقْتَرَنَ ثَانِيَهُمَا بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "عَلَّكَ يَدِيهِ عَلَى مَالِهِ: شَدَّهُمَا بُخْلًا" (ص 623).

● **والفعلُ:** "كَرِهَ"، المتعدي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مِثْلُ: "كَرِهَ الشَّيْءَ يَكْرَهُهُ كُرْهًا، وَكَرَاهَةً، وَكَرَاهِيَةً: خِلَافُ أَحَبَّهُ. فَهُوَ كَرِيهٌ وَمَكْرُوهٌ" (ص 785).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنَى وَاحِدٌ مَتَعِدٍّ مَقْتَرِنٌ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ:

..... من أسرار صيغة فعلٍ

"كَرَّهَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ: صَبَّرَهُ كَرِيهًا" (ص 785).

- والفعلُ: "لَبَسَ"، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور إلا نادرًا، مثل: "لَبَسَ فُلَانٌ الثَّوْبَ: يَلْبَسُهُ لُبْسًا: اسْتَتَرَ بِهِ. وَيُقَالُ: لَبَسَ الْحَيَاءَ. وَيُقَالُ: لَبَسَ قَوْمًا: تَمَلَّى بِهِمْ دَهْرًا. وَلَبَسَ النَّاسَ: عَاشَ مَعَهُمْ. وَلَبَسَ فُلَانٌ فُلَانَةً عُمُرَهُ: كَانَتْ مَعَهُ شَبَابَهُ كُلَّهُ. وَلَبَسَ فُلَانًا عَلَى مَا فِيهِ: احْتَمَلَهُ وَقَبِلَهُ. وَلَبِسْتُ عَلَى كَذَا أُذُنِي: تَصَامَمْتُ عَنْهُ. وَجَاءَ لَابِسًا أُذُنِيهِ: مُتَغَافِلًا" (ص 812).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنِيَانِ لِأَمْرَانِ لَا يَقْتَرِنُ فِيهِمَا بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، وَمَعْنَى وَاحِدٌ مُتَعَدِّ اقْتَرَنَ فِيهِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، لِيَتَّضِحَ مَعْنَاهُ مِثْلُ: "لَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: خَلَطَهُ" (ص 912).

- والفعلُ: "نَزَّهَ"، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن معناه بالجار والمجرور، مثل: "نَزَّهَ فُلَانٌ الدَّوَابَّ يَنْزَهُهَا نَزْهًا: أَبْعَدَهَا عَنِ الْمَاءِ" (ص 915).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنَى وَاحِدٌ مُتَعَدِّ مُقْتَرِنٌ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "نَزَّهَهُ عَنِ الشَّيْءِ: أَبْعَدَهُ عَنْهُ. يُقَالُ: نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْإِقْدَارِ" (ص 912).

- والفعلُ: "هَابَ"، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن معناه بالجار والمجرور، مثل: "هَابَ فُلَانٌ فُلَانًا يَهَابُهُ هَيْبًا، وَمَهَابَةً: أَجَلَةً وَأَعْظَمَةً. فَهُوَ هَائِبٌ. وَيُقَالُ لِلْمَبَالْغَةِ: هَيْبٌ، وَهَيْبَانٌ، وَهَيْبٌ، وَهَيْبِيَّةٌ، وَاسْمُ الْمَفْعُولِ: مَهُوبٌ، وَمَهْيِبٌ... وَهَابَهُ يَهْيِبُهُ هَيْبَةً: هَابَهُ" (ص 1002).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنَى وَاحِدٌ مُتَعَدِّ مُقْتَرِنٌ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "هَيْبَ فُلَانٌ الشَّيْءَ إِلَى فُلَانٍ: جَعَلَهُ مَهْيِبًا عَنْدهُ" (ص 1002).

1.2.8 يتفرع عن هذه الحالة، الحالة التي يكون الفعل الثلاثي المجرد فيها متعديًا غير

مقترن بظرف أو جار ومجرور، ثم يصبح في صيغة: فعلٍ لازمًا مقترنًا بأحدهما

1.1.2.8 فمن أمثلة الاقتران بالظرف:

- الفعلُ: "أَكَلَ"، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن بظرف، مثل: "أَكَلَ الطَّعَامَ يَأْكُلُهُ أَكْلًا: مَضَعَهُ

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وَبَلَعَهُ... وَأَكَلَ مَالَهُ أَوْ حَقَّهُ: استباحه... وَأَكَلَ فَلَانًا أَوْ لَحْمَهُ: اغتابه. وَأَكَلَ عَمْرَهُ: هَرَمَ وتَحَاتَّتْ أَسْنَانُهُ... (ص 22).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ مَعَانٍ مُتَعَدِّيَةٍ غَيْرِ مُقْتَرَنَةٍ بِظَرْفٍ، وَوَاحِدٍ لَازِمٍ يَقْتَرِنُ فِيهِ بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "أَكَلَ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَكَلَ... أَكَلَ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَغْرَى بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ بِالنَّمَانِ" (ص 22).

• والفعل: "أَلَفَ"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بالظرف، مثل: "أَلَفَ فَلَانًا يَأْلَفُهُ الْفَاءُ، وَالْفَاءُ، وَالْإِفَاءُ: أُنِيسَ بِهِ وَأَحْبَبَهُ. فَهُوَ أَلَفٌ. جَمْعُهُ أَلَافٌ. وَهُوَ أَلِيفٌ أَيْضًا. جَمْعُهُ أَلَفَاءٌ. وَيُقَالُ فِي الْمِثْلِ: (هُوَ أَلَفٌ مِنْ كَلْبٍ). وَيُقَالُ: هُوَ مِنْ أَوَالِفِ الطَّيْرِ: دَوَاجِنُهَا" (ص 23).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ مَعَانٍ مُتَعَدِّيَةٍ لَا يَقْتَرِنُ فِيهَا بِالظَرْفِ، وَاثْنَانِ لَازِمَانِ يَقْتَرِنُ فِي أَحَدِهِمَا بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "أَلَفَ بَيْنَهُمَا: جَمَعَ" (ص 24).

• والفعل: "فَخَذَ"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بظرف، مثل: "فَخَذَ فَلَانٌ فَلَانًا يَفْخُذُهُ فَخَذًا: أَصَابَ فَخَذَهُ" (ص 676).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ كَانَ لَهُ مَعْنِيَانِ: مُتَعَدٍّ غَيْرِ مُقْتَرَنِ بِظَرْفٍ، وَلَازِمٍ اقْتَرَنَ فِيهِ بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "فَخَذَ فَلَانٌ بَيْنَ الْقَوْمِ: فَرَّقَ" (ص 676).

2.1.2.8 ومن أمثلة الاقتران بالجار والمجرور:

• الفعل: "أَثَرَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية: (فَعَلَ يَفْعُلُ) مُتَعَدِّيًا دَائِمًا غَيْرِ مُقْتَرَنٍ بِجَارٍ وَمَجْرُورٍ فِي مِثْلِ: "أَثَرُهُ يَأْثُرُهُ أَثَرًا، وَأَثَارَةٌ، وَأَثَرَةٌ، وَأَثَرَى: تَبَعَ أَثَرُهُ. وَأَثَرَ الْحَدِيثَ: نَقَلَهُ، وَرَوَاهُ عَنْ غَيْرِهِ. وَأَثَرَ السَّيْفَ، وَغَيْرَهُ أَثَرًا وَأَثَرَةً: تَرَكَ فِيهِ عَلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا. وَأَثَرَ فَلَانٌ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا: اخْتَارَ فِعْلَهُ" (ص 5).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ عَادَ لَازِمًا وَاقْتَرَنَ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "أَثَرَ فِيهِ: تَرَكَ فِيهِ أَثَرًا" (ص 4).

• والفعل: "أَشْرَ"، المتعدّي إلى واحد، غير المقترن بجار ومجرور، مثل: "أَشْرَ فَلَانٌ الْخَشَبَةَ

..... من أسرار صيغة فعلٍ

- وغيرها يأشُرُها أَشْرًا: نشرَها. وَأَشَرَ الأسنان: حَزَّها ورقَّقَ أطرافها" (ص 19).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** عادَ لازِمًا واقتَرَنَ بالجار والمجرور، مثل: "أَشَرَ على الكتاب: وضعَ عليه إشارةً برأيه" (ص 19).
- **والفعلُ: "بَقَطَ"**، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "بَقَطَ فلانٌ متاعَهُ يَبْقِطُهُ بَقْطًا: جمَعَهُ وحزَمَهُ. وبَقَطَ الرَّجُلُ: أعطاه بُسْطَانًا على التُّلْتِ أو الرُّبْعِ، أو سواهما" (ص 65).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** صارَ لازِمًا، واقتَرَنَ في واحد من معنييه بحرف الجر، مثل: "بَقَطَ فلانٌ في الجبل: صَعِدَ" (ص 65).
- **والفعلُ: "بَلَعَ"**، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "بَلَعَ الماءَ والرَّيْقَ يَبْلَعُهُ بَلْعًا: جَرَعَهُ. فهو بَالِعٌ وبلُوعٌ" (ص 69).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** صارَ لازِمًا، واقتَرَنَ بالجار والمجرور، مثل: "بَلَعَ الشَّيْبُ في رأسه: بدا وظهرَ" (ص 65).
- **والفعلُ: "شَفَرَ"**، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "شَفَرَهُ يَشْفُرُهُ شَفْرًا: أصابَ شُفْرَهُ (حرفه). وشَفَرَهُ: أصابَ حرفَهُ" (ص 486).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** صارَ لازِمًا، واقتَرَنَ في واحد من معانيه الثلاثة بالجار والمجرور، مثل: "شَفَرَ على الأمر: أشرف ودنا منه" (486).
- **والفعلُ: "شَهَرَ"**، المتعدِّي إلى واحد، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "شَهَرَهُ يَشْهَرُهُ شَهْرًا: أعلنه وأذاعه. وشَهَرَ السَّيْفَ: سلَّه من غِمْدِهِ ورفعَهُ. وشَهَرَ العَقْدَ: وثَّقَهُ في إدارة الشَّهر العقاري" (ص 498).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** صارَ له معنيان: متَعَدٍّ غير مقترن بالجار والمجرور، ولازِمٌ مقترن بهما، مثل: "شَهَرَ به: أذاع عنه السَّوءَ" (ص 498).
- **والفعلُ: "فَرَزَ"**، الذي يكون في صورته الثلاثية (فعلٌ يفعلُ) متَعَدِّيًا دائمًا في مثل: "فَرَزَ

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الشيء والنصيب يفرزه فرزاً: مَيَّزَهُ ونَحَّاهُ. وفرزت مسام الجسد العرق، والغدة اللعاب: رشحته وأخرجته. يُقال: فرزه منه، وفرزه عنه. وفرز القطن ونحوه: فصل رديئه عن جيده" (ص 680).

إذا ضُعِفَتْ عينُه في صيغة: فَعَلَ صارَ لازماً، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "فَرَزَ عليه برأيه تفريزاً وتفريزة: قطع عليه به" (ص 680).

• والفعل: "مَكَّ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فعل يفعل) متعدياً دائماً، مثل: "مَكَّ العظم بمكّه مكاً: مصّ جميع ما فيه. ومكّ غريمه: ألحّ عليه في الاقتضاء. ومكّ الشيء: نقصه أو أهلكه" (ص 881).

إذا ضُعِفَتْ عينُه في صيغة: فَعَلَ صارَ لازماً، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "مَكَّ على غريمه: مكّه" (ص 881).

3.8. توسيع الحقل الدلالي، للفعل الثلاثي اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر، ليبلغ، في

صيغة فَعَلَ، الظرف أو الجار والمجرور

نلاحظ هنا أيضاً وجود حالات يقترن فيها الثلاثي المجرد اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر بالظرف أو الجار والمجرور، وتبقى هذه الصلة مستمرة في صيغة: فَعَلَ، مثل: "أَرَجَ بين الناس وأرج بينهم؛ وأشب الأمر بينهم وأشب فلان بينهم (الفعل لازم)؛ وفلج الطعام بينهم وفلجهم بينهم؛ وألب عليه الناس وألب عليه الناس (الفعل متعدّ)".

ولكننا بالمقابل نجد في حالات أخرى أن بعض أفعال صيغة: فَعَلَ، اللازمة حيناً والمتعدية حيناً آخر، يقترن بالظرف أو الجار والمجرور، اللذين لا يكون مقترناً بهما أصله الثلاثي المجرد. وفيما يأتي تفصيل ذلك.

1.3.8. توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي من صيغة فَعَلَ، اللازم حيناً والمتعدي حيناً

آخر، ليبلغ الظرف

من أمثلة هذه الحالة:

..... من أسرار صيغة فعلٍ

• **الفعل: "أَلَبَّ"**، اللازم حيناً والمتعدّي حيناً آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "أَلَبَّ القومُ يَأْلِبُونَ أَلْبًا: تَجَمَّعُوا. وَأَلَبَّتِ السَّمَاءُ: دَامَ مَطَرُهَا. فَهِيَ أَلُوبٌ. وَأَلَبَّ الزَّرْعُ أَوْ النَّخْلُ: أَفْرَحَ ... وَأَلَبَّ فُلَانٌ القومَ وَغَيْرَهُمْ: جَمَعَهُمْ. وَأَلَبَّ عَلَيْهِ النَّاسُ: حَرَضَهُمْ" (ص 23).

فإذا ضُعِّقَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ بَقِيَ مُتَعَدِّيًا وَلَا زَمًا، وَكَانَ لَهُ مَعْنِيَانِ مُتَعَدِّيَانِ لَا يَقْتَرِنُ فِيهِمَا بِظَرْفٍ، وَمَعْنَى لَا زَمٍ يَقْتَرِنُ فِيهِ بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "أَلَبَّ فُلَانٌ بَيْنَ القومِ: أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ" (ص 23).

• **والفعل: "حَاطَ"**، اللازم حيناً والمتعدّي حيناً آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "حَاطَ القومُ بالبلدِ: يَحِيطُونَهُ حَوَاطًا، وَحَيْطَةً، وَحِيَاظَةً: أَحَاطُوا بِهِ... وَحَاطَ الصَّبِيُّ: شَدَّ حَوْلَ وَسَطِهِ الحَوَاطَ" (ص 207).

فإذا ضُعِّقَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ بَقِيَ مُتَعَدِّيًا وَلَا زَمًا، وَاقْتَرَنَ مَعْنِيَاهُ اللَّازِمَانِ بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "حَوَاطَ حَوْلَ الشَّيْءِ: أَدَارَ عَلَيْهِ التَّرَابَ وَغَيْرَهُ، حَتَّى جَعَلَهُ مُحِيطًا بِهِ. وَحَوَاطَ حَوْلَ الأَمْرِ: حَاطَ" (ص 208).

• **والفعل: "خَلَّ"**، اللازم حيناً والمتعدّي حيناً آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "خَلَّ يَخُلُّ وَيَخْلُ خَلًّا وَخُلُولًا: صَارَ فِيهِ خَلٌّ. وَيُقَالُ: خَلَّ العَسْكَرُ: كَانَ غَيْرَ مُتَضَامٍّ. وَخَلَّ لِحْمُهُ: قَلَّ وَنَحُفَّ. وَخَلَّ فُلَانٌ: افْتَقَرَ وَاحْتَاَجَ. وَيُقَالُ: خَلَّ إِلَيْهِ ... وَخَلَّ الإِبِلَ يَخْلُهَا خَلًّا: حَوَّلَهَا إِلَى الخَلَّةِ لِتَرْعَاهَا... وَخَلَّ الكَسَاءَ وَغَيْرَهُ: جَمَعَ أَطْرَافَهُ بِخِلَالٍ. وَيُقَالُ: خَلَّ ثَوْبُهُ عَلَيْهِ. وَخَلَّ فُلَانًا بِالرَّمَحِ: طَعَنَهُ ..." (ص 252).

فإذا ضُعِّقَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَّ بَقِيَ مُتَعَدِّيًا وَلَا زَمًا، وَاقْتَرَنَ فِي أَحَدِ مَعَانِيهِ اللَّازِمَةُ بِالظَرْفِ، مِثْلُ: "خَلَّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ: فَرَجَّ" (ص 253).

• **والفعل: "سَبَقَ"**، اللازم حيناً والمتعدّي حيناً آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "سَبَقَهُ إِلَى الشَّيْءِ يَسْبِقُهُ سَبَقًا تَقَدَّمَه. يُقَالُ: سَبَقَ الفَرَسُ فِي الحَلْبَةِ: جَاءَ قَبْلَ الأَفْرَاسِ. وَسَبَقَ عَلَى قَوْمِهِ: عَلَاهُمْ كَرَمًا" (ص 414).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** بقي متعدّيًا ولازمًا، وكان له معنى واحدٌ متعدّدٌ لا يقترن فيه بظرف، وثلاثة لازمة اقترن في واحد منها بالظرف، مثل: "سَبَقَ بين الخيل: سابق" (ص 414).

• **والفعل:** "شَرِكَ"، اللازم حينًا والمتعدّي حينًا آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "شَرِكْتَ النَّعْلَ تَشْرِكُ شَرَكًا: انقطع شراكها. وشَرِكَ فلانٌ فلانًا في الأمر شَرَكًا، وشَرِكَةً، وشَرَكَةً: كان لكل منهما نصيب منه. فهو شَرِيكٌ" (ص 480).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** بقي متعدّيًا ولازمًا، وكان له عدة معانٍ: متعدّية لا يقترن فيها بظرف، وأخرى لازمة يقترن في واحد منها بالظرف، مثل: "شَرِكَ فلانٌ بين القوم: جعلهم شركاء" (ص 480).

• **والفعل:** "ضَرَبَ" الواسع الطيف، الغني المعاني لازمًا ومتعدّيًا، الكثير الاقتران بحرف الجر، غير المقترن بالظرف في أيٍّ منها، مثل: "ضَرَبَ الشَّيْءُ يَضْرِبُ ضَرْبًا، وضَرْبَانًا: تحرّك. وضَرَبَ القلبُ: نَبَضَ... وضَرَبَ الرَّجُلُ في الأرض: ذَهَبَ وأبعد... وضَرَبَ عن الأمر: كَفَّ... وضَرَبَ الشَّيْءُ ضَرْبًا، وتَضَرَّبًا: أصابَهُ وصدَمَهُ... إلخ" (ص 536).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** بقي متعدّيًا ولازمًا، واقترن في أحد معانيه اللازمة بالظرف، مثل: "ضَرَبَ بين القوم: أغرى بعضهم ببعض" (ص 536).

• **والفعل:** "قَرَشَ"، اللازم حينًا والمتعدّي حينًا آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "قَرَشَ الشَّيْءُ يَقْرِشُهُ قَرَشًا: جمعه من ها هنا وها هنا، وضمَّ بعضه إلى بعض. ويُقال: قَرَشَ لعياله: كَسَبَ. وقَرَشَ من الطعام: أصابَ منه قليلاً. ويُقال: قَرَشَ في معيشته: ضَيَّقَ" (ص 726).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** كان له معنيان: متعدّدٌ لا يقترن فيه بظرف، ولازمٌ يقترن فيه بالظرف، مثل: "قَرَشَ بين القوم: حرَّسَ وأغرى ووشى" (ص 726).

• **والفعل:** "وَشَجَّ"، اللازم حينًا والمتعدّي حينًا آخر، غير المقترن بظرف، مثل: "وَشَجَّ الشَّيْءُ يَشْجُ وَشَجًّا، ووَشِجًا: تداخل وتشابك والتفّ. يُقال: وشجت العروق والأغصان، ووَشجت

..... من أسرار صيغة فعلٍ

في قلبه أمورٌ وهمومٌ، ووشجت به، وإليه قرابةُ فلان. ووشجَ مَحْمَلَةٌ: شبكه بقدٍ أو شريطٍ أو نحوهما؛ لئلا يسقطَ منه شيءٌ. ووشجَ قرابتهُ: شبكها ووصلها. فهو واشجٌ" (ص 1033).
فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** كان له معنيان: **متعدٍّ لا يقترن فيه بظرف، ولازمٌ يقترن فيه بالظرف**، مثل: **"وَشَجَ بَيْنَ الْقَوْمِ: خَلَطَ وَأَلَفَ"** (ص 1033).

• **والفعلُ: "وَفَّقَ"**، اللازمُ حيناً والمتعدِّي حيناً آخر، غير المقترن بظرف، مثل: **"وَفَّقَ الْأَمْرُ يَفْقُ وَفَقًا: كَانَ صَوَابًا مُوَافِقًا لِلْمُرَادِ. وَوَفَّقَ الْأَمْرَ: صَادَقَهُ مُوَافِقًا لِإِرَادَتِهِ. وَوَفَّقَ الْأَمْرَ: فَهَمَهُ"** (ص 1046).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** جاءَ متعدِّيًا في معنيين لا يقترن فيهما بظرف، ولازمًا في معنيين آخرين يقترن فيهما بالظرف، مثل: **"وَفَّقَ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحَ. وَوَفَّقَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْتَلِفَةِ: ضَمَّهَا بِالْمُنَاسِبَةِ"** (ص 1046).

2.3.8. توسيع الحقل الدلالي للفعل الثلاثي من صيغة فعلٍ، اللازم حيناً والمتعدِّي

حيناً آخر، ليبلغ الجار والمجرور

ومن أمثلة هذه الحالة:

• **الفعلُ: "أَدَا"**، اللازمُ حيناً والمتعدِّي حيناً آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: **أَدَا فلانٌ يَأْدُو أدوًا: مشى مشيًا ليس بالسريع ولا بالبطيء. وأَدَا اللَّبَنُ: خَثَرَ. وَأَدَى اللَّبَنُ أدوًا، وأدِيًا: مَخَضَهُ. وَأَدَا لِلطَّبِيِّ ونحوه: خَدَعَهُ لِيَصِيدَهُ. ويُقالُ: أَدَا فلانًا، وله"** (ص 10).

فإذا ضُعِفَتْ عينُهُ في صيغة: **فَعَلَ** صارَ متعدِّيًا فقط، واقترنَ في واحد من معانيه بالجار والمجرور، مثل: **"أَدَى إِلَيْهِ الشَّيْءُ"** (ص 10).

• **والفعلُ: "بَرَحَ"**، اللازمُ حيناً والمتعدِّي حيناً آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: **"بَرَحَ يَبْرَحُ بَرَحًا، وَبَرَحًا، وَبُرْحًا: زَالَ. يُقَالُ فِي الْاسْتِمْرَارِ: مَا بَرَحَ يَفْعَلُ كَذَا. وَصَارَ فِي الْبَرَّاحِ. وَيُقَالُ: بَرَحَ الْخَفَاءُ: وَضَحَ الْأَمْرُ. وَبَرَحَ مَكَانُهُ: زَالَ عَنْهُ وَغَادَرَهُ. فَهُوَ بَارِحٌ"** (ص 47).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَ صَارَ لَازِمًا فَقَطْ، وَاقْتَرَنَ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، فِي مَعَانِيهِ كُلِّهَا، مِثْلُ: "بَرَّحَ اللَّهُ عَنْهُ: كَشَفَ عَنْهُ الْبَرَحَ. وَبَرَّحَ بِهِ فَلَانٌ: أَبْرَحَ (الْحَجَّ). وَبَرَّحَ بِهِ الضَّرْبُ: اشْتَدَّ. يُقَالُ: ضَرْبُهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا. وَبَرَّحَ بِفُلَانٍ الْأَمْرُ: جَهَدَهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ؛ وَمِنْهُ: بَرَحَتْ بِهِ الْحُمَى: أَصَابَتْهُ بَرَحَاؤُهَا (شِدَّتُهَا)". (ص 47).

• **والفعل:** "جَرَسَ"، اللّازِم حِينَا وَالمْتَعَدِّي حِينَا آخَر، غَيْرِ المَقْتَرِنِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "جَرَسَ الطَّائِرُ يَجْرُسُ جَرَسًا: صَوَّتَ. وَجَرَسَ الْكَلَامُ: نَغَمَ بِهِ وَتَكَلَّمَ. وَجَرَسَتِ الْبَقْرَةُ وَلَدَهَا: لَحِسَتْهُ..." (ص 117).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَ بَقِيَ مَتَعَدِّيًا وَلَازِمًا، وَاقْتَرَنَ فِي مَعْنَاهُ اللَّازِمُ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "جَرَسَ فَلَانٌ بِالْقَوْمِ: سَمَعَ بِهِمْ وَنَدَّدَ" (ص 117).

• **والفعل:** "حَرَضَ"، اللّازِم حِينَا، وَالمْتَعَدِّي حِينَا آخَر، غَيْرِ المَقْتَرِنِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "حَرَضَ فَلَانٌ يَحْرِضُ حُرُوضًا: كَلَّ وَأَعْيَا. وَحَرَضَ: أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ. وَحَرَضَ: فَسَدَ خُلُقُهُ أَوْ عَقْلُهُ أَوْ مَذْهَبُهُ. وَحَرَضَ الشَّيْءُ: أَفْسَدَهُ" (ص 167).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَ بَقِيَ مَتَعَدِّيًا وَلَازِمًا، وَاقْتَرَنَ فِي مَعْنَاهُ اللَّازِمُ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "حَرَضَهُ عَلَى الشَّيْءِ: حَثَّهُ عَلَيْهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)" (ص 167).

• **والفعل:** "رَحِمَ"، اللّازِم حِينَا وَالمْتَعَدِّي حِينَا آخَر، غَيْرِ المَقْتَرِنِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "رَحِمَتِ الْمَرْأَةُ تَرْحُمُ رَحِمًا: اشْتَكَّتْ رَحِمَهَا. وَرَحِمَ السَّقَاءُ: لَمْ يُدْهِنْ فَفْسَدَ. وَرَحِمَ فَلَانًا رَحْمَةً، وَرُحْمًا، وَمَرْحَمَةً: رَقَّ لَهُ وَعُطِفَ عَلَيْهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: (فَارْزُقْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبُ رُحْمًا). وَرَحِمَهُ: غَفَرَ لَهُ" (ص 335).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةٍ: فَعَلَ صَارَ مَتَعَدِّيًا فَقَطْ، وَاقْتَرَنَ مَعْنَاهُ الْوَحِيدُ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ: "رَحَّمَ عَلَيْهِ: دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ" (ص 335).

• **والفعل:** "عَرَدَ"، اللّازِم حِينَا، وَالمْتَعَدِّي حِينَا آخَر، غَيْرِ المَقْتَرِنِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، مِثْلُ:

..... من أسرار صيغة فعل

"عَرَدَ الشَّيْءُ يَعْرُدُ عُرُودًا: طَلَعَ وَقَوِيَ وَاشْتَدَّ. يُقَالُ: عَرَدَ النَّابُ، وَعَرَدَ الشَّجَرُ. وَعَرَدَ فُلَانٌ الْحَجَرَ: رَمَاهُ بَعِيدًا. وَعَرَدَ يَعْرُدُ عَرْدًا: هَرَبَ" (ص 892).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةِ: **فَعَلَ صَارَ لَازِمًا فَقَطْ**، واقترن بالجار والمجرور، عموماً، مثل: "عَرَدَ عَنْ قَرْنِهِ: نَكَلَ وَأَحْجَمَ. وَعَرَدَّ عَنْ الطَّرِيقِ: حَادَ. وَعَرَدَ السَّهْمُ فِي الرَّمِيَةِ: نَفَذَ مِنْهَا. وَعَرَدَ فُلَانٌ بِحَاجَةِ فُلَانٍ: لَمْ يَقْضِهَا" (ص 592).

• **والفعل: "فَخَرَ"**، اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "فَخَرَ الرَّجُلُ يَفْخَرُ فَخْرًا، وَفَخَارًا، وَفَخَارَةً: تَبَاهَى بِمَالِهِ وَمَا لِقَوْمِهِ مِنْ مَحَاسِنَ. وَفَخَرَ: تَكَبَّرَ. فَهُوَ فَاخِرٌ، وَفَخُورٌ. وَفَخَرَ فُلَانٌ الرَّجُلَ يَفْخَرُهُ فَخْرًا: غَلَبَهُ فِي الْفَخْرِ" (ص 676).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةِ: **فَعَلَ صَارَ مُتَعَدِيًا فَقَطْ**، واقترن معناه الوحيد بالجار والمجرور، مثل: "فَخَرَهُ عَلَيْهِ: فَضَّلَهُ فِي الْفَخْرِ" (ص 676).

• **والفعل: "قَطَفَ"**، اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "قَطَفَتِ الدَّابَّةُ تَقْطِفُ قِطَافًا: أَبْطَأَتْ. وَفِي أَمْثَالِهِمْ: (أَقْطَفُ مِنْ أُرْنَبٍ). وَقَطَفَ الشَّيْءَ يَقْطِفُهُ قِطْفًا، وَقِطَافًا: قَطَعَهُ. وَقَطَفَ الثَّمَرَ قِطْفًا: جَنَاهُ... وَقَطَفَ وَجْهَهُ: خَدَشَهُ" (ص ص 747-746).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةِ: **فَعَلَ صَارَ مُتَعَدِيًا فَقَطْ**، وكان له معنيان: **المبالغة، والتقطير** الذي يقترن بالجار والمجرور، مثل: "قَطَفَ الْمَاءَ فِي الْخَمْرِ: قَطَرَهُ" (ص 746-747).

• **والفعل: "لَبَخَ"**، اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "لَبَخَ جَسَدُهُ يَلْبَخُ لُبُوخًا: كَثُرَ لَحْمُهُ فَهُوَ لَبِيخٌ، وَهِيَ لُبَاخِيَّةٌ. وَلَبَخَ فُلَانًا لَبْخًا: شَتَمَهُ. وَلَبَخَهُ: ضَرَبَهُ. وَلَبَخَهُ: قَتَلَهُ" (ص 812).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ فِي صِيغَةِ: **فَعَلَ صَارَ لَازِمًا فَقَطْ**، واقترن بالجار والمجرور، مثل: "لَبَخَ فُلَانٌ عَلَى الْغُضُوِّ عِنْدَ الْأَلَمِ: وَضَعَ عَلَيْهِ اللَّبْخَةَ (دواء)" (ص 812).

• **والفعل: "هَالَ"**، اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "هَالَ

فلانٌ يهولُ هَوْلًا: خافَ ورُعِبَ. وهالَتِ المرأةُ الناظرَ بحُسْنِها: أعجبتَه. وهالَ الأمرُ فلانًا: أفرَعَهُ. فهو هائلٌ، وهي هائلةٌ" (ص 1000).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ كان له عدة معانٍ يأتي فيها متعديًا حينًا غير مقترن بالجار والمجرور، ولازمًا حينًا آخر، ومقترنًا في أحد معانيه اللازمة بالجار والمجرور، مثل: "هَوَلَ على فلان: أفرَعَهُ" (ص 1000).

• والفعلُ: "وَلَدَ"، اللازم حينًا والمتعدّي حينًا آخر، غير المقترن بالجار والمجرور، مثل: "وَلَدَتِ الأنثى تِلْدًا ولِذَا، وولادةً: وضَعَتْ حَمْلَهَا. فهي والدٌ، والدةٌ. ويُقال: ولَدَتِ الجنينَ" (ص 1056).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ في صيغة: فَعَلَ كان له عدة معانٍ متعديةً يقترن في واحد منها بالجار والمجرور، مثل: "وَلَدَ الشَّيْءُ من الشَّيْءِ: أنشأه منه" (ص 1056).

• ومن أمثلة هذه الحالة أيضًا: سَبَخَ وَسَبَّخَ؛ وَسَلَفَ وَسَلَفَ؛ وَسَاغَ وَسَوَّغَ؛ وَشَفَّ وَشَفَّفَ؛ وَشَمَرَ وَشَمَّرَ؛ وَشَارَ وَشَوَّرَ؛ وَمَصَرَ وَمَصَّرَ؛ وَنَفَلَ وَنَفَّلَ؛ وَنَاسَ وَنَوَّسَ، وَهَبَلَ وَهَبَّلَ؛ وَوَرَى (يَرِي)، وَوَرَّى؛ وَوَشَعَ وَوَشَّعَ.

9. خاتمة

هذه الرحلة الممتعة جدًّا، والدقيقة جدًّا، والمضنية جدًّا، في أن معًا، التي مسحنا خلالها المعجم الوسيط بجزأيه مرات ومرات، بحثًا عن شواهد تُجيب عن سؤالي البحث، وتحقِّق هدفه، أوصلتنا إلى نتيجة ساطعة، وحصاد مبدع ومدهش: إن تضعيف عين الفعل الثلاثي المجرد في صيغة فَعَلَ يفتح أفق الدلالة في المعجم العربي عريضًا واسعًا؛ فهو لا يولّد معاني جديدة وغزيرة تغني مفردات اللغة العربية وتراكيبها فحسب، وإنما يمنح أيضًا الأفعال المبنية على هذه الصيغة، لازمةً كانت أو متعديةً، أو لازمةً حينًا ومتعديةً حينًا آخر، قدرة (لم تكن موجودة في الأصل الثلاثي المجرد) على مدِّ تأثيرها الدلالي إلى ما بعد عاملها ومعملها: إلى شبه جملة، ظرفًا كانت أو جاريًا ومجرورًا. وشبه الجملة هذه، بتنوع مكوناتها وتعددتها، توسّع

..... من أسرار صيغة فعَّلَ

طيف الاستعمال اللغوي ومجاله التعبيري، وتغني بذلك المعجم اللغوي العربي وتطور رصيده. وهذا الذي توصلنا إليه عمل جديد كلياً على ساحة البحث المعجمي في اللغة العربية. فلعلّه يكون حافزاً للمهتمين بتطوير البحث اللغوي، والمنغمسين فيه، والمعنيين بهوممه، من أجل مزيد من التنقيب عن كل ما هو جميل ومبدع وعبقري في تراثنا اللغوي.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

المراجع

- ابن عصفور (1970). **المتع في التصريف**. الجزء الأول. الدار العربية للكتاب. تحقيق فخر الدين قباوه.
- الأفغاني، سعيد (1971). **الموجز في قواعد اللغة العربية**. بيروت: دار الفكر.
- أنيس، إبراهيم؛ منتصر، عبد الحليم؛ الصوالحي عطية؛ أحمد، محمد خلف الله (2005): **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. الطبعة الثانية.
- الحملاوي، أحمد (1972). **شذا العرف في فن الصرف**. الطبعة التاسعة عشرة. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1982). **الكتاب**. الجزء الرابع. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي. الطبعة الثانية.
- عمار، سام (2015). "صيغة استنقل في اللغة العربية: بحث في المعاني التي تولّدها زيادة الألف والسين والتاء على الأفعال الثلاثية المجردة". **مجلة التعريب**. دمشق: مركز الترجمة والتعريب والتأليف والنشر. الألكسو.
- عمار، سام (2014). **معجم أفعال في اللغة العربية: بحث في التحولات الدلالية التي تنجم عن دخول الهمزة على الأفعال الثلاثية المجردة**. بيروت: مكتبة لبنان - ناشرون.
- الغلاييني، مصطفى (1966). **جامع الدروس العربية**. الجزء الأول. بيروت: المكتبة العصرية

أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

د. المضري محمد الغالي*

المملكة المغربية

تمهيد

غني عن التأكيد، أن لكل علم من العلوم أو فن من الفنون لغته الخاصة ومصطلحاته الكاشفة عن مفاهيم ومعاني موضوعاته، وقضية تحديد المصطلحات والمفاهيم من القضايا الأساسية التي لا يصح الدخول في بحث ما دون درايتها والإحاطة بكنهها، حتى يمكن الوصول إلى نتيجة مقنعة في الموضوع محل البحث.

والنحو - كغيره من العلوم - له مصطلحاته الخاصة به، "إذ لابد للنحو بصيرورته صناعة، من مصطلحات تكون أعلاماً على موضوعات ومعان يطلقها أصحاب الصناعة فيفهمها الدارسون من أهلها"¹.

نهدف من هذه المساهمة إلى بيان أهمية تعريف المصطلح وتجلياته في صناعة النحو باعتباره مفتاح كل علم وثماره وعنوانه البارز.

المحور الأول: حول المصطلح المعرف

1. المصطلح بين اللغة والاصطلاح

جرت عادة القوم المعاصرين بلا استثناء على التحدث عن كلمة "مصطلح" المأخوذة من

* أستاذ اللغة العربية بثانوية بومالين دادس التأهيلية، (المغرب).

¹ تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، من إعداد الدكتور محمد بن عمار درين، ج 2، الطبعة الأولى 2006/1427، سلسلة الرسائل الجامعية، 66، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ص 809.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مادة (ص.ل.ح.)، والصلح يعني الشيء المناسب والنافع. ففي المعجم الوسيط "صلح الشيء: كان نافعاً أو مناسباً، يقال هذا الشيء يصلح لك"¹، كما نفهم ما يدل على المسالمة والاتفاق، إذ يرد في لسان العرب أن "الصلح: تصالح القوم بينهم، والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا واصالحو مشددة الصاد قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد"²، أي اتفقوا وتعارفوا على وضع الشيء، ومثل هذا جاء في المعجم الوسيط: اصطلحوا على الأمر تعارفوا عليه واتفقوا، والاصطلاح - مصدرًا - هو "اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته"³.

وهو "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما، كالعموم والخصوص، أو مشاركتها في أمر، أو مشابهتهما في وصف أو غيرها"⁴، وهو "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل، الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين"⁵، وهو "اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"⁶.

انطلاقاً من هذه التعاريف، ومن خلال تتبعنا لهذا اللفظ في المعاجم الاصطلاحية العربية لاحظنا عدم التفريق بين كلمتي "مصطلح" و"اصطلاح"، فقد استعمل المصطلحان وكأنهما

¹ المعجم الوسيط، من تأليف مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة، 1425هـ/2004م، مادة صلح، ص 520.

² لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، 1300هـ، مادة صلح، م2، ص 462.

³ المصطلح ومشكلات تحقيقه، للدكتور إبراهيم كايد محمود، مجلة اللسان العربي، العددان: 55-56، عدد مزدوج 1424 هـ/2003م، ص 10، وينظر أيضاً "المعجم الوسيط"، مرجع سابق، ص 520.

⁴ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، 1382هـ/1963م، الاصطلاح، ج4، ص 211.

⁵ التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، الاصطلاح، ص 34.

⁶ الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، 1419هـ/1998م، الاصطلاح، ج1، ص 129.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

مترادفان تماماً. فهذا فهمي حجازي يقول: "فالمصطلح والاصطلاح شيء واحد لا فرق بينهما، فكلاهما استخدم من قبل أهل الاختصاص للدلالة على المفاهيم العلمية لهذا التخصص أو ذاك، فسواء قلنا "اصطلاح" أو "مصطلح" فالأمر واحد"¹.

والمصطلح في اصطلاح المحدثين وتحديدهم "كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"²، وهو "مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص ما"³، وهو "اللفظ الذي يسمي مفهوماً معيناً داخل تخصص ما"⁴. والغاية منه تعيين الأشياء وتسميتها أو تعريفها وتحققها.

وخلاصة تلك التعريفات عندي، هي أن الاصطلاح (المصطلح عند المعاصرين)، هو استعمال لفظ خاص لمعنى خاص في حقل معرفي خاص عند طائفة معينة من الناس.

2. مفهوم المصطلح المعرف

المصطلح المعرف هو ذلك اللفظ الذي يعبر عنه مفهوم ما، ويجلي ويظهر دلالاته، ويجعله خاصاً متميزاً عن غيره من الألفاظ، فكثيرة هي المصطلحات التي تشترك في نفس التسمية فيؤدي ذلك الاشتراك إلى حيرة وتردد لدى الدارس، لكن التعريف سرعان ما يذهب الحيرة والتردد، إذ بواسطته نستطيع الفصل بين تلك المشتركات، لأنه - التعريف - بمثابة تحديد خاص لكل مصطلح.

وعليه؛ فالمقصود بالمصطلح المعرف هو كل مصطلح قدم له الدارسون أو الباحثون

¹ المصطلح ومشكلات تحقيقه، للدكتور إبراهيم كايد محمود، مرجع سابق، ص 10.

² مقدمة في علم المصطلح للدكتور علي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1987م، ص 512.

³ المصطلح النحوي في كتاب "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، لرضي الدين الاسترأبادي: أقسام الكلم نموذجاً - إعداد الطالب امحمد اموحو، إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز حميد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب ظهر المهرز، فاس، 2011-2012م. ص 34.

⁴ نفسه، ص 34.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

تعريفاً معيناً، سواء كان بالمثال، أو بالعلامة، أو بالماهية، أو غير ذلك من أنواع التعاريف، ووظيفته تكمن في كونه يسهم في ضبط وتحديد المصطلحات الغامضة تحديداً دقيقاً، وكذا فك لغز العبارات العويصة والملتبسة، لذلك فالبحث في المصطلحات المعروفة في الكتب ليس ترفاً علمياً تدفع إليه قلة الموضوعات المهيأة للدراسة، ولكنها ضرورة ملحة استدعاها افتقار دراستها من وجهة مصطلحية، وكذا ما يشكله هذا النوع من الدراسة من أهمية بالغة في حسم الخلاف حول الكثير من قضايا فهم النصوص الأدبية واللغوية على السواء.

إن؛ فالمصطلحات المعروفة يقصد بها هنا "كل الألفاظ التي شرحت دلالتها الاصطلاحية ضرباً من الشرح، سواء كان ذلك في صورة تعريف "جامع مانع" كما يقال، أم لم يكن، فكل إضاءة لمفهوم المصطلح تسهم في تعرفه، تعد في هذا الباب تعريفاً، وكل مصطلح شرح مفهومه ضرباً من الشرح يعد أيضاً مصطلحاً معرفاً¹.

المحور الثاني: في أهمية حد المصطلح في النحو العربي

1. أهمية تعريف المصطلح

من المعلوم أن المصطلح بطبيعته عبارة عن لفظ علمي يؤدي المعنى بدقة ووضوح، ويشكل الدعامة الأساسية في لغة العلوم لكونه يعبر عن مادتها ومحتواها، ولا تدرك معاني هاته العلوم إلا بتحليل وتفتيت مصطلحاتها إلى مجموعة من العناصر والخصائص التي من شأنها أن تقرب مدلوله، هذا إضافة إلى مراعاة الفضاء العلمي والتاريخي الذي يولد ويتنفس فيه المصطلح، ولمعرفة ذلك لابد من وضع حد له بواسطة مجموعة من الكلمات التي تتوخى شرحه وتوضيحه حتى يسهل على القارئ أو المتلقي تصوره وتمثله.

ولذلك ففضية المصطلح ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـ"مسألة التعريف"، فكل واحد منهما يدور

¹ مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، مقدمة: المعجم المفهومي للقرآن الكريم، منقول من موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية. www.stertimes.com

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

مع الآخر أينما دار وحيثما سار. بل إن قضية المصطلح لا تقتصر فقط على ما هو علمي فحسب، بل تتعداه إلى ما هو ذاتي، أي بكل ما يرتبط بهويتنا، بل بعمق ذات الأمة. فهي: "تتعلق ماضياً بفهم الذات، وحاضراً بخطاب الذات، ومستقبلاً ببناء الذات، وبدون الفهم الصحيح للماضي لن نستطيع معرفة الحاضر ولن نستطيع صنع الشخصية المتميزة في المستقبل، وبدون الفهم الدقيق للمصطلحات لن نستطيع التواصل السريع، ولا البناء بإحكام"¹، وكل تدقيق في المصطلح هو تدقيق في الفكر.

لذلك وجب أيضاً التدقيق في الحد أو التعريف باعتباره جوهر المصطلح، لأن المصطلح لا يفهم المراد منه إلا بالتعريف، والتعريف لا يحصل إلا في ضوء وجود المصطلح الذي لا يستقيم ويحصل إلا إذا كان مقترناً به، حيث يعمل على تدقيق معانيه وضبطها وتمييزها عن باقي المصطلحات الأخرى.

إن المصطلحات هي أساس كل علم ومفتاحه، بل إن البعض يرى "أن العلم ما هو إلا مصطلحاته"²، إذ هي السبيل إلى استكشاف خباياه واستشراق معالمه، ولذا وجب تعرفها وتحديد مدلولاتها، ومن ثم صار التعريف المبدأ الذي ينطلق منه في رحلة الكشف والاستكشاف.

لذا فإن الحدود والتعريفات عند أهل النظر هي السبيل إلى تصور ماهية العلم والتبصر فيما يطلبه طالب العلم، وهي من ثم الأساس من تحصيله ومعرفة أحواله العارضة له والغاية منه.

وعليه؛ فمعرفة خبايا النحو - وسائر الفنون - يقتضي بالضرورة تحديد مصطلحاته التي تشكل دعامة وبؤرة كل العلوم، وبشكل التعريف عصبها بحيث يزيل عن المصطلح الغموض والإبهام ويقرب مفهومه من الأذهان، وهذه هي وظيفة العبارة المعروفة، "لأن في التسمية فائدة

¹ ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد خاص 4، 1409هـ/1988م، ص 12.

² فوضى المصطلحات في الكتابة العربية: الأسباب وحلول مقترحة، للدكتور صالح محمد إسماعيل، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثالث، 1424هـ/2003م، ص 117.

الاختصار" - على حد تعبير ابن يعيش - ولقد أدرك التهانوي أهمية تعريف وضبط المصطلحات في مختلف العلوم والمعارف، حيث رأى أن سبب الحاجة إلى الأساتذة في دراسة العلوم والفنون، "اشتباه المصطلحات، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به".

ولا يخفى على أي واحد منا الدور الهام الذي بذله علماؤنا في تحديد معنى المصطلح والوقوف على أهميته، حيث رأوا أنه لا بد من اتفاق طائفة معينة عليه، ولا بد من استعماله في مجال معين، أو فن بعينه، حتى يكون واضح المعنى محدد الدلالة، مؤدياً الغرض المقصود منه، ولعل حرص علمائنا على توضيح غايته نابع من أهميته ودوره في ربط الصلات والتواصل بين الأمم والشعوب، كما أنه نابع من أهميته في نقل العلوم والمعرفة ونشر الثقافة وكل ما يخدم جوانب الحياة الإنسانية عامة، ونابع أيضاً من تحديد المصطلحات وتوضيح مدلولاتها والغرض منها، فالمصطلح "يلعب دوراً مهماً في ربط الصلة بين الأمم والشعوب، وفي نقل المعرفة والثقافة (التكنولوجيا) ونشر آثار الحضارة الحديثة، فضلاً عن أن من النظريات ما يُقر التوافق بين المصطلحات وأوضاع الشعوب الاجتماعية"¹. ولذلك فالمصطلح يشكل عنصراً مهماً من عناصر التواصل بين العلماء والدارسين، كما يمثل الأداة التي يجسد بها العلماء حصيلة أبحاثهم وتجاربهم.

إن مجال المصطلح لا يُحد، ودائرته لا تُغلق، وعلمه لا يتوقف، وحاجاته لا تنتهي، لأنه "مرتبط بنمو المعرفة الإنسانية واتساع دائرتها ونطاقها، فكلما جدد في حياة الإنسان اصطلاح على اسم له، فعملية الاصطلاح لا تنتهي عند حد، لأن المعرفة الإنسانية لا تتوقف"²، بل إن أهميته ترجع في تراثنا إلى بزوغ الرسالة المحمدية، وما حملته في كتاب الله العزيز من ألفاظ واستعمالات جديدة كانت تعرف عند السلف باسم الكلمات أو المصطلحات الإسلامية. ونظراً لأهميته وفوائده في بناء النهضة العلمية، وقف العرب القدماء على طرائق وضعه

¹ المصطلح ومشكلات تحقيقه، للدكتور إبراهيم كايد محمود، مرجع سابق، ص 12.

² نفسه، ص 12.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

وشروط صحته حتى لا يعترض عليه، ولا تصبح ثمة ضرورة للمشادة فيه، أو تجاهله من طرف طائفة معينة، فالمصطلح لا يؤدي وظيفته الدلالية إلا إذا تحددت اضطرابات وتوحدت مصطلحاته، ومن ثم يتم قبوله وشيوعه وتداوله، ويكتسب حينئذ اصطلاحيته، وهذا لا يكفي لضمان مشروعيته، بل يجب إعادة النظر فيه ومراجعتها، أو استبداله أو استحداث مصطلحات جديدة تواكب العصر، لأن المعطيات التقنية والتاريخية تتطور بتطور المصطلحات، وما أخرج اللغة العربية إلى مثل هاته المصطلحات الحديثة، وعلى هذا الأساس بذل علماءنا الغيورون في العصر الحديث جهوداً مضيئة في سبيل تعزيز لغتهم بابتكار المصطلحات التي تُعبر عن مستجدات الحياة، وكذا دعم لغتهم بكل ما تحتاج إليه حتى لا يحكم عليها بالفشل والتخلف وعدم العلمية، وطغيان القوالب اللفظية الأجنبية عليها، ولهذا الغرض أسست مجامع لغوية، ومؤسسات علمية وثقافية تُعنى بوضع المصطلحات العلمية التي تنفجر إليها اللغة العربية.

2. تجليات تعريف المصطلح في النحو العربي

إن أي علم من علوم العربية لا يخلو من مصطلحات اتفق العلماء العرب على نقلها من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي لتخصص مصطلحاتها في هذا العلم أو ذاك "فنقل لفظة من معناها اللغوي لدى شعب ما إلى معنى تصطلح عليه جماعة معينة من هذا الشعب في فرع من فروع المعرفة الإنسانية هو ما يطلق عليه اسم "مصطلحات العلوم"¹؛ و"إذا كان العلم أقفالاً مفاتيحه السؤال" كما يقول الفراهيدي، أقول: "العلم أقفالاً مفاتيحه المصطلحات" لأن المصطلحات كما جرى على لسان الخوارزمي "مفاتيح العلوم"، بها تنفتح مغاليقها وتنضح حدودها، وتُعرف مجالاتها، وتناقش مشكلاتها، بل إن المصطلحات ثمار العلوم وعنوانها البارز، فلا غرابة إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي شعار بنية كل العلوم، متى فسد فسدت صورته واختلفت بنيته، وتبعاً لهذا فإن كل علم من العلوم يصنع من اللغة معجماً خاصاً به انطلاقاً من مصطلحاته، فالجهاز المصطلحي في كل علم من العلوم هو بمثابة لغته الصورية

¹ معاجم المصطلحات العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد 4، ص 406.

التي لا تقبل أي نقاش، ومما لا شك فيه أن المفردة اللغوية قبل أن تصبح مصطلحاً محدداً في أي حقل من الحقول المعرفية تتعرض لسنة التطور شأنها في ذلك شأن جميع الكائنات الحية، إذ قد تموت تارة بالإهمال، وتحيا تارة أخرى بالتداول والاستعمال، وقد دفع بعض الباحثين اليوم إلى الاهتمام بمصطلحات العلم بجميع أنواعها متبعين في ذلك انتقال دلالتها من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي مراعين في ذلك مراحل نشأتها وتطورها، ولا يكتفون بهذا، بل يتبعون انتقال المصطلحات من حقل معرفي إلى آخر، لأن في انتقالها من مجال لآخر قد تتخذ دلالة جديدة تعبر عن المجال الذي تُستعمل فيه، "فلكل مصطلحاته على هذا الاعتبار"؛ وإذا كان حد المصطلح نابعا من إحدى دلالات المعنى المعجمي، فإن هذا الأخير عامٌ يحتمل مجموعة من الدلالات، عكس المعنى الاصطلاحي الذي يتميز بطابع الخصوصية، إذا لا بدّ في كل مصطلح من تجاوز المعنى اللغوي والخروج منه إلى معنى خاص ليكون مصطلحا، وإلا يبقى معنى لغوياً غير خاص بعلم، والمسوغ عادة لنقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي وجود "مناسبة بينهما"¹؛ ذلك أن "المصطلحات النحوية والصرفية وغيرها هي ألفاظ لغوية أُخرجت من معناها الأصلي إلى معنى نحوي اصطلاحي خاص بهذا العلم"². ولذلك يجب أن يحدد مجاله، وتكون الدقة خاصيته حتى لا يتيه المتعلمون في متاهات الألفاظ غير المضبوطة؛ لأن أي خلل من مدلول مصطلح من المصطلحات قد يؤثر سلباً في الدراسة التي تريد أن تصل إلى مستوى العلمية، ولعل هذا ما دفع لينتر إلى القول "إن الخلافات العلمية ترجع في قدر كبير منها إلى الخلاف حول معاني الألفاظ ودلالاتها"؛ ولذلك يجب تحديد مدلول المصطلح تحديداً دقيقاً حتى لا يقع غموض في المعنى واضطراب في أداء المدلول الصحيح للمصطلح، وقد يكون هذا الاضطراب ناتجاً عن عدم تنسيق الجهود بين المتخصصين في علم

¹ كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج 4، مرجع سابق، ص 210.

² المصطلح النحوي وأصل الدلالة (دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري)، تأليف الدكتور رياض عثمان، تحقيق وتقديم الأستاذ الدكتور حسن حمزة، منشورات محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ص 128.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

من العلوم، أو وجود محاولات فردية متعددة لا تأخذ بعين الاعتبار جميع ما يتعلق بالمادة المدروسة، ويجب أن نعترف بأن وضع هاته المصطلحات في علوم اللغة العربية قد عرف أكثر من مرة ارتباكاً وتشابكاً وخطأً في تحديد مفهومها أو في وضعها، ولعل هذا ما يصدق على الفكر النحوي الذي عرف بدوره جهازاً مصطلحياً حاول النحاة من خلاله معالجة نظرياتهم، وتصوراتهم في إطار دفع القواعد والتعامل مع اللغة العربية، ونظراً لأهمية هذا الجهاز المصطلحي داخل المنظومة النحوية، أثار عدة قضايا خلافية بين النحاة العرب، لأن المصطلح النحوي عرف تطوراً منذ سيبويه حتى الزمخشري، فالمصطلحات التي وضعها سيبويه تغير بعضها عند النحاة الذين جاؤوا بعده، وهذا موضوع يحتاج إلى البحث والدراسة، قال عبده الراجحي في هذا الصدد "... على أن الذي ينبغي أن نلنقت إليه أن المصطلحات التي استعملها سيبويه قد تغير بعضها عند الأجيال التالية، والذي لاشك فيه أن تتبع المصطلح النحوي منذ سيبويه موضوع جدير بالدراسة"¹.

ولا شك أن هذا التغيير في المصطلحات العلمية عامة والنحوية خاصة أمر طبيعي، لأن العلوم تتطور بتطور مصطلحاتها، فضلاً عما تخضع له - المصطلحات - من اعتبارات سياقية وتاريخية وبيئية واجتماعية، وهذا يعني أن المصطلحات وإن كانت تكتسب بالتداول، وتصدر عن فرد أو عن جماعة لتعمم، فقد يتغير مدلولها إلى مفاهيم أخرى انحرفت وانزاحت من مجال إلى آخر بسبب الاستعمال" كمصطلحات العروض المأخوذة من معظمها من تزيين الخيمة والبعير والملابس"²، وكذلك مصطلحات النحو والبلاغة، "فالمصطلح لغة خاصة يستخلص من لغة عامة يطلق لمناسبة بين اللفظ والمعنى، كالارتباط بينه وبين اللغة حقيقة أو مجازاً، أو لغير مناسبة، كإطلاق تسمية الأعلام، فكم من واحد يُدعى جميلاً أو كريماً أو صالحاً... وهو خلاف ذلك"³.

¹ دروس في المذاهب النحوية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص 35.

² المصطلح النحوي وأصل الدلالة، تأليف الدكتور رياض عثمان، مرجع سابق، ص 28.

³ المصدر نفسه، ص 28.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

إن الهدف من وضع حدود للمصطلحات النحوية هو إظهار دلالتها وتمييزها عن غيرها من المصطلحات، فكثيرة هي المصطلحات التي تشترك في نفس التسمية فيؤدي ذلك الاشتراك إلى حيرة وتردد لدى الدارس، لكن الحد سرعان ما يذهب الحيرة والتردد، إذ بواسطته نستطيع الفصل بين تلك المشتركات، لأنه - الحد - بمثابة تحديد خاص لكل مصطلح.

فنحن عند سماعنا مثلاً لجملة من قبيل: "قام زيد"، نقول: "زيد" فاعل ونصمت، لا يتضح المعنى، لأن ذلك لن يفيد شيئاً للباحث الذي يريد تمثل القاعدة، ولكن إذا قلنا الفاعل "اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ذلك الفعل إليه، نحو: قام "زيد" وذهب "عمرو"¹، فإن الغاية تتحقق ويزول الغموض، ويصل الباحث إلى هدفه المتلقي في الفهم والتبيين.

وعليه؛ فالمصطلح لا يستقيم ولا يعبر عن معنى إلا إذا كان مقترناً بتعريف دقيق يضبط دلالاته ويميزه عن غيره، فنحن عندما نعرف مصطلح "الفاعل" في مجال النحو فنقول: "الفاعل كل اسم أسند إليه فعل فهو فاعل"²، وبعبارة أدق وأشمل نقول: "الفاعل اسم صريح أو مؤول، ظاهر أو مضمّر، بارز أو مستتر، أسند إليه فعل أو شبهه، مقدم عليه مبني للمعلوم، دال على من وقع منه الفعل أو اتصف به"³، بهذا التعريف الأخير مثلاً نكون قد ميزناه عن غيره من المصطلحات الأخرى، بل نكون قد ميزناه عن معناه الفلسفي، فالذي يمكننا من التمييز والفصل بين المصطلحات المعرفة هو التعريف، وهذا يعني أن العلاقة بين المصطلح والتعريف هي علاقة تلازمية تكاملية؛ فحضور المصطلح يقتضي بالضرورة حضور التعريف.

كذلك عندما نعرف مصطلح "الفصل" مثلاً في صناعة النحو أو في علم المعاني فنقول: "هو ترك عطف جملة على غيرها بالواو"⁴، نكون قد ميزناه عن معناه العام الذي هو: "القول

¹ أسرار اللغة العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الدقي، دمشق، 1957م، ص 44.

² الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مرجع سابق، ج 3، ص 319.

³ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، للدكتور وهبة مجدي والمهندس كامل، ط 2، 1984م، ص 68.

⁴ أما الوصل فهو عكس ذلك، أي هو عطف جملة على غيرها بالواو. ينظر "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، مرجع سابق، ص 264.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

الواضح البين الذي ينفصل به المراد عن غيره، والحاجز بين شيئين¹، وبهذا نكون أيضاً قد ميزناه عن معناه العروضي الذي هو "كل تغيير اختص بالعروض، ولم يلتزم مثله في حشو البيت"². بل نكون قد ميزناه عن معناه العلمي، ذلك أن "الفصل" قد يُعرف في مناهج البحث العلمي بأنه: "قسم من الكتاب متصل الموضوع أو الحدث، يرقم عادة، وقد يكون له عنوان"³.

إن المصطلح المعرف يمكننا من حصر المجال الذي نحن بصدد دراسته، ويقربنا إلى معرفة الأشياء المجهولة، من أجل ذلك كانت تعريفات النحويين لمصطلحاتهم النحوية واضحة المعالم، دقيقة الأحكام، مرسخة في الأذهان، فتعريفاتهم تتبني على العلية، وتستند إلى أصول علمية، فالفعل عندهم مصطلح نحوي معرف، يراد به الكلمة الدالة بمادتها على معنى المصدر أي الحدث، وبصيغتها على زمان وقوع ذلك الحدث، وعلى هذا الأساس كانت تعريفات النحويين تحوم حول هذه الدلالة على المعنى المركب من الحدث والزمن، فقد عرفه ابن الحاجب بأنه: "ما دل على معنى في نفسه مقترنا بأحد الأزمنة الثلاثة"⁴.

ومن المصطلحات المعرفة أيضاً تعريف الاسم عند الأخفش، الاسم: "ما جاز فيه نفعني وضرني"⁵، وأيضاً تعريف ابن الحاجب للفعل المتعدي واللازم "المتعدي، وغير المتعدي، فالمتعدي ما يتوقف فهمه على متعلق كـ "ضرب"، وغير المتعدي بخلافه كـ "قعد"⁶،

¹ الكلبيات، لأبي البقاء الكفوي، مرجع سابق، ج 3، ص 337.

² وذلك كـ "مفاعلن" في عروض الطويل لأنها تلزم ولا تلزم في الحشو. ومثاله قول طرفة ابن العبد (جاهلي) من بحر الطويل:

ستيدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزود.

³ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 274.

⁴ شرح كافية ابن الحاجب، لرضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق أحمد السيد أحمد، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ج 4، ص 5.

⁵ قال الزجاجي (337هـ) معلقاً على كلام الأخفش، يعني: ما جاز أن يخبر عنه، وإنما أراد التقريب على المبتدئ... ولم يرد التحقيق. وفساد هذا الحد بين، لأن من الأسماء ما لا يجوز الإخبار عنه، نحو: كيف وأين...، ينظر أبي القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص 48.

⁶ شرح كافية ابن الحاجب، لرضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، مرجع سابق، ج 4، ص 12.

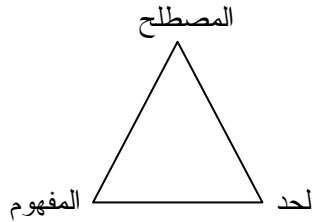
التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وكتعريف سيويه للاسم بأنه "كزيد وفرس وحائط"، وتعريف الزمخشري للمعرفة: "المعرفة ما دل على شيء بعينه...¹" ، وكتعريفهم لعطف البيان بأنه "تابع غير صفة، يكشف عن المراد بالمتبوع كشف الكلمة المشهورة معنى الكلمة الغريبة كقولك: رأيت زيدا أبا عبد الله، إذا كان بالكنية أشهر عند المخاطب...²".

إن المصطلح النحوي المعروف بهذا المعنى، هي تلك الألفاظ والمفاهيم الناتجة عن اتفاق النحاة، وبذلك "يفقد لفظ المصطلح النحوي انتماءه إلى المعجم العام أو اللغة العامة، لينتمي إلى المعجم الخاص أو اللغة الخاصة"³.

ينبغي أن نلفت الانتباه إلى أن "المصطلح - قبل التواضع - غالباً ما كان لفظاً في اللغة، وكلمة لها دلالتها اللغوية، استند إليه المتفقه والأصوليون والنحويون وغيرهم يوظفونه بالتواضع ليكتسب دلالة جديدة، من غير أن تسقط العلاقة بين الأصل الدلالي والأصل الاصطلاحي الجديد، ضمن مناسبة بين الأصلين"⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحد والمفهوم اللذين يخضعان للتنوع النحوي والصرفي والصوتي، وعليه، فلا يستقيم معنى أي مصطلح إلا بزوايا هذا المثلث:



¹ من قضايا المصطلح النحوي، للدكتور محمد الدحماني، مجلة ورقات مصطلحية، منشورات الكلية، سلسلة دفاتر المختبرات (26)، العدد الأول 1434هـ/2013م، ص 49.

² نفسه، ص 50.

³ مفهوم المصطلح النحوي وخصائصه، للدكتور أموحو محمد، مجلة مصطلحيات، عدد مزدوج الرابع - الخامس، 1435هـ/2013م، ص 122.

⁴ المصطلح النحوي وأصل الدلالة، تأليف الدكتور رياض عثمان، مرجع سابق، ص 29.

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

فالحديث يعتبر خطوة أولى لمعرفة حقيقة الشيء، لأن "المتكلم المتخصص بعد أن يتكون لديه تصور ذهني (مفهوم) لشيء ما موجود في الواقع قد يحده أو يعرفه أولاً"¹. والمصطلح يعد خطوة ثانية - باعتباره يمثل مرحلة النضج الفكري - لمعرفة المجال الذي ينتمي إليه كل مصطلح، ثم تأتي الخطوة الثالثة (المفهومية) التي تسمح بإعطاء تصور ذهني لشيء ما موجود سلفاً في الواقع. وتبقى الغاية الأساسية من حد المصطلح هو معرفة المفاهيم التي تستند إلى المصطلح وحده، فبدون معرفة المفاهيم لا يمكن أن تعرف الحدود، لأنها هي التي تميز المفاهيم من بعضها، كما أن الحدود والمصطلحات تسهم في تفهيم العلم وإرساء معالمه، "ولا شك أن المبادرة الأولى إلى تحديد الحدود ووضع المصطلحات لها أثر كبير في الأشكال التي سيتخذها الوصف والتأويل والتحديد والتفصيل، مهما كانت درجة هذه المبادرة من بساطة أو تعقيد"².

خلاصة

يمكن إجمال ما توصلنا إليه في الآتي:

- غالباً ما يستعمل لفظ "مصطلح" بمعنى "اصطلاح"، والمصطلح هو لفظ خاص يستعمل في حقل معرفي خاص وفي سياق خاص عند طائفة معينة من الناس.
- المصطلح جوهر وأساس كل علم، بل لا يمكننا تصور علم بدون مصطلح.
- قضية المصطلح ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـ "مسألة التعريف"، ذلك أنه يعبر عن معاني المصطلحات بدقة ووضوح.
- المصطلح المعروف هو ذلك المصطلح الذي قدم له النحاة تعريفاً معيناً سواء كان ذلك في صورة تعريف "جامع مانع" كما يقال أو لم يكن.

¹ المصدر نفسه، ص 174.

² النظر النحوي أصوله وجوامعه، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في اللغويات، إعداد الطالب عبد الرحمن بودراع، تحت إشراف أحمد العلوي 1997-1998م، ص 91.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

- تتجلى أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي في فك لغز العبارات الواصفة والمفاهيم الغامضة، وكذا تقريب المعاني إلى الأذهان.

وفي الأخير لا أجد أجود مما قاله عماد الدين الأصفهاني - رحمه الله - "إني رأيت أنه ما كتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العيبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر..."

..... أهمية تعريف المصطلح في النحو العربي

لائحة المصادر والمراجع

- أسرار اللغة العربية، لأبي البركات عبد الرحمان محمد بن أبي سعيد الأنباري: تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الدقي، دمشق، 1957م.
- تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، من إعداد الدكتور محمد بن عمار درين، (سلسلة الرسائل الجامعية)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الطبعة الأولى 1427هـ/2006م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.
- دروس في المذاهب النحوية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، 1382هـ/1963م.
- لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، 1300هـ.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد 4، 1409هـ/1988م.
- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العددان 55-56 (عدد مزدوج)، 1424هـ/2003م.
- مجلة مصطلحات، (مجلة علمية محكمة في قضايا المصطلح)، عدد مزدوج: الرابع - الخامس، محرم 1435هـ/نوفمبر 2013م.
- مجلة دراسات مصطلحية، (مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية)، العدد الثالث: 1424هـ - 2003م.
- مجلة ورقات مصطلحية، (مجلة يصدرها مختبر الأبحاث والدراسات المصطلحية)، منشورات الكلية، سلسلة دفاتر المختبرات (26)، العدد الأول 1434هـ/2013م.
- مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، مقدمة: المعجم المفهومي للقرآن الكريم، منقول من موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية. www.stertimes.com.
- مقدمة في علم المصطلح للدكتور علي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1987م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، للدكتور وهبة مجدي والمهندس كامل، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، (منقحة ومزودة)، 1984م.
- المعجم الوسيط، من تأليف مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة، 1425هـ/2004م.
- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، 1419هـ/1998م.
- المصطلح النحوي وأصل الدلالة (دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري)، تأليف الدكتور رياض عثمان، تحقيق وتقديم الأستاذ الدكتور حسن حمزة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م.
- المصطلح النحوي في كتاب "شرح الرضي على كافي ابن الحاجب"، لرضي الدين الأسترابادي: - أقسام الكلم نموذجاً - إعداد الطالب احمد امحو، إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز حميد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وآدابها، كلية الآداب ظهر المهرز، فاس، 2011-2012م.

- النظر النحوي أصوله وجوامعه، إعداد الطالب عبد الرحمان بودراع، إشراف أحمد العلوي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في اللغويات، 1997-1998م.

- شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الأسترايازي، تحقيق أحمد السيد أحمد، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المكتبة التوفيقية.

بحوث في الترجمة

هل الترجمة ممدّنة؟

وظائف الترجمة ودرجات التمدن

جون كلود جيمار*

جامعة مونتريال - كندا

ترجمة: الدكتور لحسن الكيري**

إهداء المترجم: هذه الترجمة أهديتها إلى الكل... باستثناء الجزء.

أودّ في الحال أن أطمئن هؤلاء الذين لا يعرفونني، قد يفكرون على أنه تساورني بعض الشكوك فيما يخص الطابع "التمديني" للترجمة. فباقتراحي لهذا العنوان البعيد عن كل استفزاز، أريد القول من هناك إنه سواء في الترجمة أو في ميدان آخر لا يوجد أي شيء ثابت ومقرر، بحيث تجب إعادة النظر، بانتظام، في كل شيء، وفي بعض الأحيان يلزم تحريك الخمود الذي يركن فيه التفكير، على جميع المستويات: المستوى المهني (ممارسة المهنة)، المنهجي (تدريس الترجمة) والنظري (البحث في الترجمة). لقد استلهمت هذا العنوان من ملاحظة لفرنسوا شاتلي، المؤرّخ الفلسفي، فيما يخص المعلوماتية، حيث دحض فيها أفضالها التمدينية¹.

إذا انطلقنا من تأكيد كون الترجمة ممدّنة، وهذا ما لن يشكك أحد فيه هاهنا، على الأقل

* أستاذ علوم الترجمة بجامعة مونتريال الكندية وأستاذ زائر بجامعة جنيف بسويسرا. له العديد من الإسهامات النظرية والتطبيقية في هذا المجال الترجمي في اتصاله بما هو حقوقي وقانوني على وجه الخصوص. أما العنوان الأصلي لهذه الدراسة فهو كالتالي: La traduction est - elle civilisatrice? Fonctions de la traduction et degrés de civilisation. وقد صدرت سنة 1990. (المترجم).

** كاتب، مترجم، باحث في علوم الترجمة ومتخصص في ديداكتيك اللغات الأجنبية، الدار البيضاء، المغرب.

¹ «L'informatique est- elle - civilisatrice?», L'express, 24, sept. 1982, p.79.

على المستوى الكمي، فمع ذلك يمكننا أن نتساءل حول جودة المدنية التي ستؤدي إليها إذا ما نجحت تقريبا. فعلا، إذا كانت الترجمة "خيانة" يمكن أن نقول عنها إنها ممدنة بنفس الدرجة كما هو الحال مع الترجمة "الأمينة" التي تحترم الحرف مثل مقصد مؤلف النص؟ وفيما يختص بهذه الأخيرة، أيمن للمرء أن يقبل، بدون أدنى تردد، كونها نداء ممدناً لأنها تعد أمينة؟ لا أزع تقديم جواب نهائي على هذه الأسئلة الكبرى التي تتجاوز نطاق عرضي وتتطلب إنجاز العديد من رسائل الدكتوراه، فقط، من أجل الإحاطة بمفهوم من قبيل الأمانة في الترجمة، مثلاً. سأكتفي بتبيان الدور السامي الذي قامت به الترجمة في تطور الإنسانية، والذي تعرفونه محاولاً، أكثر تحديداً، توضيح سبب عدم نجاح المترجم إلا جزئياً، رغم جهوده، ودون أن يكون مذنّباً، ثم فيم يتجلى كون الحضارة والثقافة، تقريباً، مسألة وظائف كما درجات للتطور.

دور الترجمة في تطور البشرية

من بين الوظائف التي تم إقرارها للترجمة، تقليدياً، هناك وظيفة أولى هي تلك المتعلقة "بالتواصل". إن الترجمة وسيلة نقل استثنائية للمعلومة والمعرفة والعلم، وذلك منذ الأزمنة الغابرة¹. إذ بسماعها لشخص ما باكتشاف الأعمال والإنجازات البشرية المفكر فيها والمكتوبة بلغة أجنبية، والتي تفصلنا عنها آلاف السنين، مفسحة المجال أمام الولوج إلى حضارات وثقافات الماضي - البعيد أو القريب - أو الزمن الحاضر، تكون الترجمة قد ساهمت، وبقوة، في تطور الإنسانية على ثلاثة مستويات: الأفكار الرائجة داخل كل تجمع بشري، وتنظيم المجتمعات واقتصادها.

سوف أوافيكم بقائمة الإنجازات، التي لا تحصى ولا تعد، والتي قام بها المترجمون عبر العصور. أحيلكم على الأعمال العديدة التي نشرها مؤرخو الترجمة حول هذا الموضوع، مثلاً على صفحات مجلة: "Meta" نفسها². إننا نعرف جميعاً ما ندين به لمترجمي أعمال الفلاسفة

¹ Soit, pour le moment, quelque 5000 ans attestés.

² Dont, par exemple Henri Van Hoof sur la traduction scientifique, 26-3, p.215 ; ou encore, 18-4, p.387, 19-3, p.141et 19-3, p.171.

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

الأوائل والشعراء ورجالالات القانون والرياضيين والعقول الأخرى الكبيرة في زمانها. لقد تغذينا منها. بيد أنه كم من أجيال قبل جيلنا استفادت منها، جاعلة إيانا، هكذا، نستفيد من ثمرة تفكيرها والتي اغتينا بها كل الاعتناء؟

لن نفي حق الوفاء بالدين الفكري الذي ندين به لـ: "المترجم المجهول" الذي ترتبط به بواسطة الخيط اللامرئي ولكن الصלב للفكر الخلاق المنقول بواسطة العديد من حلقات سلسلة الأجيال¹. إن عمله المتواضع والباهت بالقياس إلى عمل بناءة الإمبراطوريات وكبار الزعماء، ليس بأقل أهمية. بل أستطيع القول إن عمله أعظم من عملهم مادامت الحضارات فانية والإمبراطوريات وأنماط العيش سريعة الزوال، في حين أن الترجمة، تبقى، ونتمنى ذلك، وستبقى إلى آخر الأزمان.

سوف أقتصر على أخذ بعض الأمثلة المستمدة، من بين أخرى، من كتاب النهضة الكبير، وهو عصر (النهضة) حيث اشتهر، المترجم، بصفة خاصة، على الأقل فيما يخص المستويين الفكري واللغوي، ومارست الترجمة تأثيرا بقوة وفراة قل نظيرهما، وبإيجاز: غزيرتين.

ترجمة الإنتاج الفكري

تعود أول ترجمة أدبية من لغة إلى أخرى إلى 250 سنة قبل الميلاد، وذلك عندما ترجم الشاعر لفيوس أندريكوس إلى اللغة اللاتينية "الأوديسة" لهومر². أما الباقية فتنتهي إلى التاريخ والأساطير وإلى الملاحم مثل الترجمة السبعينية التي قام بها 72 حبرا للتوراة من العبرية إلى اليونانية، في نفس العصر على وجه التقريب. إن غالبية الأفكار العظمى الرائجة في الغرب،

¹ فأنا ضارب لك مثلاً ها هنا، عزيزي القارئ، بقيمة النقول أي الترجمات ولو التلخيصية منها التي قام بها الفلاسفة المسلمون في القرون الوسطى والتي ستكون قنطرة مهمة سيمر بواسطتها الفكر الهيليني إلى أوروبا الغارقة في ظلامها بعد نهاية الدورة الحضارية عند المسلمين الذين حاروا بعد همة وخاروا بعدة فورات وثورات. تشهد على ذلك المستشرق الألمانية المعتدلة سيجريد هونكه في كتابها: "شمس الشرق تطلع على الغرب" الصادر سنة 1962. (المترجم).

² Voir sur cette question l'excellente étude de Gilbert Highet (1957), the classical tradition, New York et oxford University Press. A Galaxy Book, p.104. Et SS.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

في اللغات الرئيسية للحضارة، قد وصلت إليها عبر قناة الترجمة، من أفلاطون وأرسطو إلى هيجل، من ديموستين وشيشرون إلى ماركس وياغ، من أبيقور وغاليلي إلى فرويد ومن أوقليدس إلى إينشتاين.

يمكن أن نطبق على غالبية الإنتاجات الفكرية هذه الملاحظة التي تعود إلى نيكول زاند، والذي بالنسبة إليه، "من الواضح أنه، بدون مترجمين، لا يوجد أدب أجنبي، ولا تيار من أجل إخصاب العبقرية الفرنسية"¹. ويؤكد ريمي دو ورمون، من جانبه أنه "في الحقيقة أن الأدب الفرنسي لم يكن ليصبح ذا حيوية إلا لأنه تجدد بثبات، ولم يتجدد أبداً إلا تحت الرياح القادمة من الخارج، غالباً من بعيد جداً"². إذا كان النشاط الترجمي، منذ بداية عهد الترجمة، قد اقتضى بصفة رئيسية، على الترجمة في اللغة المحلية للنصوص الإغريقية واللاتينية، فإنه لم يتأخر، أبداً، في المرور إلى اللغات الدارجة ليستفيد كل شعب من الثروات المقدمة من طرف لغات الآخرين: وهكذا فقد استفاد الروس من إضافة اللغة الألمانية، والألمان والإنجليز من مساهمة اللغة الفرنسية، الخ. لا لغة ولا أدب يمكنهما الاكتفاء بالذات. فبواسطة الاحتكاك بالفكر الذي يتمخض تحت سموات آخر، ينتفض العقل بصورة غريزية، فلما أن ينفج على هذا الفكر ويتغذى منه، وهذا لا يمكن أن يكون إلا انعكاس منافسة أو محاكاة، وإما أن يغلغ على نفسه كانعكاس للدفاع عن الذات من أجل الاحتماء منه. إن فكراً أصيلاً إذا حدث وتم تبليغه، مهما كانت اللغة التي تعبر عنه، فهو عموماً منشط قوي بالنسبة لذاك الذي يكتشفه، فينتج عن ذلك فكر أصيل آخر وهكذا دواليك. إن التأثير المضاعف للترجمة لا يحتاج إلى أن يبرهن عليه. نجمل القول فنقول إن وظيفة الترجمة تكمن في الربط بين الثقافات الأجنبية، الواحدة بالأخرى وإعداد أرضية لجوهر ثالث، لعالم فكري جديد³.

¹ « Misère des traducteurs », Le monde, mardi 30 mars 1982, p.15.

² Cité par Nicole Zand, ibid, p.15.

³ Kenneth White, Une apocalypse tranquille, Paris Grasset, 1985, p. 52.

الترجمة وإغناء الألسن

زيادة على تطوير الفكر والتقنيات وإغناء الثقافات بواسطة أدب تربوي في اللغات الدارجة أثرت الترجمة بقدر كبير جداً، في درس التطور اللغوي. وهذا غني، تقريباً، عن كل كلام. إن المترجم يغني لغته بكلمات جديدة وبصور وصيغ ما كانت لتتأتى له، بالطبيعة، أو ما كان ليفكر فيها لو لم يدخل في احتكاك مع النص الأجنبي¹. فاللغات التي بدأنا بالترجمة نحوها من اليونانية واللاتينية كانت أقل غنى، بكثير، من لغات الانطلاق، لأن الأمر كان يتعلق بلهجات محكية، بالأساس، ومفتقدة، تقريباً، للتقليد الكتابي، وبالتالي للإنتاج الفكري. بالمقارنة، فإن اللغات المرجعية، التي ننعتها بالكلاسيكية قد أخصبت اللغات الدارجة عن طريق العديد من الاقتراضات التي اغترفها المترجمون من قبيل نيكول أوريزم، مثلاً، الذي عهد إليه شارل الخامس بترجمة المقالات الثلاث لأرسطو. وبقيامه بذلك، يكون قد أدخل إلى الفرنسية كلمات مثل "أرستقراطية"، "استعارة" و"سفسطائي" كانت عامل إغناء، فيما بعد. نحن نعرف مقدار ما ندين به له، فيما يخص سواء اللغات الرومانية أو اللغات الأخرى من قبيل الإنجليزية والألمانية. ويتجلى هذا في الثروة المعجمية الكبيرة التي تمخضت عن طريق الاقتراضات واستعارة التعابير والكلمات الإغريقية واللاتينية. إن هذا الموقف المتخذ من طرف المترجم مستساغ: ليس له خيار آخر سوى أن يصطنع المصطلحات العلمية والفلسفية والطبية أو القانونية غير الموجودة. في لغة الوصول. ومن هنا انبثقت الألفاظ المولدة التي ظهرت بكيفية حادة في غالبية اللغات الدارجة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. إضافة إلى المعايير اللاتينية العديدة التي لم يتوان الإنسيون أبداً في شجبها. فلم تسلم من ذلك أي لغة إن رومانية أو جرمانية. غير أنه، تدريجياً، وتحت تأثير شخصيات مختلفة، مثل الإيطالي دانتي خلال القرن الثالث عشر في إيطاليا، ولوثر في ألمانيا وسبينسر في إنجلترا وجماعة الكوكبة (الثريا) في فرنسا، خلال القرن السادس عشر، أزاحت الإنسية "الدارجة"، حقاً، اللغة اللاتينية.

¹ نضرب مثلاً بالترجمات المزعومة التي دافع عنها كل من جدعون توري وإفن زوهار نحو اللغة العبرية والتي ساهمت في إغناء وفتح هذه اللغة كثيراً في العصر الحديث. (المترجم).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

نستحضر بصدد هذا الموضوع مجاهرة سبينسر برأيه الديني عندما يقول:

"I love Rome but London better. I favour Italie. But England more. I honor the Latin; but I worship English".¹

ومن منا لم يحفظ عن ظهر قلب أبيات الشوق² والحنين التي تعود لدي بلادي وهو يبكي بلدته الصغيرة العريقة (اليري)؟

إن هذا التطور وهذا التجذر للغات المحلية إزاء اللغتين اليونانية واللاتينية ندين به، جزئياً، إلى الجهد الصابر للمترجم. فهذا الذي ساهم بقوة، في النهوض بوضع حالة لغات الوصول، مرتقياً بها، بالتدريج، إلى مستوى النموذج الكلاسيكي الذي يحتذى به، قبل أن يجعلها تجابه، نهائياً، العائق الذي كانت تمثله اللغات الأجنبية المنظور إليها على أنها راقية مادامت تحمل حضارة مرجعية عظيمة، دافعاً بها إلى حداثة النهضة.

إذا كان الفكر، كما ذهب إلى ذلك بياجى³، سابقاً على اللغة وإذا كانت "هذه تقتصر على تحويله بصورة عميقة مساعدة إياه على أن يتخذ أشكاله "التوازنية"⁴، فإن المترجم، بسبب تأثيره في هذا وتلك، قد أدى دوراً لا يمكن إهماله في آلية الوظيفة الرمزية. إن هذه الوظيفة الممتدة للترجمة تقوم على حسابه. بيد أنه، مهما كانت هذه الوظيفة شريفة وخصبة، لا يجب أن تحجب عنا إخفاق ومحدودية النشاط الترجمي، وهذا ما سأخوض في الكلام عنه الآن.

سعادة وتعاسة الترجمة⁵

سوف أنطلق من ملاحظة لأجيح¹ حول الترجمة لأنها تحتوي في صميمها المشاكل

¹ المقصود بهذه القولة هو إحساس سبينسر المتعاطف بالانتماء المحلي الإنجليزي على حساب الانتماء الأوسع للحضارة الرومانية. أي بداية تشكل النزعات المحلية لغة وثقافة وغيرها في أوروبا النهضة. (المترجم).

² Traduction libre: « j'aime Rome, mais l'Italie je préfère. L'Italie à ma faveur, mais plus encore l'Angleterre. Le latin honore, mais l'anglais adore ».

³ عالم نفس بنائي وعالم تربية ومنطقي وإحيائي سويسري مشهور في القرن العشرين. توفي سنة 1980. (المترجم).

⁴ Jean Piaget, Six études de psychologie, Genève, Gonthier, 1964, p.105.

⁵ يحيل هذا العنوان الفرعي بطريقة مباشرة على دراسة رائدة في الترجمات كان قد أنجزها فيلسوف إسبانيا الأول في العصر الحديث يتعلق الأمر بخوسي أورتيجا إي غاسيت المتوفى سنة 1955. أما عنوان الدراسة فهو: Miseria y esplendor de la traducción أي: "بؤس وعظمة الترجمة" الصادرة في الأصل سنة 1937. (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

الأساسية التي يطرحها إنجازها:

"إن هؤلاء الذين يريدون سلب الترجمة أية قيمة، تحت ذريعة أننا نترجم دائماً بطريقة بائسة، يجب عليهم رغم ذلك، القبول بأن أي نص في أي لغة ما [...] هو، جزئياً أو كلياً، قابل للترجمة إلى نص في لغة أخرى"². إن ما يزعجني داخل هذه الملاحظة، ليس تأكيد أن تكون الترجمة ممكنة، وهذا ما نفتتح به كلنا، وإنما تلك التحفظات التي تعبر عنها: إننا نترجم دائماً ببؤس، تقريباً، (أو تماماً). فلتقروا بأن هناك سبباً ما يجعل المرء حائراً وحتى غير مطمئن! بل مصداقاً للانتقادات الحادة وللتهكمات العديدة التي نتحمل بها على المترجم دائماً، بحيث يبدو لنا أنه لا يسيطر على فنه حقاً أو مجموع مهاراته حسب ما تذهب إليه الآراء. والحال أن الأمر المدهش هو أنه حتى بصورة جزئية أو تقريبية جداً، يمكننا أن نترجم دائماً³. فإذا كان التطابق البيلساني (بين الألسن) غير حاصل، من الناحية النظرية، على الأقل، في الوضع الراهن للعلم، يبقى في غياب الأفضل، وفي أحسن الأحوال، أمراً معروفاً جداً هو "التعادل" سواء أكان دينامياً، وظيفياً، شكلياً⁴، أو ماذا أدري؟

إنه في إنجاز نص الوصول (المترجم) حيث تكمن نقطة الضعف. فمهما كانت طريقة الترجمة التي ينتهجها المترجم - حرفية أو كلمة بكلمة: ترجمة الحرف، المعنوية أو الترجمة الحرة التي لا تعير الاهتمام لا للنص ولا لمؤلفه - فإن نص الوصول (المنتج النهائي) سيكون موضوعاً للنقد حسب إيديولوجية الشخص الذي يطلق حكم قيمة عليه. فالمترجم هو ضحية المشاعر والرغائب والضغائن أو الإحباطات التي يغذيها الناس حول إنتاج الآخرين؛ ذلك أن الروح النقدية هي واحدة من الأمور الأكثر إشاعة في العالم.

¹ لسانى فرنسى مشهور من أصول يهودية، وُلد بتونس سنة 1936. اهتم كثيراً بديداكتيك اللغات وعلوم اللغة والترجمة. (المترجم).

² Claude Hagège, L'Homme de paroles, Paris, Fayard, 1985, p.47.

³ Claude Hagège, ibid. p.50.

⁴ تحدث الكثيرون عن المعادل الدينامي والمعادل الشكلي منهم إيوجين نايدا وحاتم الباسل وإيان مايسون ودو ليل وغيرهم كما نجد ظلاله في التقاليد الترجمية العربية في بيت الحكمة وعند الجاحظ وغيره كثير. (المترجم).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

سأتحاشى، مرة أخرى، أن أفتح "فهرس الشنائع" التي تُلصق بالمترجمين. فلنقل إنه قبل ظهور التدريس النظامي للترجمة من نحو بضعة عقود، كان المترجم، في غالب الأحيان، هو الآخر محط تشهير. ومنذ ظهور مدرّسي ومنظري الترجمة، على وجه الخصوص، لم يعد المترجم هو الوحيد الذي يعاني المتاعب والويلات في المقام الأول. ذلك أن القائمين على النشاط الترجمي كلهم متهمون، وإن بدرجات متفاوتة. إن المترجم كواحد من الذين يقومون بوظائف الترجمة الثلاث - التتظير، التدريس، الممارسة - يمكنه، في معظم الأحوال، أن يستفيد رغم ذلك من ظروف التخفيف. سأوضح ذلك.

المترجم وثقل التاريخ

سأبدأ بتفحص حالة المترجم، الأكثر سهولة، ولربما الأكثر بساطة من بين تلك الحالات الثلاث. إننا ندين له، كما رأينا ذلك، ببعض من أروع نجاحات الحضارة. ندين له كذلك بالإحباطات الصارخة (الفشل) في غالبية اللغات والثقافات التي نعرف. فدون أن نذهب بعيداً حتى مشاطرة وجهة نظر الكندي لويس ألبير بونواس، الذي أدان سنة 1922 "عمل الترجمة المشؤوم"¹ - لكن سياق ذاك الحين كان يقبل ذلك - يمكننا، على العكس، أن نتساءل عن "جودة" الحضارة التي تبنى وتشيد عن طريق المعنى المضاد والمعنى الزائف والأخطاء وغيرها من الشنائع من هذا القبيل.

بكلام آخر، هل تؤثر أمانة² ترجمة ما في نجاحها، إذا كان أمر الاتفاق حول مدلول هذا المصطلح ممكناً؟ إننا نعرف جميعاً نموذج الترجمات التي أنجزها كل من بودلير ومالارمي

¹ Dans une conférence donnée devant la société du parler français au Canada, le premier février 1922, intitulée «L'influence de la traduction sur notre parler», le Canada français, 8- 4, 1922, p. 253-271.

² هذا المفهوم كذلك المقترن بنقيضه أي "الخيانة" كتب حوله العديد من المنظرين والدارسين منهم ولتر بنيامين مثلاً في "مهمة المترجم"، غير أنه أصبح في تقديرنا متجاوزاً اليوم، في زمن العلم والعولمة، وتراجع الهيمنة اللاهوتية والدينية في التوجيه، ذلك أن مفهوم "الترجمة خيانة" أصلاً هو سليل الكنيسة الكاثوليكية وباسمه سفتك دماء عدد من المفكرين والمترجمين الأحرار مثل إتيان دولي في فرنسا سنة 1546. (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

لعمل إدغار آلان بو: إنها طافحة بالأخطاء. لكن نصوص بولدير، مثلاً، هل، حتى من أجل هذا، لقيت نجاحاً أقل؟. إن النجاح المتواصل الذي عرفته ترجماته منذ ذلك الحين، والتي شهرت بو عند الفرنسيين ورسّخت شهرته في العالم (وهي ما زالت تدهش النقاد الأمريكيين) ليبدو أنها تبين العكس.

هناك مثال آخر ذكره كاري متصدياً للنجاح الذي لقيته النسخة الفرنسية لـ: هامليت؛ الفيلم المصور باللغة الإنجليزية، بمشاركة لورنس أوليفي في الدور الرئيس الذي نال رضا الجميع رغم بعض الهفوات التقنية، وعلى وجه الخصوص تلك المتعلقة بإهمال أحد التزامات الصوتية¹.

في الواقع، منذ "الجماليات الخائئات" والخصومات بين القدماء والمحدثين تنبعث في كل حين، حتى في أيامنا هذه، أيضاً، على حين غالبية الناس لا تناقش جودة ترجمة ما، خاصة، في المجال الأدبي وتضع الثقة في المترجم. إن هذا دور النقود الأدبية والجامعيين فيما نعتقد، أي مقارنة النص المترجم بالنص الأصلي. والحالة هذه، فإن كل ترجمة جديدة لعمل معين، سواء أعلق الأمر بالترجمة الإنجليزية لرائعة بروسست الموسومة بعنوان - بحثاً عن الزمن الضائع - والتي أثارت، وحدها زوبعة حقيقية أو ترجمة "المحاكمة" لكافكا من طرف لورتولاري والذي يتهم ألكسندر فيلات، أول وأكبر مترجم لهذا العمل، لكونه قد خان المؤلف، بحيث لم ينقل الدعاية المتميزة لكافكا أو الترجمة الشاعرية للتوراة بعد 50 سنة من طرف أنجري شوراقي التي بالغ في إطارها البعض وحقرها البعض الآخر.

كي أختم هذا الفصل أذكر بعجالة، الجدل الذي أحاط بترجمة أعمال فرويد² ومصطلحيتها الفريدة، السخط الحقيقي أو المصطنع لميلان كونديرا وهو يتهم مترجمي رواياته الأولى

¹ «La traduction totale», Babel, VI, 3, sept.1960, p.115. La traduction dans le monde moderne, Genève.1956, p.108.

² طبيب نمساوي من أصل يهودي، مختص في دراسة الطب العصبي ومفكر حر. يعتبر مؤسس علم النفس التحليلي. (المترجم).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

بتحريف نبرتها، كلية، غير معبرين عن روح الدعابة التي، كما يؤكد، تطبع أعماله. إن هذه النادرة ليست بدون أهمية: فكونديرا يخال، خطأً أو صواباً، أن مترجميه جعلوه يشتهر ككاتب حزين وممل، في حين أن رواياته كانت، على العكس، فظة ومرحة.

إن هذه الانتقادات الموجهة لعمل المترجم لا تستهدف اللغة الفرنسية فقط. فهناك انتقادات أخرى، وما أكثرها، تستهدف اللغات الإنجليزية والألمانية والإسبانية أو الإيطالية. إن هذا الشرّ كونيّ. غير أنه فيما يتعلق بالفرنسية يمكن أن نستكشف، بسهولة، أسبابه. لقد سبق أن استحضرت آنفاً "الجماليات الخائئات". فهذا التقليد، بكل تأكيد، فرنسي. لقد رده أنطوان برمان أصله إلى الوراء حتى وقف عند دي بلاي الذي يعرض في كتابه: "دفاعاً عن اللغة الفرنسية وإبانتها"¹ 1549، بعض المبادئ الخاصة بالترجمة والتي حبست أجيالاً من المترجمين في إطار ثقافي متمركز عرقياً لا يزال يلقي ببعض ظلاله، حتى اليوم، أيضاً².

سوف أقدم لكم مثلاً أخيراً موضحاً جداً للمزاج الذي تأطرت فيه، ردهاً من الزمن، الترجمة الفرنسية. ومن لم يشاهد الفيلم المقتبس من الرواية الشعبية المشهورة لمارغريت ميتشل³، والذي ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان: *Autant en emporte le vent*? نستحضر ذلك المشهد المأساوي الذي يخص القطيعة بين ريت باتلر وسكارليت، في أسفل الدرج الكبير، وهي تحاول أن تستدر شففته بطريقة أنانية حول مصيرها، وبأقل عدد من الحجج، تتوسل إليه كي لا يهجرها. وعندها يرسل لها هذا الجواب اللاذع: "بكل صراحة عزيزتي، إنه لأضعف همّ عندي"، فهذه الجملة تترجم بالإنجليزية بـ: "Frankly, my dear, I don't give a bann!".

أذكركم بأن هذه الرواية قد ظهرت سنة 1936، لكنها تعالج حدثاً في جنوب الولايات

¹ نذكر ها هنا بأن دي بلاي 1549 في فرنسا وو سبيرون سبيروني 1542 في إيطاليا وأنطونيو دي نبريخا 1492 هم أوائل من حاولوا التقعيد للغتهم المحلية في بلدانهم والدفاع عنها أمام اللغة اللاتينية التي كانت قد بدأت تشيخ وبدأ يطلقها متكلموها. (المترجم).

² L'épreuve de l'étranger, Paris, Gallimard, 1984.

³ كاتبة أمريكية شهيرة ولدت بأطنطا وبها توفيت سنة 1949. (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

المتحدة الأمريكية إيان حرب الانفصال نحو 1860 ونيف. فبالنسبة لإنسان مؤدب، فإن هذا الرجل قد غامر مع ريت، لأن جواباً سريعاً كهذا فيه ما فيه من البذاءة، خاصة في الجنوب حيث العادات واللغة مهذبة ولكن النبرة مكشوفة، إنها تتم على حق الرجل الذي طالما خدعته سكارليت المتقلبة الأطوار وعلى سخريته ذات السذاجة الزائفة أمام مناورتها الخائنة.

إن المترجم لم يفلح في الفطنة إلى هذا، لأنه كان عليه، وبدون شك، أن يجعل الجمهور الفرنسي يعتقد أن الأرستقراطية الجنوبية تعبر عن نفسها بلطافة وليس ببذاءة، خاصة عندما يجري التوجه بالكلام إلى امرأة بحيث تحرر من الحرف والمعنى ونبرة النص. فمن منا يتخيل ريت باتلر وسكارليت يعبران عن نفسيهما بنبرة... ماريوس وفاني؟ والحال أنه رغم ذلك، فهذا ما كان يجب أن يقوم به من أجل أن يكون هناك تعادل في المقامات. إن هذا النوع من الخيانة ما كان ليصدم الكثير من القراء؛ فالقليل من الفضوليين هم الذين سيذهبون إلى تفحص الأصل للوقوف على كيفية تعبير هذين الغربيين الأمريكيين، واقعياً، في لغتهما. يتعلق الأمر بمثال من بين ألف ليس غير، بيد أنه مدهش ويختصر، تماماً موقف غالبية المترجمين، والذين هم، زيادة، على ذلك ميلالون لاتباع قواعد دي بلاي وكذا جاك أميوت ومبدأ الفن للفن المنظم لجمهورية الأدب والذي لربما عبر عنه فلوبيير جيداً بهذه الكلمات: "إن مغزى الفن يكمن في جماله نفسه، وأنا أقدر، فوق ذلك، أولاً الأسلوب وبعد ذلك الحقيقة"¹. ومن جانبي فإن مغزى الحادثة يرتبط، أكثر وعلى وجه العموم، بالموقف المتمرد للعمل الأجنبي والذي يميز الحضارة الفرنسية التي تواطأ معها المترجم عن وعي أو عن جهل، باسم المصالح العليا للحضارة التي يجب عليه خدمتها ولكن من غير خيانة تلك الحضارة الأجنبية، من أجل هذا الأمر.

بيد أنه نعذر المترجم كثيراً مادام ليس بالمسؤول الوحيد عن هذه "الخيانة" التي فرضها عليه المجتمع ورقبائه، ماذا عساي أن أقول، نماذج التي يحتذى بها في التفكير.

ومن أجل مواساته في هذه المحن، سأذكر له كلاماً مسلياً يعود لنيورون، وها هو ذا: "لقد

¹ Dans une lettre à Louis Bonenfant, cité par Henri Troyat, dans sa bibliographie Flaubert, Paris, Flammarion, 1988.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

سبق أن عرفت كتاباً بليدين وحتى أغبياء؛ والمترجمون الذين استطعت الاقتراب منهم كانوا أذكاء جداً وذوي أهمية أكثر من الكتاب الذين يترجمون لهم. وهذا يعني أنه يجب أن نفكر من أجل الترجمة أكثر من التفكير من أجل الإبداع¹.

إن باقي المتهمين، الذين نحن من بينهم، هم مدرسو ومنظرو الترجمة الذين أعاد فيناي تسميتهم بشكل طريف: "Pedagotrads" و "Théoritrads". سوف أتلو نصيبهم من التهمة ما داموا، بصفة عامة، ينتمون كلياً أو جزئياً إلى نفس العالم ألا وهو الجامعة.

عالم التربية والعلم والترجمة²

سوف أحاول أن أكون موجزاً فيما يتعلق بموضوع مناهج الترجمة المنجزة من طرف مدرسي الترجمة وفيما يتعلق بموضوع النظريات المشيدة من طرف منظريها، لأنكم تعرفون ذلك مثلما أعرف. إن هؤلاء وأولئك يسعون وراء هدف مشروع جداً، وهو الرفع دائماً، أكثر، من مستوى الممارسة والتفكير العلمي جاعلين من الترجمة موضوعاً للدراسة وكذا المساهمة في تقدم المعارف وبالتالي في ازدهار العلم. لن أحشر أنفي في ذلك الجدل التقليدي الدائرة رحاه بين المنظرين والممارسين والذي من شأنه أن يتعب من جراء الإطناب، ولكن، سوف أقابل بكل بساطة، بين ممثلي الفرق الثلاث في العلاقات الضرورية الناشئة بينهم والتفاعل الذي يجري بينهم كذلك.

إن صلب المشكل، والحالة هذه، هو أن المنظرين يقيمون نظريات يرتكز عليها المدرسون من أجل صياغة مناهج تسعف في تكوين الممارسين، والذين سوف ينفعون بها، أحياناً، حتى إنهم يترجمون بالانطلاق من إحدى الخلفيات. إنّ لهذا الأمر أهمية معتبرة حول تفعيل خبرة المترجم بحيث إنه قد تحتوي إيديولوجيا ما على التفكير النظري والذي يتكئ على هذه

¹ Aueux et Anathèmes, Paris, Gallimard, Arcades, 1987, p. 39.

² من منظوري الشخصي المتواضع، أقول إن الترجمة خافطة باهتة في مجال ديدكتيك اللغات بل حتى تدريسيها كمادة للشعب العلمية في المرحلة الثانوية، مثلاً، غير ذي بال بل لا تدرس في مؤسسات كثيرة مع الأسف. (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

المدرسة الفكرية أو تلك أو ذاك العلم أو التخصص. إذا أمكننا أن نؤاخذ الممارسين عن رضاهم بالجمود المطمئن أو المحافظ، خاصة على المستوى اللساني، فإن مدرسي ومنظري الترجمة لا يفلتون من النقد. فبالنسبة للأوائل فإنهم لا يبحثون إلا عن إنتاج مناهج مرتكزة على مبدأ أحادي، وبالتالي مختزل (ولربما ينم على تمركز عرقي مقنع؟)، مثل ذلك المتعلق باللغة والخطاب واللسانيات والأسلوبية، وأمر، أما بالنسبة للفريق الثاني، فإن أصحابه يسعون إلى البرهنة، بأي ثمن، على أمر مستحيل (تربيع الدائرة)، يتأبى عن الانحصار في أي معادلة.

فيما يتعلق بمدرسي الترجمة والمناهج التي يجترحونها فإنني أعترض على تركهم جانباً، وفي الغالب، عمداً، الأبحاث المنجزة في علم التدريس وعلم النفس وعلم الحياة والفيزياء والعلوم الاجتماعية والعديد من محاولات العلم والتكنولوجيا، لأنها تخرج من حقل انشغالاتهم النصية. يمكننا أن نقبل حرص المترجم على تفادي المغامرة في أرضية ما، منزلقاً، وتفضيله البقاء في الراحة الفكرية التي توفرها له الحدود الطبيعية لتخصصه، وهو أمر أكثر طمأنة، كما سنتفقون مع ذلك. لكن، وكي نبدأ، هل فكر مدرس الترجمة في رهانات وعواقب هذا الموقف عندما يتعلق الأمر بتكوين، ليس فقط، المترجمين رغبة في إعتادهم بالخبرة المهنية التي ينتظرونها، أكيد، ولكن، كذلك ربما، على وجه الخصوص، تكوين أناس شباب - الأوعاء - حيث التكوين والحياة المهنية لن يشكلا إلا مرحلة في مسيرة طويلة للمسار الفكري الذي ينتهجه كل شخص في حياته؟ هل وضع في الحسبان، مثلاً، أثناء صياغة منهجية ما، توجيهها كي تطبق بشكل موحد على أناس من أصل مختلف جداً، حيث كفاءاتهم، فضلاً على التكوين المستفاد منه، يكون متبايناً، أحياناً؟ هل وضع في الحسبان إيقاعات وأساليب التعلم الشخصية، المتنوعة حد الإدهاش، والتي أبان عنها علماء النفس؟. إن التأخر المتراكم في علم تدريس الترجمة يجعلني، حتماً، أستحضر تلك المقارنة التي قام بها عالم الفيزياء الفلكية هابرت ريفس بين وضع نجامة (علم التنجيم) راسخ لا محالة في أساطيره اليونانية والرومانية - لكننا لا

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

نستثني العرب والأنتيكا¹ والصينيين في هذا!- وبين التطورات والكشوفات في الفلاكة (علم الفلك) التي تربك، كليا، معطيات شبه العلم الشعبي هذا.

بعد كل هذا، لماذا لا تنظم الترجمة، على غرار الكون (المعروف)، هي الأخرى، بواسطة القوى الأربع التي تسوسه؟ لقد كان كل من ديدرو ودالامبير² وآخرون كثر يرون من ذي قبل أن الكائن الإنساني لم يكن سوى حلقة صغيرة في سلسلة غاية في التعقيد والأهمية، حد الغرابة، وأن بإمكان الكيمياء تفسير العديد من الأشياء، وهو الموقف الذي جلب لهم، آنذاك، الكثير من العداوات. بعد ذلك، عرف العلم تطورات عملاقة في المعرفة المتعلقة بالأشياء المتناهية سواء في الصغر أو الكبر، غير أن التعثرات والمقاومات المناوئة من طرف الأيديولوجيا قد استمرت.

إنه إذن لمن اختصاص المنظرين، أمام خمول الممارسين³، الذين لديهم انشغالات أخرى، وأمام الركود التدريسي والمنهجي عند المدرسين، أن ينشطوا التفكير حول الترجمة، لكن بطريقة صارمة، بمعنى علمية⁴، بإثارة تحالفات بين التخصصات. يمكن ذلك؟ وفي حالة الإيجاب، هل يريدون ذلك؟ من أجل هذا، سيكون من المناسب أن يتخلصوا من المسلمات الأيديولوجية⁵ التي تشوه فكرهم وأن يستمعوا إلى النداءات التي يطلقها العلماء المتحدرون من مجالات معرفية أخرى والرامية إلى إحداث تقارب بين العلوم: الطبيعية والحقة والإنسانية وسوف تكون اللائحة طويلة، غير أنني أعتقد، على وجه التحديد، في جون روستان، بياجي،

¹ حضارة أمريكولاتينية عريقة كانت في المكسيك قبل قدوم كريستوف كولومبوس وهيرنان كورتيس وغيرهم من الفاتحين أو قل الغزاة الإسبان بمئات السنين. (المترجم).

² فيلسوفان وعالمان وكاتبان فرنسيان متوران كبيران في القرن الثامن عشر الميلادي. (المترجم).

³ Qui reflète d'ailleurs en partie la crise que traversent les sciences sociales depuis, en gros, 1968, lorsque les grands édifices intellectuels ont été contestés et que les certitudes qu'ils avaient érigées en système ont été balayées par le doute salutaire, de mise en toute entreprise intellectuelle saine.

⁴ Hubert Reeves en propose la définition suivante, qui correspond parfaitement à ce que j'entends par démarche scientifique : (elle) consiste à admettre ses limites, à tâtonner, à se tromper, à se corriger, à ajuster continuellement le tir. Propos tenus dans une entrevue accordée à l'express, 1798, 27déc.1985, p.35.

⁵ J'entends ici par « idéologie » un système d'idées fait pour contrôler, accueillir, refuser l'information, selon la définition qu'en donne Edgar Morin.

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

فرانسوا جاكوب، ألبير جاكوار وهابرت ريفيس¹، كي أقتصر على الجانب الفرنسي. يجب علينا التشبع بأهمية التفكير النظري سواء في مجال الترجمة أو غيرها من المجالات وبضروريته. في كتابه الموسوم بعنوان: "الترجمة دون خيانة" يذكرنا جون كلود مارغوت بذلك، كما يجب: "إن نظرية الترجمة تسمح للمترجم بأن يعرف جيداً ما يفعل، وما يجب أن يفعل، وعكس ذلك، فإن أسئلة المترجم تضطر المنظر إلى إعادة التفكير، باستمرار، في عمله حول هذه المهنة. إن المهم بالنسبة لهذا وذلك هو عدم الاكتفاء بالعيش على ما هو مقرر"². ذلك أنه، حسب فرانسوا جاكوب³، "كل نظرية علمية محكوم عليها إن عاجلاً أم آجلاً بأن تعوض بواسطة أخرى من شأنها تفسير جوانب أخرى من الظواهر. إن النظريات تتناسخ في حين يظل الموضوع نفسه"⁴. إن المنظرين وهم يحصرون أبحاثهم النظرية في مجال انشغالاتهم الوحيد، لا ينصفون العملية الترجمة، التي تعد واحدة من أعقد نشاطات العقل البشري، بحيث لا يمكن أن نختزلها في ارتكاس شرطي بسيط. فبين نظرية لا تقهر أي شيء، تقريباً، ونظرية عامة تسعى، عبثاً، إلى تفسير كل شيء، هناك مجال لمحاولة تقديم تفسير ما للعقل البشري حول عالم الترجمة. أين هو الإجراء العلمي (الإبستمولوجي)⁵ الذي من شأنه البحث عن تفسير بيخصي للترجمة؟ سوف يبقى سؤالاً دونما جواب، في هذه اللحظة، على الأقل.

في ظل هذه الظروف، على من يعود هذا الخطأ والسمعة الزائفة التي ينجو منها المترجمون؟ إن أيّاً من هذه الفرق لمذنب بطريقة من الطرائق. غير أن دور مدرسي الترجمة

¹ Je reprends les propos de Reeves, ils ont une résonance particulièrement contemporaine : « Il y a une sorte de continuité qui fait que désormais on ne peut plus séparer sciences naturelles et sciences exactes, sciences naturelles et sciences humaines. Si vous concentrez votre attention sur un domaine de la réalité, vous êtes obligé de faire appel au domaine adjoint. Vous ne pouvez pas étudier la biologie sans étudier la chimie, la chimie sans étudier la physique, la physique sans étudier les mathématiques, les mathématiques sans étudier la psychologie ». (Lire, 133, oct.1986, p.33).

² Lausanne, Symbolon, L'Âge d'Homme, 1979.

³ عالم بيولوجي فرنسي حاصل على جائزة نوبل في الطب. توفي في أبريل من سنة 2013. (المترجم).

⁴ Entretien avec l'express, 1585, 27 sept.1981, p.83.

⁵ Je prends le terme «épistémologie» dans le sens où l'entendait Piaget, soit, «l'étude de la constitution des connaissances valables et l'étude du passage des états de moindre connaissance au états de connaissance plus poussée », (Logique et connaissance scientifique, 1967).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

يكتسي أهمية كبيرة، خصوصاً، بالنسبة للمستقبل. فحسب إدراكهم للمناهج ذات الميول المتمركز عرقياً أو لاء؛ الميول الخارجي المنشأ أو الداخلي المنشأ، يتمنون أو سيقفلون من الإضافة التمدينية للترجمة. فالرهان، كما ترون كبير جداً. إذا كنا نريد أن نسحب عنه هذا الارتكاس السلفي الكاره للأجنبي والحذر المتشكك نحو الآخر الأجنبي الحامل للاختلاف، وحتى التحريف (اللغوي، الثقافي)، وأن نخلص الترجمة من إيديولوجية نجدها حتى في سلسلة روايات أرلوكان، ومن آخر كوارث الأدب العاطفي، فإنه يجب علينا، إذا، الإقلاع عن عادة تملك نص الآخر كما لو كان نصنا الشخصي، وأن نكف عن اعتبار أننا نملك كل الحقوق عليه. فلا لنسيان أن حرية البعض تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين، في مجال الحقوق كما في مجالات أخرى.

بعدما رأينا، معنى كون الترجمة حاملة للحضارة، ثم العراقيل التي من شأنها اعتراض حركتها التمدينية، سوف أحاول أن أجمل الخطوط العريضة المتعلقة بدرجات التمدن التي يمكن أن تخلفها. بكلام آخر، لقد تساءلت حول إضافة هذه الحضارة، إذا ما أمكننا قياسها، وطرحنا السؤال التالي:

الحضارة: هل يتعلق الأمر بقضية درجات أم وظائف؟

إن نصاً ما، سواء أكان مترجماً أم لا، تجري قراءته على عدة مستويات، بالنظر إلى القدرة القرائية للقارئ، التي يختلف تطورها تقريباً، حسب الأفراد، وأنا لست هنا في مقام التعليق عليها ما دمت قد قيدت نفسي بأن أعين لا غير.

تعني القراءة¹، في مدلولها الراقى، النفاذ بعمق كبير جداً إلى النص من أجل القبض على المعنى واستخراج أكثر قدر ممكن من الدلالات التي تحملها الدلائل، وهذا ليس في إمكان

¹ القراءة قراءات ويجب على المترجم أن يكون قارئاً جيداً ونبهها كي لا يقع في الهنات التي لا تحمد عقباه. وتحضرني جملة لروائي وقاص وناقد أرجنتيني شهير جداً هو خوليو كورتاثر عندما يصنف القراء إلى صنفين هما: القارئ "الرجل" والقارئ "المرأة" أي القارئ العميق والقارئ السطحي رغم معيارية هذا الوصف ها هنا. (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

الجميع. فبالنسبة للبعض، ومن ضمنهم كارل بوبر¹، يذهبون أبعد من ذلك، وحتى اعتقاد وجود، أيضاً، قراء أذكى أقل بالمقارنة بالكتاب الألمعيين، الذين يشكلون ذواتاً مؤهلة لتأويل نص ما إلى درجة استجلاء لبّه الجوهرى، واستنباط إمكاناته التي تنفلت للناس العاديين. أما آخرون، كذلك، فيرون مع كنيث وايت، الشاعر الأسكتلندي أن القراءة "فن نادر ما يُمارَس على نحو دقيق"، ويضيف أن "واحدة من أحسن الطرق كي نقرأ هي أن نحاول الترجمة"². فحسب صنف النص ومستوى المعلومة التي يحتويها، يكون المعنى إما غامضاً تقريباً أو واضحاً بالنسبة للقارئ الذي يتوفر على عدة معلومات من المعارف. ففي الواقع كل يغترف من نص ما، ما وُضع فيه كي يكتشف، وذلك بمساعدة شبكته التأويلية وقدرته الشخصية على فك الرموز. سوف أصنف النصوص، إذن، وفق مستوى المعلومة التي تحملها. ومن أجل ذلك، أميز بين ثلاثة أصناف كبرى من النصوص بل وحتى أربعة حسب المجالات المنظور فيها: النص الإعلامي (ن.إ)، النص الخاص بالمعارف (ن.م)، والنص العلمي (ن.ع). ويمكن أن ندرج بين الصنف الثاني والثالث النصوص الموسوعية (ن.م)، حسب الفرق الذي نقيمه بين هذه العلم. أكثر تحديداً، فإن "المعلومة" حسب فرنسوا شاتلي، خاصة، تعتبر معطى خاماً، إنها حدث من مثل: إنها تهب اليوم (أو تمطر)؛ أما "المعرفة" فهي ملفوظ يعبر عن فحوى بحيث يتم تعديله بإقحام مبدأ المعقولية.

أما فيما يتعلق بالعلم فإنه ميول أو زعم يسعى إلى استقصاء المعرفة. فبين معلومة تحمل حدثاً بسيطاً وأخرى تحمل علماً، هناك، كما هو جلي، ذلك الفرق الذي يفصل القارئ العادي عن القارئ العبقري. وها هنا، كذلك، سوف أميز بين ثلاث فرق من القراء، تم تصنيفهم حسب درجات المعنى كما استنبطها رولان بارث³:

¹ فيلسوف إنجليزي نمساوي المولد مختص في فلسفة العلوم، بل يعد أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين، كما أنه كتب كثيراً عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية. (المترجم).

² Une apocalypse tranquille, Paris, Grasset, 1985, p.54.

³ L'Obvie et L'Obtus, Essais critiques III.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

1. نجد في الفريق الأول الأغلبية الساحقة من الناس، الذين يقرؤون ويبلغون. يتعلق الأمر بالمعنى الأول المرتبط بالتواصل الذي يبرز معنى النص من دون تعمق.
2. نجد في الفريق الثاني، القليل العدد بكثير، هؤلاء الذين يدركون الدلالة ويعون معنى النص.
3. يتكون الفريق الثالث من أشخاص ينفذون إلى أقصى عمق النص حتى الوصول إلى مدلوليته، بمعنى القبض على معناه العميق والخفي.

سوف أتحدث هنا، بصفة رئيسة، عن قراءة ضمن- ثقافة وليس قراءة بين- ثقافية باعتبارها حالة يقوم خلالها قارئ أجنبي، منحدر من ثقافة مختلفة، بتأويل مريب للنص، أحياناً، الذي يقرأه بعيون أخرى، وعلى نحو مختلف وغالباً، فهذه حالة المترجم الذي، عبر غريال الترجمة يُقَوِّل النص، ذاك الذي لم يدرك القارئ العادي أثناء قراءة سطحية أو سريعة.

إن هذه المستويات القرائية الثلاثة تتعلق بوظيفة قائمة في صميم المجتمع، وبمجموعة بشرية خاصة، حسب الأيديولوجيا التي تحركها: إيمان، اعتقاد، نظام، منظمة، إنتاج، أو اقتصاد. إن هذا المحور الثلاثي الوظائف هو أساس كل خطاب، كل نص، ويتم فصل حول الوظائف الرئيسة التي يضطلع بها مجتمع ما ويشترط القراءة التي نقوم بها له.

واضح للعيان، إذن، أن فعل القراءة مكون ممدّن¹ وخصب بدون شك؛ حيث كلُّ منا يجد فيه ضالته، انطلاقاً من قارئ الأعمال الفلسفية الكبير وصولاً إلى قارئ روايات الجيب. عن طريق القراءة، يقوم القارئ بعمليات إسقاط ومقارنة وتحليل نفسه. بالارتكاز على المعرفة مهما كان مستواها، يغذي تفكيره ويغنيه. إنه يغتني كفرد، لكنه يعكس هذه الريادة المعرفية في حياته اليومية على الآخرين الذين يحتك بهم، على مستوى من المستويات، مهنيّاً أو اجتماعياً أو عاطفياً. فإذا كان البعض يغتني أكثر من الآخر بالقراءة، فلأن كل واحد يأخذ منها بقدر ما

¹ مع أننا "أمة القراءة" إلا أننا لم نعد نقرأ كما يجب، ويشهد على ذلك كساد سوق القراءة في الوطن العربي من الخليج إلى المحيط؛ كما نبه إلى ذلك في وقت سابق مستشرق فرنسي كبير هو جاك بيرك. والأمة التي لا تقرأ سائرة نحو حتفها قداماً. فلنقرأ كي ندوم في الزمان والمكان! (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

هو مستعد ومؤهل لأخذه. إن الحضارة تُشيدّ ببطء وكل وظيفة اجتماعية تساهم في بناء هذا الصرح. في نهاية المطاف، إن مجموع هذه الوظائف الثلاث الرئيسية التي يمكن أن يضطلع بها الكائن البشري في مجتمع معين هي التي تجعل من حضارة ما عقيدة مهيمنة، جيشاً فاتحاً أو تجارة منتشرة في كل مكان، حتى إنها، يمكن أحياناً، أن تجعلها خالدة، على الأقل في الذاكرة الإنسانية. غير أنه شريطة أن تفتح الأيديولوجيا التحتية على الإعلام الذي يستطيع أن يسائلها. أما إذا انكفأت هذه الأيديولوجيا على ذاتها "فإننا سوف نكون غير قادرين على استقبال أقل درس عن الواقع ولا حتى أي شيء جديد".¹

خلاصة

سوف أختتم هذا العرض ببعض الملاحظات والاقتراحات لأنه، كما تعلمون، النقد سهل والعمل صعب. بحيث لا يكفي أن ننتقد، بل أن نبني ونقترح، وهذا ما سأقوم به دون مزيد تأخر. من أجل أن تكون الترجمة "جوهر الحضارة عينه" كما يزعم ذلك إسحاق باشفيس سانجير، يجب، ربما، أن تميل أكثر نحو تحرير النص الأجنبي. إن الترجمة باعتبارها مكوناً أساساً من ثقافة معينة، فإنها هي الخميرة التي تغذيها. فهي تغنيها بتشويها أثناء عملية النقل وهو ما قد يطول، غالباً. إذن، فالترجمة مشكلة للذوق، مثل ما حدث مثلاً في القرنين السادس عشر والسابع عشر، سواء أكانت متمركزة عرقياً أم لا. أما إذا كانت متمركزة عرقياً، وإذا تمخضت عن نص حيث يجد المخاطب/القارئ نفسه وكأنه في ثقافته الأصلية، عندها يبدو لي أنها أقل إخصاباً (خلقاً أو إغناء) من ترجمة، وهي تتحدّر من لغة وثقافة أو تقليد أجنبي، تدهش، تخرج وتحرك المتلقي، مضطرة إياه إلى إعادة النظر في ذاته وإلى التساؤل، فتغنيه باختلافها عوض أن تسجنه في امثالية عادة أو تقليد ما. ينتج عن هذا أن الترجمة مخلخة قطعاً، بحيث يجب أن تثير صدمة لدى القارئ وتترك أثراً أثناء عملية النقل. وهكذا فإن الإغناء ومن ثمة الحضارة، يتمخض عن هذه الصدمة ومن هذا الاختلاف.

¹ Edgard Morin, pour sortir du XXe siècle, Paris, Fernand Nathan, 1981, p. 42.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

إن الترجمة لا تركز، بالضرورة، على التملق للمتلقي أو جعله مسروراً بالبحث عن النص الذي كان ينتظر قراءته وإنما، بالأحرى، تركز على مفاجأته واقتراحها عليه نصاً أجنبياً عن ثقافته وعن تقاليده. مجمل القول، هو أنه، بواسطة الترجمة، يتغيا المترجم القبض على المقصدية الحقيقية لمؤلف النص الأصلي وليس التصرف على نحو كما لو أن الرسالة موجهة حصرياً للقارئ وأن هذا المترجم يحوز كل حقوق هذه الرسالة، في حين أنه ليس إلا مستأجراً لها، بمعنى مالك لها مؤقتاً، مع ما يتمخض عن ذلك من التزامات.

والحالة هذه، بما أن الترجمة تنزع، بالدرجة الأولى، إلى أن تكون خارجية النشأة وليس داخليتها، فإن ذلك لا يتم دونما خطر، ذلك الذي يكمن في فقدانها لروحها ولكن يا له من "خطر جميل"، فكما كان يقول أحد الكيبكيين المشهورين، فإن الفن يعني أن نجد التوازن!، ومرة أخرى هل يجب أن تظهر رغبتنا في البحث عن هذا التوازن!، أعتقد أن أي إصلاح يجري القيام به في مجال تكوين المترجم و(الترجمان) يجب أن يأخذ بعين الاعتبار، من جهة، التطور المدهش للمجتمعات والعادات الذي نشهده منذ عشرين سنة، ومن جهة أخرى، التحولات التي تشهدها الألسن في سياق حضارة وسائطية منذورة للتواصل، إن من أجل الأفضل أو من أجل الأسوأ. لهذا أقترح عليكم إعادة تقييم مفهوم "الثقافة"¹، بالمعنى الذي يعطيه لها ألان تورين²، بما هي الطريقة التي تبني بها جماعة ما علاقة مع بيئتها.

إن المرتكزات التقليدية للثقافات، سواء في الشمال أو الجنوب، قد اهتزت بقوة. وينتج عن ذلك تحول، ما زلنا لا نستطيع أن نتنبئ، بشكل واضح حدوده. يبدو أننا نتجه نحو ثقافة تتأسس

¹ الثقافة هي ما نتكون به أما الحضارة فما نعمل به، كما أن الثقافة تسبق الحضارة وتؤدي إليها لأنها بمثابة الفكرة والحضارة بمثابة المادة. والثقافة هي كل مكونات الإنتاج المادي أو الرمزي لجماعة أو مجتمع ما بينما الحضارة يراد بها مجمل المظهرات المادية الملموسة للثقافة غير أن هذين المفهومين متداخلان. (المترجم).

² يعد ألان تورين من أهم رواد علم الاجتماع المعاصر، وهو فرنسي الأصل، من مواليد سنة 1925، عمل باحثاً في المجلس الوطني للبحوث الفرنسية حتى سنة 1958، أسس مركز دراسات علم الاجتماع في جامعة تشيلي في سنة 1960، وأصبح باحثاً في إيكول «إيتوديس» في العلوم بباريس، اشتغل على تطوير مفهوم مجتمع ما بعد صناعي. (المترجم).

..... هل الترجمة ممدّنة؟ وظائف الترجمة ودرجات التمدن

على قواعد أكثر اتساعاً وأكثر هشاشة في الآن ذاته، ثقافة تكون مختلطة وأكثر من ذلك مندمجة، دون أن نعود، من أجل هذا، لا إلى روح إنسيي النهضة ولا إلى روح المثقفين الموسوعيين. من الآن فصاعداً لم تعد الثقافة تتأسس، فقط، على الركيزة الأدبية، إلا عند بعض اللوديين. إن الإرث الإعلامي لمترجم اليوم لا يمكن أن يتشكل، فقط، من معرفة العادات والآثار الأدبية لعصر ما، كما كان من ذي قبل؛ وإنما يجب أن تضم عدة المترجم معرفة الأحداث والوقائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتقنية لعصره. إنه بهذه الطريقة نكون الثقافة التي ننعثها بالعامّة، مشكلة من المعارف كما خبرات المجتمع.

أخيراً، فإن هذا التحول المجتمعي يمر، بكل جلاء، عبر قناة اللغة. أود القول ها هنا إن اللغة - وملاحظتي تهتم اللغات التسع المنضوية تحت لواء CEE1 - يجب أن تتأقلم مع هذا التطور، وليس التطور هو الذي ينبغي أن يوجه بواسطة اللغة، دون أن ننسى، كما كان يذكرنا بذلك بورخيس²، أنه إذا كانت اللغة وسيلة للتواصل، فإن الكلمات (رمز سحري وموسيقي). ف فيما يتعلق باللغة الفرنسية، مثلاً، فإن لا أحد يشك في قدرتها على متابعة قطار التنمية والعلم والتقنية وفي السهولة التي تتسبب بها في الكلمات والمفاهيم الجديدة وأسماء الملابس من لغات أخرى والتي تبتدعها اللغة الإنجليزية يومياً. ونتائج وأعمال المصطلحية، خاصة، الكندية تتحدث عن ذلك. والحال أن الأساطير راسخة واللغة الفرنسية ما زالت تحمل الصورة التقليدية للرشاقة، ونعومة العيش وجودة الحياة المقترنة بالدرّجة "المودا"، الدرجات (المودات) الفكرية، والطعام الفاخر ومولير، في حين أنها، كذلك، وهذا منذ قرون خلت، لغة العلم والطب والاقتصاد والصناعة والآن لغة الفضاء والاتصالات عن بعد. نرى أنه يجب توجيه مجهوداتنا إلى العقلية من أجل الإصلاح وأن ننزع نحو إقحام مواد وشعب جديدة في تعليمنا، وتكون

¹ ربما يقصد بهذا المختصر Centre d'entrepreneuriat et d'essaimage أي "مركز صناعة المشاريع والمساعدة على إنشاء المقاولات"؛ وهو مركز بحثي كبير ومشهور تابع لجامعة كيبيك الكندية بشيكوني.

² قاص وشاعر أرجنتيني استثنائي في القرن العشرين، يرى أن كتب العالم تشكل في الحقيقة كتاباً واحداً! (المترجم).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

حاملة لمعارف عصرنا، مثل لغات التخصص وعلوم اللغة وغيرها، دون استسلام إلى السهولة التي يمكن أن تجرنا إليها درجات (مودات) العصر والمفاهيم الضبابية من قبيل "صناعة اللغة". والآن، كي أضع نقطة نهاية لهذا المونولوج الطويل أقول: هل الترجمة ممثلة حقاً؟ نعم، بكل وضوح، رغم محدوديتها. إنها مخصصة¹ على العديد من المستويات: الأفضل كما الأسوأ، والتي ليست إلا انعكاساً لازدواجيتها. على كلٍ يجب أن نحسن الاختيار، فبحسب ما إذا كانت إيديولوجية المترجم ذات طبيعة نظرية، وإذن، منفتحة على الإعلام الجديد، أو ذات طبيعة مذهبية، وإذن منغلقة في وجه الإعلام غير الامتثالي، عندها تكون الترجمة أكثر أو أقل إخصاباً. أدعوكم، إذن، للنضال ضد النزوع والذي اكتشفه ج. ف. روفيل ومفاده أن يكون الناس في حاجة إلى الاعتقاد منه إلى الإعلام، وهو ما قد يجعل المعرفة بدون قيمة، وأن يختاروا المعارضة باسم الإيمان/العقيدة عوض أن يجادلوا، بالأحرى، باسم أفكارهم؛ ولنستمع، كذلك، إلى سيمون دي بوفوار في مقابلتها الأخيرة مع سارتر² عندما تبوح له: "لقد قلت لي مرة - ووجدت ذلك صحيحاً تماماً- إن: "في العمق الذكاء ضرورة"، "يتعلق الأمر إلى حد بعيد، بسرعة الذهن أو كما نقول، بوضع العديد من الأشياء في إطار علائقي، وإنما هي ضرورة، أي يجب ألا نتوقف، ويجب أن نذهب بعيداً، دائماً بعيداً جداً".

إنها الأمنية التي أصوغها للترجمة ولكتائبها والتي أنتمي إليها أنا وتنتمون إليها أنتم.

¹ بالفعل، ونلفت انتباه من تساوره الشكوك إلى أفضل الترجمة على الإمبراطورية العربية الإسلامية العباسية في القرنين الثالث والرابع الهجريين على سبيل الاستئناس لا الحصر. (المترجم).

² جون بول سارتر وسيمون دو بوفوار زوجة فرنسية طرفاها فيلسوفان وكاتبتان من المقام الرفيع في القرن العشرين نحيا منحنى وجودياً في طروحاتهما الفكرية. (المترجم).

الجمالية في الترجمة

ترجمة د. ملكة أبيض

"الجمال، في الغالب، سطوع الحق"

"ميشيل سير"، إضاءات

1. لغة الطبيعة ولغة الفن

الترجمة - كما هو معروف - نشاط كتابي، على أنها نشاط جمالي أيضاً. فالنص المترجم يُبرز إنجاز المترجم، الذي يتمثل - على الأقل - في الشكل المعطى للنص الهدف. وهو الذي يحمل المعنى المتضمن في النص المصدر، ويبلور العقد الضمني الذي يربط بين المترجم والنص المصدر، ومؤلفه، سواء أكان هذا المؤلف معروفاً أم مجهولاً؛ شخصاً مفرداً أم مجموعة من الأشخاص.

إن المترجم، وهو سيد التعبير الذي يملك بشأنه - مبدئياً - الكلمة الأخيرة، لا يسيطر في الواقع على المعنى العام، والمقاصد التفصيلية في النص المصدر. فهذه يمكن أن تقوته، كما هو معروف أيضاً. وسواء أجرى استيعاب المعنى جيداً أم لا، فإن هذا المعنى يصدر عن المترجم، الذي يجعل من نفسه مفسراً له، عن وعي، أو غير وعي؛ وهو سيد الكتابة والكلمات. وما لم يعمل المترجم قاصداً على تجميل النص المصدر (إذا لم يكن هذا النص أدبياً - على سبيل المثال)، فإنه لن يسعى إلى جعله قبيحاً. وإذا حصل ذلك، فإنه سيكون نتيجة رعونة أو جهل منه، أكثر منه نتيجة قصد مبيت للإساءة. وبين الحاليين، يمتد تنوع لا متناه من أشكال الأداء، لا يُستبعد فيه وجود الموهبة، ونتيجتها الطبيعية: الفن.

إننا نفترض أن المترجم المحترف، الذي يكلف نقل رسالة من نص إلى آخر، ويتحكم

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مؤقتاً في الثروة العامة المتمثلة في التراث اللغوي... هذا المترجم سيبدل جهده للدفاع عن لغة الوصول، بل ولتقديم نموذج جيد لها، أكثر مما يفعل العكس.

على أن الدفاع عن لغة ما، وتقديم مثال لها، يجري بناؤهما في مجتمع ما على حجج، أو مسلمات جمالية، تتناسب مع الذوق السائد في هذا المجتمع، ومع معايير الجمال وأصوله فيه... تلك المعايير والأصول التي تنطبق أيضاً على المظاهر اللغوية، كما تتجلى يومياً في الكتابات الأدبية وغيرها...

وهي، بالنسبة للمترجم... الكاتب من نوع ما... على طريقته... (الذي يمارس نشاطه على جميع أصعدة الكتابة: من الصفر إلى اللانهاية)... تمثل مسألة ضمير مهني، مهما كان النص الذي يعمل في ترجمته، والمجال الذي ينتمي إليه. ولا يقتصر تجلّي هذا النشاط على النصوص الأدبية، أو على تلك التي تتناول الفن بكل أشكاله خلافاً للأفكار المتداولة بهذا الشأن، والمتأصلة بقوة في لا شعور المترجمين والعديد من اللسانيين. فهناك مظاهر، إن لم نقل مقاصد فنية حاضرة في معظم النصوص، مهما كان مجالها، حتى أكثرها عملية "براغماتية"، وتقنية، وعلمية.

ولنذكر، أن كل نص - بالتعريف - يهدف، من خلال ترتيبه، وتقديمه، وبنائه الشاملة، وتفصيله الصغرى، إلى إغواء القارئ ولفت انتباهه، والحظوة بقبوله. صحيح، أن تحقيق ذلك يجري من خلال رسالة النص، ولكنه يتم بالقدر نفسه، وأحياناً بقدر أكبر، بفضل طريقة التعبير عن هذه الرسالة.

لكل مجال، بالنسبة إلى النظام العام للتفسير، نمطاً خاصاً به، أو خلفية لتفسير نصوصه. وهذا ينطبق أيضاً على الجمال (Esthetique). كما أن كل قطاع من قطاعات النشاط الإنساني، سواء أكان نشاطاً يدوياً أو عقلياً يجري تصوّره، وإدراكه، والتعبير عنه، والحكم عليه، بحسب معايير، أو مبادئ، على صلة بقانون ما من القوانين الشخصية، أو الاجتماعية العامة، أو المهنية؛ أي بأسلوب معين لتصوره وتطبيقه. وهذا يصدق على الكتابة والنص، اللذين لا يمكن

.....الجمالية في الترجمة

أن يُفْلَتَا من الاعتبارات الجمالية... وإلا فلماذا نقول بصدد نص ما، (أو رسالة، أو وثيقة)... إنه نص جيد (من حيث الخط، أو الكتابة، أو التنظيم، أو الإنشاء، أو العرض...)? وهذا يفترض أنه قد يكون سيئاً من بعض هذه الجوانب أو كلها. فالترجمة تخضع للقوانين التي تحكم الإنتاج الإنساني، ولا تستثنى من هذه الظاهرة.

إن الكتابة، أي أداء هذا العمل، شكل من الأفعال الجمالية، بحد ذاتها، وهي تؤكد شخصي - عن وعي أو غير وعي - من طرف الفاعل، الذي يعبر بها عن شخصه وعما يتميز به: أولاً عن طريق خطه، الذي يُعدُّ إشارة مميزة، وتوقيعه... ثم بواسطة لغته، أي اختياره للألفاظ، وتداعي المفردات، والإنشاء (أي طول الجمل، وصوغها، وتسلسلها...). هكذا يعبر الأسلوب عن نفسه، أي عن الملامح المميزة لمؤلف معين... أو لمدرسة معينة.

2. "اليد - الأداة" و"الكتابة"، أو الجمالية بصفتها ميزة للإنسان

إنها اليد - الأداة الفريدة التي زُوِّدَ بها الكائن البشري من الطبيعة، والتي تمثِّل شريط الوصل بين القصد (الفكرة)، والتنفيذ (التعبير المحسوس عن هذا القصد) الموصول بالعين؛ وهي رائعة أخرى من روائع الطبيعة. وسواء أمسكت اليد بقلم، أو ريشة، أو إزميل، أو سهم (سهم "ويليام نيل" على سبيل المثال)، أو نَقَرَتُ (البيانو، أو الحاسوب)، فإنها تعبر عن الفكرة بصورة محسوسة، أو تمدِّدها، أو تثبتّها. والإنسان، منذ بداياته الموهلة في القدم، يجهد للسيطرة على حركات يده، وتجويدها، ليحصل منها على أفضل نتيجة ممكنة.

إنه يفعل ذلك عادة نتيجة اهتمام طبيعي بالاقتصاد في وسائله، أو بفعل منعكس آلي، وليتجنب التعب السريع، والإصابة بجروح. هذا مؤكد، ولكن يتفق له أحياناً أن يقوم بذلك لبلوغ هدف؛ كأن يحاول مضاهاة النموذج الذي استوحاه؛ وخلال ذلك، لم لا يتجاوزه؟ سواء أكان الطبيعة (من حيث الأشكال، والألوان، والحركات...)، أو عنصرها الآخر: الكائن الإنساني.

إن البحث عن الحركة الصحيحة، الواثقة تقنياً، مهما كان هدفها (الصيد، أو القطف، أو تربية الحيوان، أو الحرب وفنون القتال، أو الكتابة والفنون...) تلك التي تزوج بانسجام بين

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

القدرة الطبيعية (العنصر الفطري) وحسن الأداء (العنصر المكتسب)، هذا البحث يمثل أحد الثوابت لدى الإنسان. وهذه الحركة المثالية، هذه التقنية، هذه المهارة... نجدها في جميع أشكال النشاط، بدرجات متفاوتة: عند الحرفي، والممثل، والتقني، والجراح، وبالتأكيد لدى الفنان. وهذه الحركة ليست الفضلى فحسب، من الزاوية التقنية، بل إنها تحمل إلى جانب ذلك أثراً جمالية. ولا تتمثل المشكلة في أنها مقصودة أم لا. إنها لغة الطبيعة، ولغة الثقافة، في الوقت نفسه، وإذا دُفع بها إلى حدودها القصوى، يمكن أن تصبح لغة الفن أيضاً.

إن تاريخ البشرية يشكل النموذج الأزلي- الأبدي. وهو يرينا أن الكائن البشري، بسبب انتصابه العمودي الذي حرّر يده، لم يتوقف عن السعي إلى الكمال على مدى التطور؛ كما يرينا تقدم الحركة التي أحدثها الزوجان الوظيفيان، وهما (اليَد - الأداة) و(الكتابة - اللغة)، بدءاً من الخريشات الخطية لما قبل التاريخ، إلى الرسوم الدالة على الفكرة، فإلى الكتابة الحديثة، والاختيارات المتعددة للحروف الطباعية في معالجة النصوص. إنه نشاط يؤدي فيه البصر الدور الرئيس لـ (الكاميرا)، ويقوم الدماغ بدور المحرك والموصل في تشكيل الفكر المتنامي، والتعبير عنه بواسطة الكتابة. وبالرغم من عدم كفاية الدماغ بمفرده لتفسير "الإنسان" - كما يرى Leroi - Gourhan، فإنه - "عن طريق تلاقي هذا الدماغ الفائق التطور، عضو القيادة، وخادمتة اليد،" استطاع الإنسان، على الأقل، أن ينمي قواه المدهشة وهي: الضمير، والذاكرة، واللغة، في جميع الاتجاهات".

إن كل مرحلة خطاها الإنسان في طريق تطوره، من مرحلة الطبيعة (مرحلة الفكر الرمزي، أي منذ 35,000 سنة ق.م على الأقل) رافقها تقدم في الترميز الخطي. وهذا التطور ليس طبيعياً، آلياً، تقنياً، فحسب، بل إنه ثقافي أيضاً، كما تبينه الرسوم الخطية الصينية، وهي من أقدم أنظمة الكتابة، والخطوط الرقيقة المتنوعة لهيروغليفيات المصريين القدماء؛ أو حتى في حقبة زمنية أقرب إلينا، زخرفات المخطوطات في القرون الوسطى. أليست هذه الظواهر أدلة على تطور الحضارة، مع أنها تمتّ تحت سماوات مختلفة؛ وعلى تجليات اهتمام جمالي يتمثل في تزيين الموضوع، والإعلاء من شأنه؛ وبتعبير آخر، جعله جميلاً ساراً؟ إن النيات

الجمالية في الترجمة

الجمالية تلفت النظر هنا، ولا تقبل الشك.

يقول Claude Hagege إن الرغبة في التعبير عن النفس بحرية تنتج أشكالاً، واستعمال المكان يكشف، لدى الشخص، عن اختيار مقصود وأساسي بين الاقتصاد، كما كان J. CoCteau يقول بصدد الأسلوب: "إنه فن قول أكثر ما يمكن بأقل قدر من الكلمات... أو الرموز... أو الأصوات..."، وبين الإسراف. والمكان بنظر Levi - Strauss يمتلك قيمه الخاصة، كما أن للأصوات، والعطور ألواناً، وللمشاعر وزناً.

من هنا يمكننا أن نقول مع Breton إن التعبير عن فكرة يتوقف على "شكل" الكلمات بقدر ما يتوقف على معناها. وليس هناك إلا خطوة يجتازها Hagege ليؤكد "أن الأشكال تحمل قدراً كافياً من المعنى، مما يجعلها تسهم في نجاح الخطاب".

3. الترجمة والجمالية - من المعنى إلى الأسلوب

من يجادل في أن المترجم لا يطمح إلى إيجاد الحقيقة؟ ويعني ذلك - فيما يخصنا - المعنى الحقيقي، المراد العميق للنص الذي ينقله من لغة إلى لغة أخرى. وهل هناك ضرورة للقول، إن ذلك هو الهدف الأول أو الوظيفة الأولى للترجمة: أن يعاد إيجاد حقيقة النص؟

وفي سبيل بلوغ هذا الهدف، لا يتوقف المترجم عن إعادة ترجمة النص نفسه، دائماً وأبداً. إنه الصانع الذي لا يرضى أبداً، لذلك يعيد وضع نصه على منضدة العمل باستمرار. لم يعد بوسعنا تعداد ترجمات الكتاب المقدس (الألمانية، والإنجليزية، والفرنسية، الخ...) أو الإلياذة لهوميروس، أو مؤلفات أي كاتب شهير. والبرهان على ذلك، إن كان من ضرورة له، أن المترجم يحمل في أعماق نفسه الأمل (بل والإيمان أيضاً) بأن ما يعمل به يفوق عمل سابقه؛ ولا يهم ما إذا كان الشعور الذي يحركه هو شعور "سيزيف"، أو أنه على صلة بأعمال "هرقل"! إنه ينبع من الخصائص الإنسانية التي تدفع الفرد إلى تجاوز نفسه باستمرار في جميع ما يبادر إليه، وإلا فإن التراجع سيكون له بالمرصاد.

إن الترجمة لا تقلت من هذه الظاهرة؛ فهي تحشر المترجم بين شجرة "البراغماتية" المهنية

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

التي تحثه على الاقتصاد في أعماله بأكبر قدر ممكن، وفعل "الحد الأدنى"، من جهة، وقشرة "المخيلة المبدعة" التي تدفعه لتجاوز نفسه، من جهة أخرى. لذلك يتردد بين الجهتين، متسائلاً: إلى أي جهة يميل؟ والرهان كبير جداً. فالرضوخ لإغراء "الجهد الأقل" يقود إلى الفقر في وسائل التعبير، كما يلاحظ اختصاصيو الاتصال، وفي طليعتهم علماء اللسانيات الذين لا يرضون عن نتائجه التي لا توفر المترجمين. على أن الطرف الثاني، الذي يريد بذل أقصى الجهود، يسير عكس التيار الحالي الذي يحظى بدعم وسائل الإعلام الهائلة. فهذه الوسائل تؤسس للسلبية بتقديم أساليب لغوية جاهزة، على حساب التفاعل وهو مصدر الغنى الشخصي الذي تثيره القراءة. ويمكن أن يتبع ذلك تراجع في الشعور الجمالي، الذي تلغيه الاعتبارات البراغماتية.

هل علينا أن نعزو هذا الوضع، كما يلاحظ Levi-Strauss، فيما يتعلق بالفن، إلى الواقع المتمثل في أننا نجتاز مرحلة زمنية تتزايد فيها "المعرفة والمهارة التقنيتان"، مما ينتج عنه، تراجع السمة الجمالية؟

هناك شيء مؤكد - على كل حال - وهو أن الاهتمام الدائم لدى التقنيين والمهندسين بالأتمتة، وتحسين مردود نشاط الترجمة يشجع "روح التوصيف والبرمجة" التي يحبذها العمل بالجملة وفق الأسلوب الذي أنتجته آراء Taylor وسمي بالتيلورية. هذا الأسلوب ينتشر الآن في الترجمة، على حساب التنوع والحرية.

إن الآلة لا تستطيع أن تقدم إلا الحلول المبرمجة، كما أن غنى مفرداتها وتنوعها ينحصران في مجالات محددة، كالأخبار العامة، والرصد الجوي، على سبيل المثال.

وبالمناسبة نقول: ليس الإنسان من يؤثر في الآلة، إنما الآلة هي التي تترك أثرها في الإنسان. مما جعل الاهتمامات الجمالية في الترجمة تشهد تراجعاً كبيراً، بسبب "براغماتية" عالم الأعمال الذي يترك أثره في الخيارات الاقتصادية للحكومات. على أن النماذج والآلات لا تعوّض عما يمكن أن نسميه المحاكمة الإنسانية، كما ينبه إلى ذلك Alfred Sauvy. ونحن مع

الجمالية في الترجمة

هذا القول، إلا أن الجري الجامح للنمو التقني، واللجوء الممنهج، شبه الكلي، إلى النماذج المجردة، والآلات، ما يزالان يسيطران على الساحة. على أن الترجمة ما تزال تقدم أمثلة على الاهتمام بالجمالية، فكيف يتجلى ذلك؟

تبين الترجمات المتتالية للآثار الكبرى في الثقافات المختلفة، أن المترجمين لم يتوقفوا عند ترجمات من سبقهم لهذه الآثار إلى لغاتهم، فلماذا؟

لقد حاولوا بكل بساطة أن يقوموا بعمل أفضل منهم للتعبير عن حقيقة تلك الآثار، وجمالياتها أيضاً.

وإلا فإن الاكتفاء بترجمة وحيدة، دون منافس، تُفرض على الأجيال اللاحقة، قد يكون غير مقبول. فنحن نعرف أن لكل جيل فهمه الخاص، ومعاييره الخاصة، واهتماماته الخاصة. كما يبين تاريخ الترجمة أن كل ترجمة ترتبط بروح العصر الذي تترجم فيه، وتتناسب مع عقليته وتقاليده، ومع خصائص كل شعب في مرحلة معينة من تاريخه. وهذه الظاهرة تتجلى في كل لغة، كما قد تحدث ترجمات عديدة لأثر واحد، تتناسب مع ميول مختلفة وأمزجة مختلفة.

هناك أمثلة الكتاب المقدس، والإلياذة كما ذكرنا. ولكن يمكن أن يقال الشيء نفسه عن ترجمات دوستويفسكي، وكافكا، وفرويد، والكثير من كبار المؤلفين، أو النصوص الشهيرة. وهناك حكايات الجن والترجمات المختلفة لنسخها العديدة الموجهة لجماهير مختلفة من القراء. وماذا عن "أليس في أرض العجائب" وهو كتاب معاصر نسبياً وله مع ذلك أكثر من ثلاثين ترجمة فرنسية، فحسب؟

هذه الوقائع معروفة، لا شك فيها. وأحد مسبباتها بالطبع البحث عن الجمالية، ولكنه ليس السبب الوحيد.

فالنصوص الصعبة أو الغامضة تمثل تحدياً للمترجم، وهو يعمل دون كلل على مواجهته، ويذهب البعض إلى إعادة الترجمة أكثر من مرة للوصول إلى نتيجة قد تكون أقرب إلى الحقيقة، أو أقرب إلى الفهم.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ذلك أن المعنى طيار وعنيد... وهو منحوت في النص، لا يسمح بالوصول إليه بسهولة. وكل قراءة جديدة، مهما كان نوعها، تمثل مصدراً للدهشة، حين ينقضي زمن ما بين قراءة، وقراءة تالية؛ دون الحديث عن الكتب التي نقرأها في مرحلة الطفولة، ونعود إليها في سن الرشد. ولا يتوقف القارئ عن اكتشاف تلاوين، ومعان لم يلاحظها من قبل.

ويفهم ذلك بسهولة حين يتعلق الأمر بكتاب يشرح فيه المؤلف فكرة معقدة (فلسفية، على سبيل المثال)، أو ينشئ نظاماً، ويخلق جواً، وأشخاصاً يضعهم في أوضاع معينة... ويعرض أحوالهم النفسية، وهو يمارس تأثيرات أسلوبية، كما يحدث في الأدب (رواية، أو قصة، أو مقالة)...

إن الأدب نوع متطلب بوجه خاص، وهو يتطلب من المترجم، إلى جانب المهارة المتميزة، مؤهلات في الكتابة، ومواهب أكيدة في التعاطف والتفاعل، لمتابعة أفكار الكاتب، وصوره، ومقاصده، ورؤيته للأشياء. وبالمناسبة، تعود الصعوبة الكامنة في النص الأدبي للشكل الذي يعبر عن الفكرة بقدر أكبر مما تعود للمعنى الذي يحمله، والذي - بحسب أنصار "الفن للفن" - لا يحمل إلا القليل من الأهمية بالمقارنة بأسلوب المؤلف. والنصوص المعروفة بالأدبية، والجمالية برسالتها، تتكون من أنظمة مفتوحة (للتفسير)، خلافاً للنصوص المسماة "براغماتية" أو عملية، التي تتسم بكونها "مغلقة"، لأنها محسوسة بصورة عامة، تميل نحو الوحدانية في التفسير.

كل ذلك يؤكد هشاشة عملية الترجمة ونسبيتها، بالمقارنة بصلابة النص المصدر وثباته. كما يؤكد مرونة الترجمة، وقدرتها على التكيف مع التطور البشري، ولا سيما على صعيد العلاقات المتبادلة بين الشعوب أخذاً وعطاءً. وهي تارة تسبق هذا التطور، فتفتح المجال للجماعات للاستفادة منها بحسب حاجاتها، وتارة تلحق بالتطور فتدعمه وتعمقه. وفي جميع الأحوال، تسدُّ الترجمة حاجة القارئ بها لتفكيك إمكاناتهم من خلال البحث عن الحق، والجمال، والخير الذي يفيض عنهما.

الجمالية في الترجمة

المرجع

- G mar, Jean – Claude (1995) Traduire ou L'Art d'interpr ter, presses de l'universit  du Qu bec, Canada.

التحريض العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

معايير الترجمة

ثيو هرمانس*

ترجمة: حميد العواضي**

إذا ما افترضنا أن الترجمة تؤدي غرضاً تواصلياً، فإن درجة معينة من التنسيق بين المشاركين في هذا المسار – المرسل والمتلقي، الأنا والآخر – ستصبح أمراً ضرورياً. لقد انتشر مفهوم المعايير في علم الترجمة في محاولة للتوصل إلى فهم أفضل للعوامل التي تحكم السلوك التواصلي للمتربين والتفاعل بين المترجمين وجمهورهم. وقد توفر تفكير نظري جيد، واسع النطاق بشأن دور المعايير في سياق الترجمة وعلم الترجمة (Toury, 1980, 1995; Frank & Schultze, 1988; Hermans, 1991, 1996, 1999; Nord, 1991; Chesterman, 1993, 1997; Schaffner, 1997). وقد اكتسب الموضوع اهتماماً متجدداً بفضل ما أولاه له علم اجتماع الترجمة أخيراً من أهمية (Wolf & Fukari, 2007; Pym, Shlesinger, & Simeoni, 2008). وفيما يلي سوف أشرح مفهوم المعايير في مصطلحات عامة، قبل أن أوضح كيف استعمل هذا المفهوم في علم الترجمة. وسوف أدرس بعض تطبيقات مفهوم المعايير في علم الترجمة وما ترتب عليها.

* ثيو هرمانس Theo Hermans أستاذ اللغة الهولندية واللسانيات المقارنة وله اهتمام كبير بعلم الترجمة. يدرس في جامعة لندن. وسبق أن درس اللغة الإنجليزية في جامعة الجزائر. من مؤلفاته في الترجمة: الترجمة في المنظومات Translation in Systems, 1999، وحرر: الترجمات عبر الثقافات Transcultural Translations, 2002، وترجمة الآخرين Others, 2006. وقد ترجم له إلى العربية بيومي قنديل "جوهر الترجمة عبر الحدود الثقافية" ونشره المجلس الأعلى للثقافة في مصر عام 2005. أما هذه المادة المترجمة هنا فقد نشرت بعنوان Norms of Translation ضمن موسوعة اللسانيات التطبيقية The Encyclopedia of Applied Linguistics تحرير كارول أ. شابل، 2013، منشورات بلاك ويل المحدودة.

** أستاذ اللسانيات والترجمة، جامعة صنعاء، اليمن.

مفهوم المعايير

لقد ثبتت فائدة مفهوم المعايير في طائفة من العلوم الاجتماعية، من القانون وعلم الأخلاق إلى علم النفس الاجتماعي والعلاقات الدولية (Hjort, 1992)، ولكن ليس ثمة إجماع فيما يخص المصطلح أو التمايزات الدقيقة بين المعايير norms والمواضعات conventions والقواعد rules والقيود constraints والمصطلحات الأخرى الشبيهة.

فمصطلح "معيّار" يمكن أن يشير في آن معاً إلى كلّ من أطراد السلوك، وإلى الآلية المُعتمد عليها هذا الاطراد. وللآلية اجتماعياً وظيفية تنظيمية، وهي تتضمن بُعداً نفسياً كما تتضمن بُعداً اجتماعياً. كما أنّها وسيط بين ما هو فرديّ وجماعيّ، بين مقاصد الأفراد واختيارهم وتوقعاتهم والمعتقدات التي يؤمنون بها جماعياً، وما لديهم من قيم تفضيلات. وتتكلّف المعايير بضبط التفاعل بين الناس لاسيّما درجة التنسيق التي يقتضيها الوجود مع الآخرين جماعياً بشكل دائم ومتناغم بدرجة أو بأخرى. وتُعظّم المعايير استقرار العلاقات بين الأشخاص بتقليل الشكّ في يخصّ ما سوف يبدر منهم من تصرّف. وتساعد المعايير على جعل السلوك قابلاً للتوقع عن طريق التعميم المستمدّ من التجارب الماضية ومن شأنها أيضاً السماح بالتنبؤات فيما يخصّ المقامات المشابهة في المستقبل.

فالتّرجمة في المحيط الاجتماعيّ تقتضي تبادلاً بين أطراف متعدّدة ممن لهم مصلحة في إجراء هذه التبادلات. فالمرّجم بوصفه واحداً من أطراف اتّخاذ القرار في هذه التبادل هو وكيل، وأفعاله ليست حُرّية كاملة، وليست محدّدة سلفاً، لاسيّما أنّ المسار برمته يتمّ بعيداً عن سياق البِنَيّات الاجتماعية الموجودة. وكلّما أمكن أن تتسق الأطراف أفعالها فإنّ الفرص تتعاظم لجعل الحكم على تلك الأفعال ناجحاً.

ولفهم دور المعايير والمواضعات فهماً جيّداً في حلّ مشكلة التنسيق بين الأفراد، لعلّه ينبغي البدء بتعريف المُواضعة كما يعرضها الفيلسوف الأمريكيّ دافيد لويس 1969. فقد وصف لويس المُواضعات بوصفها ضرورياً من اطّراد في السلوك تتبثّق كحلّ مشروط لما يجري من مشاكل

معايير الترجمة

التنسيق بين الأفراد. والحلول تصبح مشروطة لأنها ليست ضرورية وليست مستحيلة أي قد تكون متباينة. فإذا ثبت أن هذه الحلول فعّالة، فإنّها تصبح وسيلة العمل الفضلى للأفراد في مقام محدّد بعينه. وتنمو المواضع من وصفها سابقة لتصبح عادةً اجتماعية. ولا تكون صراحة موضع إجماع ولكن تقتضي درجة من المعرفة المشتركة والقبول. وتستوجب توقّعات متبادلة وتوقّعات التوقّعات. أي توقّعات أخرى، في مقام معيّن، فأنا سوف أعتدّ بعض سبل العمل وتوقّعي أن الآخرين يتوقّعون مني اعتماد سبل العمل هذا.

فالمواضع ليست معايير، إلاّ أنه لم يتم العمل بهذا التمايز، ففي بعض الأحيان يُنظر إلى المواضع كمعايير ضمنية أو "شبه معايير" (Lewis, 1969, p.97; Hjort, 1990, p.43). ويمكن مع ذلك أن تصبح معايير عن طريق وقوعها ضحيةً لنجاحها. فإذا أدّت مواضعاً ما غرضها أداءً مرضياً ولمدة كافية، فإنّ التوقّع المشترك والمتبادل عن سبل العمل التي سيتم اعتمادها في مقام معيّن قد تتجاوز إلى ما هو أبعد من مجرد تفضيل بل تكتسب سمة ملزمة. وعند هذه النقطة، فإنّ كَيْفِيَّة التوقّع تتغير من توقّع إدراكيّ cognitive إلى توقّع معياريّ normative (Galtung, 1959). فالتوقّعات الإدراكية ترمي إلى التكيّف مع تغيّر الأحداث. فإذا جرى شيء ما غير متوقّع، فإنّ التوقّع يكتفّ المعلومات الجديدة ويتغيّر بناءً عليها. أما التوقّعات المعيارية فإنّها بالمقابل لا تهدف إلى التعلّم أو التكيّف؛ ذلك أنّه عندما تحدث أشياء لا تتوافق مع التوقّع، فإنّ هذا التوقّع يبقى دون مساس ويستمر السلوك "الصحيح" الذي يمكن توقّعه فيما سيحدث تالياً. ويتحدّث نيكلاس لوهمان عن المعايير بوصفها "توقّعات سلوكية مستقرّة تخالف مقتضى الحال" (1995: ص321؛ 2008، ص39). ولما كانت التوقّعات الإدراكية إجابة عما هو "كائن"، فإنّ التوقّعات المعيارية تنصّ على "ما ينبغي" أن تكون عليه الحال.

ويمكن أن نفهم المعايير بأنّها أقوى صيغة ملزمة من المواضع. وعلى غرار المواضع، فإنّ المعايير تستمد مشروعيّتها من المعرفة المشتركة والتوقّعات المتبادلة، لذلك فإنّها في المستوى الفرديّ مُسْتَبْطَنَة بشكل كبير. وخلافاً للمواضع، فإنّ المعايير لها سمة توجيهية، أي إنّها تُخبر الأفراد ليس فقط كيف أن الآخرين يتوقّعون منهم أن يسلكوا، ولكن

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

كيف يُفضّل الآخرون أن يسلك هؤلاء الأفراد. فالمعايير تتطلب وجود سلسلة من الأفعال يقع تفضيلها، إما كثيراً وإما قليلاً، بسبب أنها مقبولة تماماً أو أنها صحيحة أو مناسبة.

فالقوة التوجيهية للمعيار هي مسألة ضغط اجتماعي، تدعمه دوافع وحوافز، أو تتهدده عقوبات. ما دامت المعايير تعمل بوصفها قيوداً على الأفراد فيما يتخذونه من قرارات، فإنها تمنعهم عن بعض الخيارات حتى تلك المتاحة من حيث المبدأ. وفي الوقت ذاته فإن المعايير توحى، بشكل واضح أو خفي، باختيار محدّد من بين جملة الإمكانيات المتاحة. وهي تعمل بوصفها أداة لحل ما يُشكّل عن طريق ما تقدّمه من قوالب معدّة سلفاً للعمل. وتشتمل على كامل نطاق التفضيلات والمسموحات، وتتمدّد بمقدار ما تتيحه الإرشادات من جهة أو تحول دونه المحظورات من جهة أخرى. وفي كلّ هذه المظاهر، فإنها تساعد على زيادة إمكانية التوقع من خلال تخفيض مخاطر الخطأ في التواصل.

ويمكن أن تكون المعايير قويّة أو ضعيفة، دائمة أو أقلّ ديمومة، ضيقة النطاق أو واسعة. ويمكن أن تُنتهك وسوف تُنتهك مستقبلاً، لكنها قادرة على أن تتعامل مع سلوك متباين نسبياً على نطاق واسع. بهذا المعنى فإن المعايير لا تمنع أيّة عمليّة واعية أو سلوك اعتباطي. ومع ذلك فإنه وبسبب أن المعايير تعمل بوصفها جزءاً من السلوك الاجتماعي للفرد، فإنها تصبح مُستَبَنّة في طباعه وسماته وتؤثّر فيه بطرق متنوّعة. لأنها تصبح جزءاً من توقّعات النسيج الاجتماعي، وتتيح المعايير استقراراً نسبياً وبالتالي أمناً. ولما كانت تتغيّر في الاستجابة بتغيير القيم والانتهاكات الواضحة والمستمرّة، فإنها تؤثر بشكل أبطأ في سلوك الفرد. وبهذا المعنى فإن العلاقة بين السلوك والمعايير تشبه العلاقة بين الكلام واللغة أو الحدث والبنية [في اللسانيات].

وكلما زادت القوة التوجيهية للمعايير من المسموح إلى الإجمالي، فإنها تبتعد عن المؤاضعات نحو القواعد والتي يمكن أن تُفهم مؤسسياً بوصفها التزامات واضحة دائماً أو محظورات أصدرتها سلطة غير محدّدة لها قوة تفرّض عقوبات خاصّة إزاء الانتهاكات.

المعايير في علم الترجمة

فيما يخص الترجمة، فإن المعايير ترتبط بها فقط بسبب أن المترجمين أو المشاركين الآخرين في العملية يتخذون قرارات. وفي مقال ذي تأثير منذ عام 1967، يستحضر المنظر التشيكي جيوي لفن نظرية اللعبة لكي يصف الترجمة كمسار لاتخاذ القرار: إذ بين الطرفين موثوقية تامة (قرارات تقتضيها مثلاً المقولات النحوية)، وشك تام (اختيارات فريدة وفردية محضة)، وكل حركة تمثل اختياراً من ضمن مجموعة من البدائل، ومن ثم تُكيّف الحركة التالية. وفي موضع آخر يرى لفن، ومن بعده بقليل أنطون بوبوفيج، أن اتخاذ المترجم للقرار يخضع لمعيارين: أحدهما معيار مُعيد للإنتاج ويهتم بكيفية استبدال الأصل، والآخر معيار مُنتج ويهتم بحسن سبك النص الجديد. ومنذ مقترحهما هذا حتى الآن وعبر أزمنة تاريخية مختلفة وقع التركيز على أحد المعيارين أو على الآخر، وقُيِّمت الترجمات بناء على ذلك. وكان المعياران في كل حالة عاملين يعيقان حرية المترجم في الاختيار (Levn,1969; Popovig, 1976) وكل من لفن وبوبوفيج يمتحان من عالم البنيوية التشيكي جان موكاووفسكن والذي وصف في السنوات 1930 و 1940 العمل الفني للفرد بـ "شبكة معقدة من المعايير" و"صراع بين معايير غير متجانسة" (1978، ص 52) مضيفاً أن الجمهور المتلقي لربما تصوّر معايير أخرى للعمل الفني غير تلك التي تصوّرّها مبدعها.

وقد أخذ جُدعون ثوري (1995) الكثير عن هذه المقاربة نفسها، وجعل من مفهوم المعايير دعامة مركزية في برنامجه الوصفي لدراسة الترجمة. ويرى ثوري المعايير بمثابة تعليمات أداء للمترجمين، ويميّز بين أنواع مختلفة من المعايير تعمل في مراحل مختلفة ضمن مسار الترجمة. تتحكم المعايير ابتداءً باختيار ما الذي يُترجم في المقام الأول؛ ويوجه المعيار الأولي المترجم إما باتجاه الحفاظ قدر المستطاع على الأصل أو باتجاه إنتاج نص جديد حسن السبك. وتقود جملة من المعايير العملية اتخاذ القرار أثناء أداء الترجمة فعلياً، بواسطة مصفوفة معايير تُنظّم بنية النص الكبرى ومعايير نصية ولغوية تؤثر في بنيات النص الصغرى. وأهمية

المعايير من وجهة النظر هذه هي أنّ جملة الاختبارات التي يعتمد عليها المترجم تُحدّد شكل المُنتَج النهائي، ليس فقط طبيعة العلاقة بين الترجمة ونصّها الأصليّ الأوليّ ولكن أيضاً ربما طريقة تلقّي الترجمة من الجمهور الذي تستهدفه.

وفي حين أنّ توري يقارب المعايير في المقام الأول من وجهة نظر اتّخاذ القرار لدى المترجم، فإنّ أندرو تشسترمان يأخذ بعين الاعتبار التّفاعل بين المترجمين والجمهور المتلقّي وشركاء المترجمين، ويمتدّ من المناقشات النظريّة في اختصاصات أخرى. وفيما عدا المعايير الاجتماعيّة والأخلاقيّة التي تحكم التّواصل بوجه عامّ، فإنّ تشسترمان (1997، ص 86-175) يميّز معايير الترجمة المختصّة "التّقنيّة"، التي يقسمها إلى مُنتَج أو معايير متوقّعة من ناحية، ومسار أو معايير إنتاج من ناحية ثانية. إنّ معايير المُنتَج أو المعايير المتوقّعة تعكس توقّع ما قد تبدو عليه الترجمة. وتُحدّد هذه المعايير بقدر كبير ما الذي تقبل به جماعة معيّنة ما يمكن وصفه بترجمة مناسبة أو شرعيّة، وهكذا يظهر نطاق مفهوم الترجمة عند هذه الجماعة. وتتوافق هذه المعايير مع ما سبق أن سمّته كرسنيان نورد (1991) المُواضعات البنائيّة للترجمة، حيث تميّز بين الترجمة والأنواع الأخرى من إعادة الكتابة مثل المحاكاة الساخرة لأي عمل فنيّ أو تكييفه.

إنّ مسار تشسترمان أو معايير الإنتاج تنقسم إلى ثلاثة أنواع: معيار المحاسبة، وهو معيار أخلاقيّ في طبيعته، وينظّم العلاقات الشّخصيّة بين المترجمين والمعنيين الآخرين مثل الكُتّاب، والوسطاء، والزبائن والقراء وشركاء المترجمين؛ ومعيار التّواصل، وهو ينصّ على أنّ المترجمين ينبغي أن يرفعوا من شأن التّواصل بناءً على الحُكم الإغريقيّة [في الإفادة، والوضوح والصّدق والبيّنة]؛ وفي الأخير والأكثر أهمية معيار العلاقة وهو الذي يضمن "قيام واستمرار علاقة مناسبة ذات تشابه مفيد بين النصّ الأصل والنصّ الهدف" (1997، ص 69). أمّا ما يُشكّل التشابه المفيد، وما يُعدّ نوعاً من التشابه، وما هي كيفية التّوصل إليه، فإنّه سوف يرتبط بالظروف المحيطة. وكلّ ذلك قد يشتمل على ترجمة تلخيصيّة أو على تقليد معيّن من الترجمة، أو الاحتياجات المفترضة لجمهور محتمل، أو نوع الأصل الذي يمكن ترجمته.

..... معايير الترجمة

وتعمل كل المسارات أو معايير الإنتاج تحت مستوى المُنتَج أو المعايير المتوقعة. وتحدث كرسينا نورد هنا عن المواضع المنظمة التي في هذا السياق تُنظَّم نوع الترجمة التي سوف تُنتج. فقط مسار تشسترمان الثالث أو معايير الإنتاج هي معيار للترجمة، أما المعياران الآخران فإنهما ليسا حكراً على الترجمة. بعبارة أخرى، تبدو الترجمة تحت تأثير عدد من المعايير، ولكن كثيراً منها ينطبق على كل وسائل التواصل وعلى كل وسائل السلوك عملياً. ومع ذلك فإن أهمية مفهوم المعايير للترجمة هو أن المفهوم يسمح بمراجعة التصور التقليدي لما يجعل من الترجمة ترجمةً صحيحة. إن صحة الترجمة، إذا ما أُخذت من زاوية نظر معيارية، لا يمكنها أن تُحدّد سلفاً. ولكنها تُصبح أمرًا انصياعاً لمعايير الترجمة السائدة. وما يُجادل به توري هو أن المعايير تمنح المكافئ جوهره. ومن وجهة النظر هذه، فإنه إذا قُبل نصٌّ ما على أنه ترجمة، فإن ذلك يستتبع بداهة الحصول على علاقة تكافؤ بين الترجمة ونصٍّ أصلها، ولذلك تُحدّد المعايير الشكل الحقيقي لعلاقة التكافؤ تلك في مقامات محدّدة. وقد اقترح المنتمون إلى المقاربات الوظيفية في الترجمة مثل مُنظريّ نظرية "المقصد" skopos هانس فرمير وكرسينا نورد (انظر Nord, 1997) أن التكافؤ مصطلح غير ملائم في هذا السياق وأنّ الترجمات يمكن قياسها بالاعتماد على "تناسقها" مع السياق الذي تجري فيه، وهذا التناسق يقتضي احترام المعايير أو انتهاكها.

تطبيقات ونتائج

إن إدخال مفهوم المعايير في نطاق علم الترجمة من شأنه إنزال الترجمة منزلتها والتمكين من أداة للبحث التاريخي في زمن يُنظر فيه للعامل الثقافي بوصفه أكثر إفصاحاً عن فهم الترجمة في مظاهرها الاجتماعية من العامل اللغوي. ومع ذلك فإن المنظرين الأوائل مثل لفن وتوري عاملاً المعايير بوصفها في الأساس مُعيقات، وهذا يبسط اتخاذ القرار عند المترجم عن طريق استبعاد الخيارات غير المرغوب فيها، في حين أن مقاربات متفرعة ركزت على التفاعل بين مختلف المعنيين وعلى أهمية القيم الأيديولوجية المؤسسة للمعايير الاجتماعية.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ونقل آخرون التركيز من الانصياع، والثبات، وتأكيد الحال الراهنة إلى خرق المعيار وما قد يترتب عليه من تحدٍّ للنظام الاجتماعي.

ومهما كانت نقطة التركيز، فإنّ الباحثين قد واجهوا مشكلة الكشف عن معايير الترجمة. ويمكن إرجاع كثير من القرارات التي اتخذها المترجمون إلى المعايير التي تحكم مقبولة النصوص بذاتها، وليس بالضرورة لانطوائها على معايير خاصة في الترجمة. إنّ فصل المقترضات المنبثقة من أنواع النصوص التي تؤدّيها الترجمة عن التوقعات المعيارية الخاصة بالترجمة يثير جدلاً بسبب أنّ الترجمات ليس دوماً مجرد ترجمات. فقد تُترجم روايات أو عقود أو خطابات أو صفات للطبخ، ولربما أنّها تخضع للقواعد الحاكمة لحسن سبك النصوص في هذه الأنواع. وبهذا المعنى، ولكن بروية أكثر اتساعاً، فإنّ تجاسؤيني نيرانجانا تقترح أن الترجمة تُحدّد عُوةً عن طريق خطابات دينية وعرقية وجنسية واقتصادية (1991، ص 21). إضافةً إلى ذلك، فإنّ الصعوبة هي أنّ المعايير غير قابلة للملاحظة مباشرة. يجب أن تُستنتج إمّا من خلال تصريحات عنها أو من خلال سلوكٍ ما. وفي كلتا الحالتين فإنّ الاستنتاج ليس خلواً من المخاطر. وقد تُظهر التصريحات بشأن المعايير نيّات أو مواقف فردية أكثر مما تُظهر توقعاتٍ مشتركةً وسلوكاً. غير أنّ السلوك المتواتر أو أشكال السلوك يمكن إيضاحها بطرق متعدّدة. فمن وجهة نظر منهجية، يبدو جلياً أنّ دراسة ترجمة برؤيتها من خلال نظرية المعيار يقتضي عدداً هاماً من الترجمات، لأنّ تكرار توسّل اختيارات معينة من شأنه المساعدة إزاء قائمة الاختيارات المتاحة.

عندئذ تكون الاختيارات بحاجة إلى أن تُنزل في السياق بالرجوع إلى بعض القضايا مثل النجاح التجاري أو الفشل، التقدير النقديّ أو اللوم، هيمنة نماذج وتصريحات معيارية ظاهرة. أمّا الموثوقية فيما يخصّ تأثير المعايير على اختيارات المترجم فيمكن التوصل إليها، وفي جميع الحالات، فإنّ الخطوط التي تفصل التفضيلات الفردية والمواضع والمعايير والقواعد تبقى غير واضحة. أمّا إعادة الترجمات كما هو حال الترجمات التي أثارت جدلاً فإنّها تميل على وجه خاص إلى أن تكون موضوعات دراسية مفيدة، كما أنّ المراجعة أو المناقشة النقدية

معايير الترجمة

تضع، على مائدة النقاش، افتراضات اللاعبين وتوقعاتهم.

وقد ترتبت على فكرة أنّ الترجمة قد كثر تحديدها من خطابات أخرى، نتائج فيما يخصّ تدريب المترجمين. فتعليم الترجمة يعني اكتساب معرفة ومهاره ضروريتين لإنتاج ترجمات مناسبة، مما يعني من ثم القدرة على التفاوض بشأن مقتضيات الخطابات ذات العلاقة. ومحصلة المسار، وفقاً لمصطلحات بيار بورديو هو اكتساب ألفة *habitus* مناسبة تهَيء المترجم حديث التعلم ليصبح لاعباً في حقل الترجمة. ويقوم التدريب مع ذلك بما هو أكثر من مجرد الإرشاد الروتيني. فمن خلال الأمثلة عن الممارسة الجيدة وتحليل الخطأ، فإنّ وعياً مُتَبَصِّراً يتعزز بشأن قواعد اللعبة. أما المترجم الكفاء فينبغي مع ذلك أن يكون قادراً ليس فقط على الترجمة وفقاً للتوقعات ذات العلاقة ولكن أن يكون قادراً على أن يقرر متى يكون صحيحاً ومناسباً أن يتبع التوقعات حدّ القُدّة بالقُدّة أو أن ينتهكها، مع تقييم واقعي لنتائج هذه القرارات في الحالتين.

وإذا نظرنا في سياق ثقافي وتاريخي أوسع، فإنّ معايير الترجمة في جملتها يمكن أن يقال أنّها تُبين عن شاعرية ترتبط بمراحل زمنية وثقافات معينة. والشاعرية يمكن أن تُفهم بأنها تتكون غالباً في كيان من التوقعات النصّية المعيارية بالتلازم مع جملة من الممارسات والنماذج المُقَدَّدة. وشاعرية الترجمة بهذا المعنى الواسع تُحدّد بقدر كبير ما الثقافة، أو قسمها الفرعي المعني، وتختار للترجمة من خارج نطاقها الكيفية التي سوف تُعالج بها المعلومات، وكيف من المحتمل أن تُستقبل الترجمة الناتجة. إن الاحتواء والإقصاء، وأنماط الترجمة التي يتم اختيارها أو يقع رفضها، ورد فعل الجمهور على المنتجات النهائية مؤشّر عن كيفية رؤية الثقافة لنفسها. ويمكن للثقافات أن تعتمد مقامات للترحيب أو للصدّ، كما يمكنها أن تُعبر عن إحساس بالحاجة أو التطلع، بسبب أنّ اختيار القيام بالترجمة من عدمه هو تمنع عليها. ومهما كانت الصورة في مقامات خاصة، فإنّ شاعرية الترجمة تعطي مؤشراً إلى ثقافة حماية الذات وتعريف الذات ما دام مؤدّى مثل هذه التعريفات هو إنزال الذات منزلتها في علاقتها بالآخر.

إنّ دراسة المعايير ليست في ذاتها نشاطاً معيارياً. ولكن إذا درسنا تعقيدات المعيار في نشأتها التاريخية، فإننا نحتاج أن نجد طريقاً للتعبير عن هذه التعقيدات في مصطلح اختصاصي معاصر يبدو إلى حد ما عابراً للغات الطبيعية. إن دراسة ترجمة ما أو عدد من الترجمات يجب أن تكون معبرة بطريقة أو أخرى. إذا كانت الترجمة هي معيار يحكم النشاط، فإن مؤدى ذلك هو أن خطاب البحث الترجمي الذي يجري يتناوله في نطاق علم الترجمة لا يمكن أن يتحاشى كُلية الوقوع تحت تأثير موضوعه. وهذا يضع موضع الشك الفصل البين بين مستوى الموضوع ومستوى وصفه لغوياً. وهو ما يستصعبه الطلاب بشأن الترجمة يتقاسمون ذلك مع علماء الإناسة ethnographers والمؤرخين، وليس ثمة حل بسيط لذلك. إنّ علم الترجمة، مثله مثل علم الإناسة والوصف التاريخي، قد قسم طرق الحياة من خلال المفارقات. وقد تمّ ذلك بشكل أساسي منذ العقد الماضي أو هكذا يبدو، وذلك بأنّ علم الترجمة أصبح بشكل متزايد يتفكّر في ذاته من خلال المتح من المعايير الأخلاقية المنظمة للترجمة المهنية ومن خلال ما يتحكم به كلّ من التعليم الأكاديمي والبحث. وهكذا اكتسب مفهوم المعايير أهمية غير متوقعة ليس بوصفه أداة للكشف عن الترجمة ولكن بوصفه وسيلة اختصاصية للتفكير فيها.

المراجع

- Chesterman, A. (1993). From "is" to "ought": Laws, norms and strategies in translation studies. *Target*, 5, 1–27.
- Chesterman, A. (1997). *Memes of translation: The spread of ideas in translation theory*. Amsterdam, Netherlands: John Benjamins.
- Frank, A. P., & Schultze, B. (1988). Normen in historisch-deskriptiven Übersetzungsstudien. In H. Kittel (Ed.), *Die literarische Übersetzung: Stand und Perspektiven ihrer Erforschung* (pp. 96–121). Berlin, Germany: Erich Schmidt.
- Galtung, J. (1959). Expectations and interaction processes. *Inquiry*, 2, 213–34.
- Hermans, T. (1991). Translational norms and correct translations. In K. van Leuven-Zwart & T. Naaijken (Eds.), *Translation studies: The state of the art* (pp. 70–155). Amsterdam, Netherlands: Rodopi.
- Hermans, T. (1996). Norms and the determination of translation: A theoretical framework. In R. Álvarez & C.-Á. Vidal (Eds.), *Translation, power, subversion* (pp. 24–51). Clevedon, England: Multilingual Matters.
- Hermans, T. (1999). *Translation in systems: Descriptive and systemic approaches explained*. Manchester, England: St. Jerome.
- Hjort, A. M. (1990). Translation and the consequences of scepticism. In S. Bassnett & A. Lefevere (Eds.), *Translation, history and culture* (pp. 38–45). London, England: Pinter.
- Hjort, A. M. (Ed.). (1992). *Rules and conventions: Literature, philosophy, social theory*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.
- Levn, J. (1967). Translation as a decision process. In *To honor Roman Jakobson* (vol. 2, pp. 1171–82). The Hague, Netherlands: De Gruyter.
- Levn, J. (1969). *Die literarische Übersetzung: Theorie einer Kunstgattung* (W. Schamschula, Trans.). Frankfurt, Germany: Athenäum. (Original work published 1963)
- Lewis, D. (1969). *Convention: A philosophical study*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Luhmann, N. (1995). *Social systems* (J. Bednarz, Trans.). Stanford, CA: Stanford University Press. (Original work published 1984)
- Luhmann, N. (2008). Normen in soziologischer Perspektive. In D. Horster (Ed.), *Die Moral der Gesellschaft* (pp. 25–55). Frankfurt, Germany: Suhrkamp. (Original work published 1969)
- Mukařovskn, J. (1978). *Structure, sign and function: Selected essays* (J. Burbank & P. Steiner, Trans. and Eds.). New Haven, CT: Yale University Press.
- Niranjana, T. (1992). *Siting translation: History, post-structuralism and the colonial context*. Berkeley: University of California Press.
- Nord, C. (1991). Scopus, loyalty, and translational conventions. *Target*, 3(1), 91–110.
- Nord, C. (1997). *Translating as a purposeful activity*. Manchester, England: St. Jerome.
- Popovig, A. (1976). *Dictionary for the analysis of literary translation*. Edmonton, Canada: University of Alberta.
- Pym, A., Shlesinger, M., & Simeoni, D. (Eds.). (2008). *Beyond descriptive translation studies: Investigations in homage to Gideon Toury*. Amsterdam, Netherlands: John Benjamins.
- Schäffner, C. (Ed.). (1997). *Translation and norms*. Special issue of *Current Issues in Language*

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

- and Society, 5.
- Toury, G. (1980). In search of a theory of translation. Tel Aviv, Israel: Porter Institute.
 - Toury, G. (1995). Descriptive translation studies and beyond. Amsterdam, Netherlands: John Benjamins.
 - Wolf, M., & Fukari, A. (Eds.). (2007). Constructing a sociology of translation. Amsterdam, Netherlands: John Benjamins.

الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية

د. فايزة يخلف

كلية علوم الإعلام والاتصال
جامعة الجزائر

مقدمة

تشير المعاينة النقدية الأولية للبرمجة الإعلامية العربية الراهنة الى تنامي نسبة الإنتاج الأجنبي مقارنة بالبرامج المحلية،¹ حيث يحصي المشهد السمعي البصري العربي أكثر من 300 قناة فضائية، أغلبها يتمثل في باقات تتدرج في اطار المشاهدة الكبيرة showtime، arabia، وتضم قنوات موضوعاتية مختلفة، قنوات أفلام movie channels، TV land، أو قنوات استكشافية discovery channels.²

وتتسم هذه القنوات على اختلافها ببحثها المتواصل وبمقترحاتها المتنوعة في مجال البرمجة التي تستقطب الجمهور الباحث عن التميز والتفاعل الحضاري في صوره المتعددة،³ وهو ما أتاحتها الترجمة السمعية البصرية بما قدمته من إمكانات عنونة الأفلام الأجنبية بالعربية les films sous-titrés en arabe أو دبلجتها إلى اللغة العربية الفصحى أو اللهجات المحلية أو الاثنية أحياناً.

¹ Bernard Caston : Le champ médiatique arabe : défi et enjeux, édition Gallimard, Paris, 2010, p17.

² Adriana Serban et Jean-Marc Lavour : Traduction et médias audiovisuels, presses universitaires du septentrion, Paris, 2011, p80.

³ Bernard Caston : Le champs médiatique arabe, Op, Cit, p22.

والأهم ها هنا، أن هذه المضامين الإعلامية المترجمة تعيد بلورة المسار الذي يقطعه فعل الاتصال في خضم تشكيلاته الاجتماعية والثقافية، من خلال إعادة بناء الأبعاد المفترضة التي تتدخل في صوغ معطى الظاهرة الإعلامية ثم الثقافية وأخيراً الإبداعية.¹

وعلى هذه الجديلة، تتبدى خصوصية الترجمة السمعية البصرية، وتتأكد معها النماذج النظرية التي تؤطر سيرورة فعل التلقي العربي بوصفه أنموذجاً قفزَ من تمثلاته الدلالية المرتبطة بالتأثير الإدراكي والمعرفي cognitive إلى الإدراك الانتقائي selective المؤسس على التحققات الاجتماعية الفاعلة في مجال مسائلة وبناء المعاني الاتصالية.²

فما هي الترجمة السمعية البصرية؟ وما هي خصوصياتها الفنية والاحترافية؟ وكيف أثرت في أساسيات فعل التلقي في الثقافة العربية؟

1. الترجمة السمعية البصرية: الأبعاد المفاهيمية والأنطولوجية

تتدرج الترجمة السمعية البصرية la traduction audiovisuelle ضمن ميدان الترجمة لوسائل الاعلام الجماهيرية mass translation وهي تختص بمهمة ترجمة الأفلام والبرامج التلفزية وكل إنتاج سمعي أو سمعي بصري،³ وهذا الأمر دفع بعض المتخصصين أخيراً إلى توسيع الأطر المفاهيمية لهذه الترجمة لتشمل الوسائط الحديثة كالوالب والأقراص المدمجة، وهي الأدوات الحديثة التي صاغت المكون السياقي الجديد لمفهوم ترجمة الملتيميديا la traduction multimédia⁴ حيث تتجلى مختلف أوجه التفاعل والتداخل interactions et interférences بين الاتصال اللغوي وغير اللغوي.⁵

¹ Paul Bensimon : La traduction des références culturelles, éditions de l'étoile, Paris, 2013, p30.

² Bernard Caston : Le champs médiatique arabe, Op, Cit, p45.

³ Yves Gambier : La traduction audiovisuelle : un genre en expansion, Meta, les presses de l'université de Montréal, volume 49, N°1, 2004, p11.

⁴ Ce dernier concept est expliqué dans le livre italien I. Ranzato : La traduzione audiovisiva, Bulzoni Editore, Rome, 2010, p23.

⁵ Ibid., p24.

..... الترجمة السمعية البصرية ودلالة النقل في الثقافة العربية

وتعد الترجمة للسمعي البصري في ميدان السينما والتلفزة والراديو والفيديو المؤسساتي والمنزلي ميدان بحث فتي نوعاً ما، فقد بدأت الأبحاث فيه منذ زمن ليس ببعيد، وخاصة منذ السنوية المئوية للسينما (1995)،¹ ومنذ ذلك الحين تضاعف وبسرعة عدد المؤتمرات والمقالات والمؤلفات والرسائل والمذكرات بهذا الخصوص.

ومتى جنحنا إلى التأريخ لهذه الترجمة كممارسة احترافية، وجدناها ترتبط بالبدايات الأولى للسينما، حيث كانت في شكل تكيف adaptation يجري بمقتضاه شرح وتأويل لقطات السينما الصامتة في تلك الحقبة.²

حاصل الكلام مما تقدم، ان الترجمة السمعية البصرية كممارسة pratique قديمة قدم السينما ذاتها، ولكنها في بعدها التكويني والأكاديمي تُعدّ تخصصاً حديثاً نشأ في بعض أكاديميات أوربا وأمريكا. وبحكم اختلاف هذا النوع من الترجمة الذي يعرف أيضاً بـ "الترجمة للشاشة" عما سواه من أنواع الترجمات والمترجمين، فقد قام المشتغلون في هذا الميدان السمعي البصري بإنشاء جمعيات خاصة بهم تجمعهم وتميزهم عن غيرهم من المترجمين والترجمة les interprètes كما هو الحال في هولندا والنرويج والدنمارك وروسيا... وغيرها.³

إن الحديث عن سعي مختصي هذا النوع من الترجمة إلى الانضواء تحت تكتلات مهنية متفردة، يكشف عن خصوصية مثل هذا النوع من الترجمة، فهي ترجمة أعقد من مثيلاتها،⁴ تقتضي استجماع الكثير من القواعد المعيارية لتوليد المعنى بطريقة صحيحة ومنسجمة، إنها باختصار عمل استثماري في طرائق بلوغ الكفاية الدلالية والشمولية الممكنة للتواصل.⁵

¹ Lucien Merleau : La traduction audiovisuelle : pour une classification scientifique, édition Dunod, paris, 2012, p8.

² Ibid., p9.

³ Yves Gambier : La traduction audiovisuelle : un genre en expansion, Op, Cit, p24.

⁴ Natalie Ramière : La traduction audiovisuelle, un transfert interculturel, édition Payot, paris, 2011, p16.

⁵ Ibid., p17.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

استناداً إلى هذه الإقرارات يمكن وصف هذه الترجمة بأنها: "ترجمة قياسية تحيد عن المكافئ اللغوي لتشتغل على مسألة المعادلة الثقافية التي تتوخى التأثير في الملتقى".¹ وعليه، فإن التمييز بين هذه الترجمة وما سواها يكمن في أنها ترجمة انتقائية بامتياز، تجري أقلمتها واختصارها وإعادة صوغها، وهذا الوضع يفضي إلى جملة من الاستراتيجيات الإعلامية والتخاطبية كالشرح والتكثيف والنشاطات كالمراجعة وإعادة التشكيل.²

ولأن هذه الترجمة تقوم على قواعد أساسية هي: الانتقاء، التأليف والمراجعة كان لا بد من تبين إكراهات هذه العمليات الإبداعية في كل من:

أ. العنوانه sous-titrage

ينبغي أن نشير في تصديرنا لهذا المبحث الفرعي إلى إشكالية الاضطراب الاصطلاحي الذي طال ترجمة لفظ sous-titrage، sub-titling الأوربي ومقابلته العربي الذي تراوح بين الحواشي السينمائية المترجمة، العنوانه، أو "السترجه". وهو تعريب للفظ الفرنسي الذي يحيل في أبعاده الدلالية إلى أحد أوجه المثاقفة والحوار الحضاري بين الشعوب.³

ونعتقد ان مصطلح "العنوانه" أقرب للدلالة على المعنى الذي نرفقه بالبرنامج أو العمل الفني المترجم بأن نزيل عن مثليته جهله باللغة في شكل عناوين تؤدي له المعنى، وتظهر في صورة كتابة تحتل أسفل شاشة العرض.

وحتى تلامس العنوانه ممكنات "الاستطبيقا الفينومينولوجية" وتعاين جماليات الخبرة الدلالية، استلزم عليها الاستناد إلى المبدأ القائل "الرجوع إلى الأشياء ذاتها ولأجل ذاتها"، وهو ما يعني الحرص على الوفاء للمنطلقات الفنية والجمالية للقطعة بما ينتج متعة لحظة التأليف بين الأصلي

¹ Ibid., p19.

² Claude Heiss : la traduction audiovisuelle dans le cinéma, la télévision et la scène, édition Dunod, Paris, 2010, p50.

³ منار راشدي أنور: إشكالية ترجمة المنظور الثقافي في السينما، بيروت، دار النهضة العربية، 2009، ص 3.

..... الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية

والنسخة المترجمة.¹

ولاشك أن انشغالات من هذا سمت وغيرها، لتدخل في صميم الطرح الخيريّ (الأمبريقي) الذي يُعنى بمسألة التلقي وبكيفية التعاطي مع المسألة الجمالية في أقصى أبعادها التأويلية، ذلك أن المظهر الجمالي للعمل الفني السمعي البصري لا يقف عند حدوده البصرية الأيقونية المباشرة، بل هو نسيج مرئي وغير مرئي ينتظر إدراكاً جمالياً خاصاً.²

هكذا تغدو - العنوان - مجالاً خصباً للمساءلة والمحاورة من خلال الإحالة المتبادلة بين قصيدة "اللغة" وقصيدة متلقيها، والفهم الحاصل من هذه القصيدة هو الذي يمنح للمعنى أفقاً من التأويل: فحينما يتعرف المتلقي مضمون اللغة، فإنه في الوقت ذاته يتعرف نفسه.³

إن هذا الارتباط لذات المتلقي بموضوع اللغة، لا يحدث بمعزل عن بعض الإكراهات التناسية الأخرى المتعلقة بمسيرة العنوان لعرض اللغة le défilement du plan، وذلك تأكيد للفهم الذي يحصل حيال تعالق نظامين مختلفين أحدهما: أيقوني iconique والآخر لساني لغوي.

هكذا يتأكد أن فهم الإيقاع الدلالي للغة يرتبط بمسيرة الإيقاع الزمني لمرورها، وفي ذلك ما يشير بعمق إلى أن الخبرة الدلالية والجمالية للأثر الفني السمعي البصري ليست غير ما يحدث "فعلاً" لدى متلقيه عن محاورته للعمل الفني، وفي آثار تلك المواجهة تعديل لأفق انتظاره وإفصاح عما يسميه ايف جوني "بالوجود في حد ذاته لأجلنا" l'en soi pour nous،⁴ وهي صياغة تحدد الارتباط الفضائي والزمني للمحتوى السمعي البصري بسياقه الأصلي، وتفتحه على نحو متجدد أمام إدراك المتلقي.

¹ Marianne Lederer : le sous-titrage : langues et statut, édition Gallimard, paris, 2008, p21.

² Ibid., p23.

³ Roselyne Quémener : Le sous-titrage : typologie et contraintes éditoriales, édition presses universitaires de Lille, Lille, 2009, p13.

⁴ Yves Gambier : Les transferts linguistiques dans les médias audiovisuels, presses universitaires du septentrion, Paris, 2003, p6.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ولا غرو أن تكون هذه المقتضيات ملزمة في حق "العنونة" فهي ترجمة مخصوصة تمثل أحد مظاهر التواصل الثقافي communication culturelle، وقوامها العمل على أساس فكرة ضغط الحوار la compression du dialogue¹، وهي فكرة تخضع لعدة استراتيجيات بعضها يؤثر في المخططات السيميائية les plans sémantique والأسلوبية stylistique للنص الأصلي والبعض الآخر يؤدي إلى تجاهل حدود مفصلية في فهم مضمون اللقطة كاللغة الإشارية المرئية la guesstuelle visible التي تساهم مساهمة فعالة في وسم الحالات les situations التي يراها المشاهد والتي تؤثر بشكل مباشر في جمالية التذوق الفني والدلالي للنسخة المترجمة.²

واتساقاً مع هذه المعطيات، يفترض من المترجم المعنون le sous-titreur أن يتحلى بشيء من النقد الفني الذي يؤهله لاختزال المصنفات الفنية للقطة على نحو يقربها من متلقيها الجديد son nouveau récepteur، وأن يجعل من وضوح الرسالة المرئية أسبقية التزامه الفني، فالأمر لا يتعلق بطبيعة الحال برسالة على الطريقة التتبئية وإنما وعي يتجه إلى وعي آخر، بوعي يلتزم التزاماً عميقاً بما يعبر عنه.³

ولأن المتلقي في حالة - العنونة - يقرأ بأقل وتيرة مما يسمع، كان على المكلف بهذا الضرب من الترجمة أن يشتغل على مسالة تكثيف الدلالة la condensation de la signification⁴ حتى يمكن الذات المتلقية للعمل الفني من فك شفراته وفهم مدلوله... وتلك هي غاية كل ترجمة مكتوبة في المجال الإعلامي.⁵

¹ Roselyne Quémener : Le sous-titrage : typologie et contraintes éditoriales, Op, Cit, p25.

² Ibid., p26.

³ Jean François Cornu :le sous-titrage : défis et enjeux, édition traducto de Boeck, Paris, 2013, p7.

⁴ Natalie Ramière : Reaching a foreign audience: cultural transfers in audiovisual translation, dans the journal of specialized translation, N°6, 2014, p152.

⁵ Ibid., p153.

..... الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية

ب. الدبلجة *doublage*

الدبلجة هي نوع من الترجمة التقنية تقوم على استبدال *substituer* أصوات الممثلين في الأثر السمعي البصري الأصلي - سواء كان فيلماً أو مسلسلاً - بأصوات ممثلين يتحدثون لغة غير تلك التي أُنتج بها.¹

وكما يدل عليه الاشتقاق اللغوي، تحيل لفظة دبلجة إلى النسخة المضاعفة *version doublée*، أو اللغة المضاعفة *la langue doublée* والتي يفترض منها إعادة صياغة العناصر الأساسية التي تشكل روح لغة الانطلاق وهي الأصالة *l'authenticité*، الطوعية أو العفوية *la spontanéité*، والفورية *l'instantanéité*²، وهي القيم التي تضمن العبور المتفرد الذي يقطعه المعنى من محض الإمكان (قصد العمل الفني/مقاصده) إلى حدس الإمكان (ادراك القصد/ إدراك جمالية القصد).³

إن ما ترومه الدبلجة - وفقاً لمساق البحث الفينومينولوجي- هو بلوغ وحدة تمثيلية فنية تخلق في ذهن المؤول دليلاً مكافئاً يبار الترابط الإحالي بين نسق الفيلم والتأويل الدلالي له، وهو ما من شأنه أن يتحقق بتوفير شرط التزامن *la synchronicité*⁴ وإمكاناته التي تحرك كينونة العمل الفني أثناء تلقيه.

لقد طرحت مسألة إعمال آليات التزامن في الدبلجة سجلاً علمياً وفنياً كبيراً في الأوساط النقدية. فهل التزامن يتعلق فقط بأطر مسامرة توليد السرد والتصوير والتصويت فحسب؟ أم أن الأمر يقتضي الخضوع لمستلزمات دلالية وتداولية قادرة على تحويل الأثر الفني السمعي البصري من بنية فنية للإبداع إلى بنية تواصلية للإقناع الجماهيري.⁵

الواقع أن التزامن لا يتعلق فقط بحيز التطابق بين وجهات النظر السردية ووجهات النظر

¹ Louise Dumas: le doublage filmique, édition P.U.F. Paris, 2007, p33.

² Ibid., p35.

³ Ibid., p36.

⁴ Christian Viviani : Le doublage et les tranfers culturels, édition Payot, paris, 2013, p61.

⁵ Ibid., p62.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

التصويرية، بل يتعدى ذلك إلى استراتيجيات سيميائية تصوغ صور تنسيق الإدماج التقني والفني والدلالي بين وحدات اللغة اللفظية ولمسات اللغة غير اللفظية، علماً أن اندماج اللفظي وغير اللفظي يخضع ضرورة لضوابط سننية مهنية: التوضيب، المزج، النبر... وكلها بنيات سننية تحوم حول المبدأ القاعدي المتمثل في التزامن.¹

نستشف مما سبق أن التزامن قانون مفصلي في عملية الدبلجة،² يقع بمقتضاه الانسجام والتوافق بين مستويات القصة الدرامية ومدلولاتها من جهة، وتوالي اللقطات ونوعيتها من جهة ثانية،³ وهو الإجراء الذي يكفل تجاوز عقبة التناثر الدلالي بين أدلة الصورة ودلالات الحوار -الجملة اللفظية -، وما لهذا التناثر من آثار في تلقي وفهم الأثر السمعي البصري برمته.

إن المكونين الوظيفيين المتقدمين: مكون الجملة أو المقطع التعليقي في الحوار ومكون الصورة أو اللقطة التصويرية، يجتمعان في توافق دلالي ليملاً حدود الفراغ النصي في العمل الفني ويحققا ما يسميه كانديسكي Wassily Kandisky "الضرورة الداخلية"⁴ التي تنتج إلى الروح والوعي أكثر مما تنتج إلى العين، "فالجميل هو ما كان داخلياً جميلاً".⁵

وهكذا فإن معاملة هذين المكونين معاملة تقوم على الاستقلالية الذاتية لكل حد، ينتج عنه اشتغال ذهن المتلقي وفق فرضية الاستقلال الذاتي، حيث يفارق الدال مدلوله من خلال قيامه بالاستماع وتفكيك السنن الصوتية les codes sonores من جهة وقيامه بالمشاهدة وتفكيك السنن البصرية les codes visuels من جهة ثانية، وهي المزاجية القرائية التي تحدث نشوها

¹ Ibid., p63.

² Ibid., p64.

³ Antoine Goris : the question of foreign dubbing: towards a form for systematic investigation target, Vol 5, N° , p169.

⁴ Ibid., p170.

⁵ Ibid., p171.

..... الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية

معرفياً cognitif في تلقي العمل المترجم وتنشيطاً مستبطناً في ذات المتلقي المشاهد.¹ وغني عن البيان أن خرق مبدأ التزامن يتجلى في ثلاثة مستويات متباينة مترتبة: أولها المستوى الخطي linéaire الذي يمنح للمشاهد عنصر الإدراك البصري الثابت في أفق فهم المستويات التزامنية وتأويلها، وثانيها المستوى التصويري الذي يوجه رؤية المتلقي من خلال تقنين عملية انسجام الصور بما يستجيب للمقاصد الدرامية المتوخاة، وثالثها المستوى السردى le niveau narratif الذي يتعلق بتبليغ وجهة النظر le point de vue بشكل متناغم ومؤتلف.² على هذا النحو ترتبط سلامة الدبلجة درامياً وفنياً بتوفر شرط التزامن الذي يصبح أكثر إلحاحاً في حالة اختلاف نسق الرسالة الثقافية le message culturel لنسخة الانطلاق وتلك التي تميز نسخة الوصول.³

وإذا ما تبينا الإكراهات الكبرى للترجمة، من خلال ما ورد ذكره في مبحث العنوان، فلا بد أن نقف على الاستعصاءات التي تشكل تحدياً مستمراً un défi continu في حالة الدبلجة والتي يمكن أن نوجزها إجمالاً في:

- صعوبة نقل مسألة الغيرية altérité كقيمة وجودية محددة لانتماء ثقافي بعينه،⁴ فالثقافة لا تتحدد باللغة فقط، وإنما هي كل متكامل منظور إليه في ذاته ولأجل ذاته، وهو يشمل الأسماء والألقاب والطقوس والعادات والممارسات الدينية والعرفية... وهذا الأمر يجعل مسألة نقل كل هذه الأرصدة الثقافية مهمة غاية في الصعوبة.⁵
- الثغرات الاتصالية والفنية التي تؤثر في نقاء وسلامة الدبلجة، وهي النقائص التي تتجلى واضحة فيما يسميه خبراء الترجمة - بعيوب المطابقة اللغوية-⁶ وتظهراتها الماثلة في

¹ Edward George Marantz: "Voice over, narration et doublage", actes du forum international: communication audiovisuelle et transferts linguistiques, Strasbourg, 2005, p22.

² Ibid., p23.

³ Yves Gambier : le doublage : un genre diversement accessible, paris, édition l'Harmattan, 2012, p16.

⁴ Ibid., p17.

⁵ Ibid., p18.

⁶ Jean Yvane : le doublage filmique : fondements et enjeux, édition P.U.F, 2010, p37.

انزياحات تفعيل الأنظمة التواصلية غير اللفظية المساعدة les systèmes auxiliaires مثل نبرة اللغة le ton du langage، والإدراك الجمالي المرتبط بأسلوب المغالاة emphase وما تقتضيه ضرورات المشكلة اللغوية l'accent، وهي السمات التي تنقاسمها عديد اللغات مثل الهندية، والإنجليزية، والفرنسية.¹

• صعوبة إيجاد ممثلين محاورين dialoguistes بنفس خامات وحضور ممثلي النسخة الأصل، وهو العامل الذي ينتج عنه اختلال مقولي لاختلال تواصل² وهو ما يؤثر في عملية بلوغ المستوى التفاعلي المفترض في سيرورة الإقناع.

واستجماًعاً لما سلف، ننتهي إلى أن الدبلجة فن يقع بين الترجمة la traduction والأقلمة l'adaptation، وهو توصيف احترافي يستلزم من المدبلج كفاءة عالية في مجال الاستثمار الصحيح والكامل للمعنى الفيلمي le sens filmique بما يجنبه أحكاماً كثيراً ما تطلق على الإنتاج الفني المدبلج بأنه مصطنع artificiel ومخادع artificieux.³

2. الترجمة السمعية البصرية والمقترّب النقدي للتلقي

يشير مصطلح التلقي الذي يعني (الاستقبال) la réception إلى تلك الأطر المفاهيمية التي تدل على كيفيات وأساليب التعامل مع أعمال كاتب أو مؤلف أو فنان أو مدرسة أو مضمون إعلامي،⁴ وضمن هذا المجال الأخير - حصراً - يتحدد مفهوم التلقي في موقف ونشاط المتفرج في مواجهة العرض الفني أو الرسالة الإعلامية والطريقة التي يستعملها في تفكيك المعلومات الصادرة على هذا النوع من المضامين.⁵

¹ Ibid., p38.

² Ibid., p56.

³ T. Herbst : « Why dubbing is impossible ? », dans traduction multimediale per il cinema la television el la scena, Clereb, Bologne, 1996, p97.

⁴ Jean Bianchi et henri Bourgeois : les medias coté public : le jeu de la reception, collection fréquences, edition centurion, Paris, 1992, p45.

⁵ Eric Maigret : sociologie de la communication et des médias, édition Armand Colin, paris, 2004, p59.

..... الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية

ونظراً لأن الترجمة السمعية البصرية، هي مضمون فني يندرج إبستيمولوجياً ضمن أبحاث التواصل الجماهيري، فإن المقرب النقدي لتلقي مثل هذه الخطابات المخصصة يرتكز على سيادة الاعتناء بالمكونات العائلية للسيرورة التواصلية في تضاعيف هذه الخطابات، بغية الإمساك بالمجددات الفاعلة فيها ومؤثراتها المعرفية والجمالية والثقافية.¹

لهذا الغرض نقرع هذا المقرب، فرعين متكاملين متأثراً في جوهره بدراسات تأثير وسائل الاعلام في المتلقين les recepteurs وهي: دراسات التأثير l'étude des effets، ودراسات الاستعمالات والإشباعات l'étude des usages et des gratifications، على أساس أن المتلقي يسعى في هذا النوع من الترجمة إلى تحقيق إشباع نوعية، تتعلق باستكشاف ومعاينة أطر فنية وجمالية وثقافية غير تلك التي عهدا في يومياته العادية.

أ. أنموذج التأثير

يشمل هذا الأنموذج مجموع الرؤى والتحليلات التي تناولت بالدراسة أوجه تأثير الترجمة السمعية البصرية في سلوكيات الجمهور، ومواقفه، وحالاته الانفعالية الذهنية الإدراكية والمعرفية، أثناء وبعد التعرض للأفلام والمسلسلات المترجمة، وعلاقة هذا التغير مقارنة بالوضع السابق للتعرض.²

وقد خلص هذا الأنموذج الذي مثله كل من أدورنو وهوركهايمر وماركوز³ إلى أن الترجمة السمعية البصرية هي ضرب من الصناعات الثقافية industries culturelles ذات البعد الأيديولوجي الذي يعمل على التأثير في المتلقي بطريقة نمطية آلية، ولزوماً عنه، اعتبر رواد هذا التيار أن ما يحكم هذا الأنموذج هو مفهوم التحكم والسيطرة manipulation، وهو ما يكشف أن الفرد المتلقي لمثل هذه المضامين مفعول به، خاضع لمنطق وتوجه هذه

¹ Reny Rieffel : traduction et réception des objets médiatiques, édition la découverte, Paris, 2009, p21.

² Ibid., p22.

³ Ibid., p24.

المضامين التي تقدم له العالم بصورة مغايرة.¹

ب. أنموذج الاستعمالات والإشباعات

يكتسي توصيف - الاستعمال/المستخدم (utilisateur/user) دلالة إيجابية في تعامل الجمهور المتفرج مع المضمون الإعلامي، فهو يحيل إلى قدراته على ترجمة النشاطات الجديدة المختلفة عن فعل التلقي (المشاهدة والقراءة والاستماع والتأويل)، وهي كلها اعتبارات دعت إلى تغيير النظرة إلى الجمهور، بعد أن كان ينظر إليه على أنه متلق سلبي، إزاء قوة الرسالة الاتصالية، وتأثيرها ظهر مفهوم "الجمهور العنيد" الذي يقول عنه الباحث الأمريكي دنيس هوويت Denis Howitt أنه الجمهور الذي يبحث عما يريد أن يتعرض له، ويتحكم في اختيار المضامين التي تقدم له مقترحات جديدة، فهو الجمهور النشط الذي يبحث عن معلومات إضافية كافية لإشباع حاجاته.²

هكذا يتضح وفقاً لهذا الأنموذج أن المتلقي فاعل حقيقي في تقويم جوهر ومعنى الاتصال، فهو يختار ما يناسب انتظاراته، وينأى عن الرسائل التي لا تحقق إشباعاً موضوعية لديه وهي الحقيقة التي يؤكدُها مبدأ التعرض والادراك الانتقائيين لفحوى المضامين الإعلامية.³

3. الترجمة السمعية البصرية في العالم العربي: الإكراهات والرهانات

انتعشت الترجمة السمعية البصرية بقدر ملحوظ في العالم العربي، وهذا منذ النصف الثاني من القرن الماضي، حيث اعتمدت بعض دول الخليج أسلوب الدبلجة والعنونة إلى العربية، وهذا الأمر أدى إلى شيوع هذه الممارسة في كل من: لبنان، سورية، الأردن، العراق، مصر فلسطين. في حين طغت على دول المغرب العربي (المغرب، تونس) أسلوب العنونة إلى

¹ Armand Mattelard: Histoire des theories de communication, edition Payot, Paris, 2006, p46.

² Francis Balle : Pour une critique de la réception des objets médiatiques, édition Gallimard, Paris, 2009, p86.

³ Ibid., p87.

..... الترجمة السمعية البصرية ودلالة التلقي في الثقافة العربية

الفرنسية إضافةً إلى الدبلجة إلى اللهجات المحلية.¹

ورغم شيوع هذه الحركة الترجمية في العالم العربي، فإنها لا تزال تصطدم بعدة إكراهات ناتجة عن عدم التمكن العلمي والاحترافي بأساسيات هذا الفعل الترجمي الحداثي، ومن جملة الإكراهات المسجلة في هذا المجال نذكر:

- الرؤية العربية السطحية التي تعتبر الترجمة السمعية البصرية حرفة أو ترفاً جمالياً، متجاهلة ما توليه الدول الغربية من عناية فائقة للنسق المعرفي الكلي المؤطر لنظريات وأبحاث هذا النوع من الترجمة.

- غياب حدود التوجه المهني المنظم لهذا النوع من الترجمة، وهذا الأمر يسفر عن غموض وتداخل مهام كل من المترجم traducteur، المؤقلم adaptateur والمعاين repérateur.²

- الإشكاليات الدلالية المرتبطة بقوانين تظهير المعنى في اللقطة - وهي أصغر وحدة في المضمون السمعي- والتي تركز في الترجمة العربية على المقاربة الأيقونية l'approche iconique، في حين أن اللقطة في مثل هذه السياقات التي تعتمد على النقل transposition هي وحدة أو كيان ثقافي مصغر.³

- تهمل الترجمة العربية إهمالاً يكاد يكون مطلقاً لاستراتيجيات تفعيل مبدأ التزامن في تشكيل النص السمعي البصري المترجم.

ذلكم ما أثر سلباً سواء في طبيعة الترجمة الدرامية أو في ضعف المسار التواصلية مع المتلقي بتشطيره إلى مستمع ومشاهد منفصلين.

خاتمة

نخلص مما سبق إلى أن الترجمة السمعية البصرية، خبرة جمالية تعرض نفسها للقراءة

¹ Emmanuel Plasseraud : Théorie de la réception filmique dans le monde arabe, édition Presses Universitaires du septentrion, Paris, 2011, p71.

² Ibid., p73.

³ Ibid., p75.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

والتأويل، فهي تتصل بالمشاهد وبما يجري داخل وعيه القصدي تجاه العمل المترجم. ها هنا تأتي ثنائية التحليل والتأويل لتحل محل المشاهدة والتعرض، وتكشف عمليات التأويل على اختلافها على ما يتسم به المتلقي من قدرات فاعلة على النقد تتوافق فيها ممارسة القبول والرفض وتحدث خلالها أيضاً ثنائية التماهي أو الانكفاء، وفي كل ذلك لا يقف الجمهور المتلقي سلباً في الغالب، بل يتفاعل مع هذه المضامين وفق منطق محايتها لأفق انتظاراته وتبعاً لما توفره من شروط وقوانين الاشتغال الجمالي، وفي ذلك تكمن مزية استيعابها للالتزام *esthétique d'engagement* بوصفها موقفاً يترجم حساسية فنية.

الترجمة على الشاشة (السبتلة)

ضوابط وأخطاء

د. فؤاد سليمان الخوري
جامعة دمشق

مقدمة

شهدت نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ثورة كبرى في الاتصالات والإعلام والقنوات الفضائية استوجبت في الحين ذاته التعامل بلغات متعددة، وطبعت بطابعها عالم الوسائط المتعددة (Multimedia) والأعمال السينمائية والتلفزيونية، الذي يعيش بدوره حالة من الغليان والتطور المتسارع. وقد غمر هذا التطور كافة المجالات المرتبطة به ومنها الترجمة السمعية البصرية¹ بجميع أشكالها. مما رتب على الجهات الفاعلة في هذا الميدان، كشركات الإنتاج والترجمة وغيرها، مواكبة التغير المستمر، والتكيف مع الحاجات المستجدة دوماً ومع متطلبات المهنة.

تعاني ترجمة الأعمال التلفزيونية والسينمائية إلى اللغة العربية، وهي في غالب الأحيان من اللغة الإنكليزية أو الفرنسية، من مشكلات كثيرة في الترجمة وفي اللغة وفي الجودة سوف نتطرق إليها في هذا البحث. وأهم هذه المشكلات تكمن في دقة الترجمة وفي سلامة اللغة وفي

¹ تُستعمل من أجل التعبير عن كل ما يتعلق بالسمع والبصر في آن واحد المصطلحات التالية: سمعي وبصري كصفتين معطوفتين بحرف الواو، وسمعي بصري كصفتين متتابعين دون حرف العطف، وأخيراً سمعياً بصرياً كصفة مركبة من الالتهتين السابقتين نحتاً على غرار برمائي (كائنات برمائية) وكهرطيسي (كهربائي ومغناطيسي) وغيرهما. وقد أثرنا الاستعمال الأخير لشيوعه في وسطنا التعليمي واتصافه بالاختصار والسرعة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

معايير الجودة في الإظهار على الشاشة، من تقطيع سليم وتزامن وصحيح وتطابق جيد مع الصوت المسموع، وعلامات ترقيم وأمور أخرى مختلفة ترتبط بالنقل الثقافي إلى المجتمع العربي وغيرها. تعيق هذه المشكلات في غالبيتها انتباه المشاهد وتسبب شيئاً من عدم الارتياح عند مشاهدة الأعمال التلفزية والسينمائية المتنوعة من أفلام ومسلسلات ووثائقيات ورسوم متحركة وما إلى ذلك.

تتناول هذه الدراسة أحد أشكال الترجمة السمعية البصرية الأكثر انتشاراً وهو السبّلة¹ أو الترجمة المكتوبة على الشاشة، ومعايير ضبط الجودة فيها، ومشكلاتها اللغوية والتقنية، للحالة الراهنة في الإنتاج السينمائي والتلفزيوني العربي.

¹ لقد سُميت العمليات التي تنتج عنها ترجمة مكتوبة على الشاشة تعرض مع العمل السينمائي أو التلفزي أو غيرهما، بأسماء كثيرة منها الترجمة على الشاشة والترجمة المرئية والعناوين المترجمة وغيرها. إلا أن هذه التسميات تستوجب مجموعة من الملاحظات، فالترجمة على الشاشة يمكن أن تعني إجراء عملية الترجمة على شاشة حاسوب بدلاً من الورق أو ما شابه، وليس بالضرورة في نتيجة هذه العملية أي ما يعرض على الشاشة، إضافة إلى أنها لا تميز بين هذه العملية وبين عملية الدبلجة المعروفة. والترجمة المرئية توحى بوجود ترجمة مخفية غير ظاهرة. أما العناوين المترجمة فتفيد العناوين فقط وليس الكلام العادي. إضافة إلى أن هذه الأسماء طويلة وصعبة الاستعمال ولا تفسح المجال لاشتقاق مفردات جديدة، فكيف نعتبر عن كون أحد الأفلام مترجماً بهذه الطريقة مثلاً؟ وكيف نسمي ما يظهر على الشاشة في لحظة معينة أي ما يسمى Subtitle بالإنكليزية؟ إن تسمية "جملة" غير دقيقة لأن ما يظهر ليس بجملة واحدة أحياناً وليس بجملة مكتملة أحياناً أخرى. لذلك، وقياساً على مصطلح الدبلجة (على وزن فعلة) الذي بات سائداً لدى عامة الناس وعند أهل الاختصاص، والمبني على أربعة حروف أخذت من المصطلح الفرنسي Doublage كجذر رباعي (د، ب، ل، ج) أعطى يُدبّلج ومُدبّلج وغيرها، نقترح مصطلح السبّلة (على وزن فعلة) المبني من جذر رباعي مأخوذ من الكلمة الإنكليزية Subtitling (س، ب، ت، ل) والذي يسمح بتوليد مفردات أخرى مثل الفعل سبّلتَ ويسبّلتَ والمفعول مُسبّلتَ والفاعل مُسبّلتَ، وأيضاً الاسم سبّلت الذي يدل على ما يظهر على الشاشة في لحظة ما. مع الإشارة إلى وجود مصطلح الترجمة (من Sous-titrage) المبني بالطريقة ذاتها والمتداول في بلدان المغرب العربي. وللقارئ الحكم. انظر سيب، ابراهيم (2014)، إشكالية الترجمة في المجال السمعي البصري، وأيضاً الزهراء، شوارفية فاطمة، عوائق الترجمة السينمائية: "عداء الطائرة الورقية" أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة وهران - السانبا، 2011.

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

تعريف الترجمة السمعية

تُعرف الترجمة السمعية بأنها الترجمة التي تتناول الأعمال السينمائية والتلفزيونية والمواد الفيديوية الموجودة على الأقراص المدمجة وغيرها من الأوساط المتعددة¹. ويصنف إيف غامبييه (2004) عدداً كبيراً من أشكال الترجمة في فئة الترجمة السمعية فيذكر الترجمة الفورية والمنظورة والتتبعية وغيرها. إلا أن التوجه الحديث يتبلور باتجاه اعتماد هذا المصطلح للدلالة على ترجمة كل ما يُعرض على شاشة فقط، دون الأشكال الأخرى.

مجالات الترجمة السمعية

لا تقتصر الترجمة السمعية على الأفلام التي نشاهدها على الشاشة الكبيرة أو الصغيرة، بل تشمل أنواعاً كثيرة من الأعمال الإنتاجية للسينما والتلفزة وغيرها. وهي على سبيل المثال لا الحصر: المسلسلات والبرامج المتلفزة، الأفلام التلفزيونية والسينمائية، الأفلام الوثائقية، فيديو الشركات، فيديو المنزل، الإذاعة، القصص المصورة، المسرح، الأوبرا، الأقراص المدمجة، خدمات الترجمة عن بعد، وغيرها. كما أنها تشمل كافة المواضيع كالدراما والوثائقيات والصور المتحركة والأفلام التاريخية والخيال العلمي والبرامج الرياضية ونشرات الأخبار والمنوعات.

أشكال الترجمة السمعية

يعتقد الكثيرون أن الترجمة السمعية تقتصر على السبتلة Subtitling والدبلجة Doublage. غير أنها في الواقع تأخذ أشكالاً كثيرة معظمها قليل الاستعمال لكنها تدخل جميعها في ميدان الترجمة والنقل اللغوي للأعمال السينمائية والتلفزيونية بكافة أشكالها ومواضيعها.

¹ انظر إيف غامبييه Yves Gambier، النقل اللغوي في وسائل الإعلام السمعية، 1996.

ترجمة السيناريو

تستعمل في مشاريع الإنتاج الكبيرة، خصوصاً في الإنتاج المشترك، وذلك لإطلاع جهات معينة على العمل السينمائي أو التلفزيوني بهدف الحصول على موافقات أو تمويل أو مساعدات في الإنتاج. وهي غير مرئية، لا تُنشر ولا تُعرض على الشاشة.

السبتلة اللغوية الداخلية أو الأحادية اللغة Closed caption

وهي ليست ترجمة حقيقية وإنما كتابة على الشاشة للكلام المسموع في اللغة ذاتها، استعملت ولا تزال لمساعدة الصم وذوي الإعاقة السمعية على متابعة الأعمال المتنوعة. وقد اعتمدتها قنوات فضائية ذات توجه تربوي كقناة TV5 الفرنسية وقناة ARTE الفرنسية الألمانية وغيرها.

السبتلة اللغوية الخارجية أو الثنائية اللغة Open caption

وهو الشكل المعروف والأكثر انتشاراً، وتسمى عادة بالسبتلة فقط، حيث تعرض في أسفل الشاشة بالتزامن مع مرور الفيلم ترجمة الكلام المسموع على شكل رسائل مقطعة تتألف في الأكثر من سطرين. وهذا هو موضوع بحثنا.

السبتلة المباشرة

يُعرض هذا النوع من الترجمة بالزمن الحقيقي في أثناء بث برنامج ما على الشاشة وتحديداً في المقابلات والأخبار المصورة والبث المباشر. وهو نادر الاستعمال لكنه استُعمل على سبيل المثال عندما جرى بث جلسة المحكمة مع الرئيس الأميركي المتهم بيل كلينتون في عام 1998. وفي هذه الحال، جاءت السبتلة المباشرة لتدعم السبتلة العادية والترجمة الفورية وترافقهما.

الدبلجة

هي استبدال أصوات الممثلين في عمل درامي أو صوت الراوي في الأفلام الوثائقية

..... الترجمة على الشاشة (السبئلة) ضوابط وأخطاء

بأصوات ممثلين باللغة التي تجري الترجمة إليها. وهي عملية بالغة التعقيد تحتاج إلى فريق عمل متكامل من المترجمين والمعدّين والمهندسين والفنيين والممثلين وغيرهم، إضافة إلى ارتفاع تكلفة إنتاجها، ولذا لا تقوم بها سوى شركات الإنتاج الكبرى. كما أنها تتطلب جهوداً كبيرة من المترجمين ومهارات عالية وخلاقة لدى المُعدّين لتحقيق التزامن الدقيق بين الصوت والصورة والتطابق التام في حركة الشفاه بين صوت الترجمة وحركة وجوه الممثلين على الشاشة¹.

نصف الدبلجة أو شبه الدبلجة Over-voice

هي تركيب صوت الترجمة بدرجة مرتفعة فوق الصوت الأصلي الذي يبقى مسموعاً ولكن بدرجة منخفضة، مما يسمح للمترجم والمعدّ بعدم الالتزام بمطابقة الشفاه، لأن المشاهد يربط حركة الشفاه بالصوت الأصلي الذي يبقى مسموعاً. وهي تستعمل في الأعمال الدرامية في بعض القنوات البولونية والروسية على سبيل المثال، أما استعمالها الرئيسي فهو في الأفلام الوثائقية عندما تظهر شخصية تتحدث بصورة سريعة ومؤقتة.

أشكال أخرى

يضاف إلى ذلك أشكال أخرى للترجمة على الشاشة كالتعليق الحر الذي يهدف إلى توضيح برنامج ما لجمهور جديد من المستمعين، ويتضمن شروحات وإضافات وتعليقات متنوعة تفيد المشاهد في فهم البرنامج أو العمل المعروض. وهناك الترجمة العلوية التي تُعرض في أعلى الشاشة أو فوق المقعد في المسارح وصالات الأوبرا على سبيل المثال حيث لا مجال لعرضها بطريقة أخرى. كما هناك الوصف الصوتي الذي يقدم وصفاً للأحداث والتعبير والحركات للمشاهدين الذين يعانون من ضعف البصر، وقد اعتمدته قنوات عالمية كقناة ARTE وقناة ZDF منذ عام 1993 وبعض المحطات البريطانية منذ العام 2010 تطبيقاً لقانون يفرض إتاحة المحتوى السمعي البصري لذوي الإعاقة البصرية بنسبة 10% من البرامج المعروضة.

¹ لن نتناول الدبلجة في هذه الدراسة، فهي تحتاج بحثاً مستقلاً وموسعاً للتمكن من جميع جوانبها ومشكلاتها المتشعبة والكثيرة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ويبقى الشكلان الأساسيان والأكثر انتشاراً للترجمة السمعية هما السبّلة والدبلجة، في حين أن الأشكال الأخرى نادرة الاستعمال ومحصورة في حالات خاصة لا تنطبق على الغالبية العظمى من المشاهدين. وقد تباينت استعمالات خدمات هذين النوعين من الترجمة في البلدان الأوروبية بحسب الثقافات والتقنيات المتاحة، حيث نجد الدبلجة أكثر استعمالاً في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا، على حين تنتشر السبّلة في البلدان الإسكندنافية وفنلندا واليونان وهولندا والبرتغال وغيرها.

بين السبّلة والدبلجة

ويبقى السؤال الكبير أيضاً أيهما أفضل؟ السبّلة أم الدبلجة؟ ثمة تباين في الآراء، فقد بينت التقارير أن بعض المشاهدين يفضلون الدبلجة لأنها تتيح لهم متابعة العمل السينمائي أو التلفزيوني بصورة أفضل والتركيز على الأحداث والصورة دون عناء القراءة التي يفرضها وجود الكتابة المشوشة أو "الملوثة" للصورة كما يرون. أما البعض الآخر فيفضل السبّلة لسبب أساسي، وهو رغبتهم في سماع الأصوات الحقيقية للممثلين، خصوصاً لأنّ الأصوات التي تحل محلها تكون في بعض الأحيان دون المستوى من حيث الأداء وتناسب الصوت مع الشخصية وغير ذلك. يلخص الجدول التالي حسّنات وسيئات كل من الطريقتين بحسب الدراسات التي أجريت في ميدان المقارنة بينهما¹.

السبّلة - تعريف

تُعرّف السبّلة بأنها ترجمة مكثفة، وأحياناً مختصرة، لكلام الممثلين في الأعمال الدرامية أو كلام الراوي في الأعمال الوثائقية، يجري عرضها على الشاشة بالتزامن مع الصوت والمعلومات المرئية وذلك في سطر أو سطرين في أسفل الشاشة.

¹ أنظر زوي بوتي Zoë Petit، السبّلة والدبلجة: نوعان مختلفان Subtitling and Dubbing, different genres، مجلة ميتا Meta، 2004.

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

السبتلة	الدبلجة
رخصة نسبياً	مكّفة كثيراً
لا تحتاج إلى قدرات بشرية ومادية كبيرة	تحتاج إلى طاقم عمل كبير وطاقات بشرية ومادية كبيرة
تحافظ على الأصوات الأصلية	تخفي الأصوات الأصلية
سريعة إلى حد ما	تتطلب وقتاً طويلاً
تساعد على تعلم اللغات	تعتمد الثقافة المحلية
تناسب ضعاف السمع	تناسب ذوي الثقافة الضعيفة
تشوش الصورة الأصلية	تحافظ على الصورة الأصلية
لا تسمح بتداخل الحوار	تسمح بتداخل الحوار
محدودة بالمساحة والزمن	محدودة بتطابق الشفاه
قراءتها تقلل من التركيز على الصورة	لا شيء يشغل الانتباه عن الصورة

وكما أشرنا آنفاً، يجري التمييز عادة بين نوعين منها بحسب لغات العمل: أحادية اللغة وثنائية اللغة. فالأحادية (Intralingual subtitling) هي كتابة على الشاشة باللغة ذاتها هدفها عموماً تسهيل فهم الحديث عندما يكون في سياق صعب، كتوضيح اللهجات المحلية ومساعدة ذوي الإعاقة السمعية، ووصف بعض الأصوات غير الكلامية. أما الثنائية اللغوية (Interlingual subtitling) فهي ترجمة الكلام المسموع على الشاشة إلى لغة ثانية (عادة إلى لغة واحدة وأحياناً إلى عدة لغات وذلك مع حلول العصر الرقمي والتقانات المتطورة). والنوع الثاني هو الذي يشكل الغالبية العظمى من الإنتاج العالمي في هذا الميدان.

خصوصيات السبتلة

تختلف السبتلة عن الترجمة الكتابية، أو التحريرية، في عدة جوانب. ومن خاض في هذا المضمار يعرف أننا لا نترجم للشاشة كما نترجم للطباعة على الورق. ويرى محمد يحيى جمال (2006) أن ترجمة الأفلام تختلف عن الترجمة التحريرية من حيث أنها تخضع لنظام ومعايير مختلفة عن الترجمة التحريرية (...). وأنها يجب أن تكون شفافة بمعنى أن تكون

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

موجزة ومعبرة وكذلك واضحة للقراءة ولمتابعة الفيلم¹. كما يرى أنها تتصف بمجموعة من الصفات يمكن تلخيصها في أنها:

1. تختلف عن التحريرية من حيث الوسيلة فهي تقرأ على شاشة.
2. تتعامل مع لغة منطوقة و تحول الترجمة الي لغة مكتوبة.
3. تستدعي نوعاً من "الشطارة" في الإيجاز... في سطرين اثنين.
4. تتطلب إدراكاً عميقاً لماهية المادة السينمائية ومستوياتها السميائية.
5. تتطلب مستوى عالياً في فهم وإدراك الترجمة من اللغة العامية!!!²

ويؤكد جمال في هذا السياق أن مهارة وضع معلومات بصورة مُشوّقة وتقديمها في صورة رقمية غدت من المهارات الأساسية التي يجب أن يتقنها المترجم.

وكما يقول هشام فهمي (الدستور الأسبوعي، 2007) إنها تختلف عن الترجمة التحريرية في كون "المترجم هنا يحقُّ له اتباع أساليب قد يراها البعض غريبة، مثل التبسيط والاختزال أو الحذف، فترجمة الأفلام ليس الغرض منها أن تكون دقيقة وكاملة، حيث إنها بالأساس تصاحب الكلام المنطوق. ومن البديهي أن الإنسان يتكلم بسرعة تفوق سرعة القراءة، والمناظر تتغير بسرعة، وهناك حوار بين أكثر من شخص - فضلاً على المؤثرات السمعية - وأهم من كل هذا أنه لا يوجد متسع على الشاشة لوضع الترجمة كاملة. وهي لا بد وأن تقتصر على سطرين فقط، فالمشاهد يريد التفرُّج على الفيلم وليس قراءته"³.

لا نترجم إذن الأفلام التي تعرض على الشاشة كما نترجم نصّاً يطبع على الورق في كتاب أو في مجلة، سواء أكان المحتوى حواراً بين شخصيات في رواية أو مسرحية، أو سرداً

¹ انظر محمد يحيى جمال، "لا سينما عالمية دون ترجمة عالمية"، مجلة وجهات نظر، كانون الأول/ديسمبر 2006. تتناول المقالة الترجمة المرئية (كما يسميها جمال) وعلاقتها بمهرجانات السينما، وتأخذ فيلم "عمارة يعقوبيان" مثلاً على هذه العلاقة الهامة.

² المرجع نفسه.

³ هشام فهمي، "عن ترجمات الإنترنت المضحكة المبكية"، الدستور الأسبوعي، عدد آب/أغسطس 2007.

..... الترجمة على الشاشة (السبئلة) ضوابط وأخطاء

وثائقياً لموضوع من المواضيع أو غيره. فالقراءة من الورق تتيج للقارئ مجالاً في الحركة في المكان وفي المساحة التي يظهر فيها النص المطبوع. والقراءة من الورق تتيج أيضاً المهلة في الزمن وتلاؤماً مع سرعة قراءة النص تتغير بتغير القارئ. فهناك قارئ سريع وقارئ تعيقه أمور شتى ترغمه على القراءة البطيئة.

أما في القراءة على الشاشة، فتظهر قيود كثيرة تؤثر في عملية القراءة وسرعتها. وهي تتطلب من منفذ السبئلة الالتزام بمجموعة من القواعد التي حددت عالمياً لتحقيق العرض الأمثل الذي يوفر للمشاهد كافة الشروط اللازمة للحصول على ترجمة مثلى. وأهم هذه القيود تتعلق بجوانب مكانية وزمنية.

القيود المكانية

فمن حيث الحيز والمساحة المخصصة للترجمة على الشاشة، يجب أن تظهر الكتابة في سطر واحد أو سطرين حداً أقصى، وفي حدود الأربعين حرفاً للسطر الواحد، أي ما يعادل ست أو سبع كلمات في أحسن الأحوال في السطر الواحد، وأربع عشرة كلمة في السطرين. وهذا يتطلب بالدرجة الأولى القدرة على الاختصار في التعبير، ومن ثم تقطيع الجمل الطويلة إلى مقاطع متماسكة ومتكاملة وواضحة من حيث المعنى، وسليمة ومقبولة من حيث اللغة.

القيود الزمنية

أما من حيث الزمن، أي زمن العرض على الشاشة، الذي يجب ألا يقل عن الثانية الواحدة ولا يزيد عن ست ثوان حداً أقصى، فثمة قيود أيضاً على المترجم أن يتقيد بها ومنها مراعاة المدة اللازمة لقراءة الجملة التي يعرضها على الشاشة، فلا تكون قصيرة جداً تعيق القراءة، ولا تكون طويلة جداً تسبب القراءة مرة ثانية، وهذا ما يحدث كثيراً بصورة عفوية وفقاً للدراسات التي أجريت في هذا المجال. لا بد إذن من التكيف مع التواتر السريع أو البطيء للحديث على الشاشة وتوفير المعلومة اللازمة والكافية لتمكين المشاهد من متابعة العمل.

المعايير والقواعد الدولية للسببلة الجيدة

ما هي معايير الجودة التي يمكن اعتمادها في وضع تمر فيه على الشاشة رسالة قصيرة مروراً مؤقتاً وسريعاً ؟

تتعلق معايير وقواعد الترجمة على الشاشة المعتمدة عالمياً من مجموعة دراسات في سلوك النظر إلى الشاشة وحركة العينين والإدراك وطريقة تفاعل الدماغ مع عدة أشكال للمعلومة، الصورة والصوت والكتابة والمؤثرات وغيرها.

نستعرض فيما يلي الضوابط الأساسية المعتمدة عالمياً في ميدان ضبط الجودة في السببلة والتي تهدف إلى تحديد قواعد عامة توفر متابعة أفضل لمحتوى الوثيقة السمعية، عن طريق تسهيل القراءة والفهم للنص الظاهر على الشاشة. كما تهدف إلى الحصول على ترجمة جيدة تحقق الحدود الدنيا من الجودة المطلوبة لتوفير الراحة لدى المشاهد، وتجنب التعب الذي قد يعاني منه عند مشاهدة العمل، مع المحافظة في الوقت ذاته على سلامة اللغة ودقة المعاني التي تتضمنها الرسالة المراد إيصالها دون زيادة أو نقصان¹.

الشكل والتنسيق

الموقع الأفقي على الشاشة

تتوسط السطور الشاشة أفقياً لأن معظم المشاهد تجري في منتصف الشاشة، ومن ثم تكون المسافة أقرب لبلوغ الترجمة ولا تضطر عين المشاهد إلى عبور مسافات طويلة للوصول إليها. يستثنى من ذلك حالة الحوار القصير الذي يظهر على شكل سطرين يبدأ كل منهما

¹ جرى تجميع هذه المعايير وتنسيقها من مصادر متنوعة ومن الخبرة الشخصية في هذا الميدان. أنظر إيف غامبييه، الترجمة السمعية *La Traduction audiovisuelle*، 2004، و"جودة السببلة" *La Qualité du sous-titrage*، =، 1999. انظر أيضاً جان مارك لافور وأدريانا سيربان، الترجمة السمعية، مقارنة متعددة الجوانب، *La Traduction audiovisuelle, Approche interdisciplinaire*.

..... الترجمة على الشاشة (السبئلة) ضوابط وأخطاء

بشركة، والذي يجب ترتيبه إلى اليسار أو إلى اليمين بحسب اتجاه الكتابة في اللغة المستعملة.

الموقع العمودي على الشاشة

يجب أن تظهر السبائل في القسم السفلي من الشاشة، أي في المنطقة التي تظهر عليها المعلومات الأقل أهمية من الصورة. وقد حُدِّدت لذلك المنطقة الواقعة عند جزء 12/1 من ارتفاع الشاشة من الأسفل. كما أوصيَ بترك مسافات أفقياً من الجانبين بمقدار 12/1 أيضاً من كل جهة¹.

غير أنه يُسمح برفع الكتابة إلى مناطق أعلى في الشاشة عند الضرورة وذلك عند ظهور جمل مكتوبة مهمة من أصل الصورة، كصفة المتحدث أو اسمه أو أي معلومة أخرى لا بدّ للمشاهد من قراءتها.



الشكل 1 رفع الخط لإظهار عناصر أخرى

عدد الحروف (أو المحارف)² في السطر

يتعلق عدد المحارف (ومنها محرف المسافة الفاصلة بين كلمتين) بأبعاد الشاشة التي يُعرض عليها الفيلم، لكنه حُدِّد بصورة عامة بأربعين حرفاً حداً أقصى. لأن الزيادة تُحتَمّ تصغير الخط المستعمل وتؤدي إلى صعوبة أكبر في القراءة.

¹ لا تنطبق هذه القواعد على اللغات التي تكتب عمودياً كالـيابانية، حيث توضع الكتابة في عمود على يمين الشاشة.

² المحرف في الحاسوب يدل على أي رمز يجري إدخاله من لوحة المفاتيح أو إظهاره على الشاشة أو طباعته على الطابعة، والمحارف تشمل الحروف الأبجدية والأرقام وكافة الرموز الأخرى كالنقطة والفاصلة والمسافة وغيرها.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

عدد السطور

تعرض السبائل في سطر أو في سطرين حداً أقصى. ويجب عدم تجاوز 12/2 من ارتفاع الشاشة. وعند كتابة سطر واحد يجب أن يظهر حتماً في الحيز الأدنى لإفساح المجال الأكبر لرؤية الصورة. ذلك أن القسم السفلي من الشاشة نادراً ما يحتوي العناصر المهمة من الصورة، فهي تكون عادة في وسط الشاشة.

نوع الخط (البنط)

يجب استعمال الخط الخالي من الزوايا أو التزيين (Sans Serif) فالتزيين يجعل الشكل أكثر تعقيداً وتصبح القراءة متعبة للعين والدماع. ويعتبر البنط Calibri والبنط Arial مناسبين للغات الأجنبية، والبنط Traditional Arabic والبنط Majalla مناسبين للغة العربية. وتستعمل الخطوط ذات الأطوال النسبية بدلاً من الخطوط ذات الطول الواحد لأنها تأخذ حيزاً أقل، وذلك لتوفير المساحة اللازمة لإظهار أربعين حرفاً في سطر واحد.

في الجدول الآتي تمثيل لهذه الخطوط.

This is a sample	الخط المزين ذو الزوايا
This is a sample	الخط الخالي من التزيين والزوايا
Fixed length font	الخط ذو الطول الثابت Fixed
Proportional length font	الخط ذو الأطوال النسبية Proportional
This is Calibri font	البنط Calibri
This is Arial font	البنط Arial
هذا مثال على البنط "تقليدي"	البنط Traditional Arabic للغة العربية
هذا مثال على البنط "مجلة"	البنط Majalla للغة العربية

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

لون الخط والخلفية

يفضل استعمال اللون الأبيض غير اللامع لأن اللامع يسبب التعب والإرهاق للعين، على أن يكون محاطاً بحدود سوداء كي يبقى مقروءاً عندما تكون الصورة خلفه بيضاء كمنظر الثلج والثلج الأبيض وما شابه.

This is a sample of outline font	الخط الأبيض ذو الحدود الخارجية
الخط الأبيض ذو الحدود الخارجية	

الزمن والتوقيت

خُصّصت الدراسات التي أجريت على آلية عمل العين والدماغ وسلوكهما في أثناء مشاهدة الأعمال السمعية إلى مجموعة من القياسات والضوابط فيما يخص الزمن وتوقيت الإظهار والاختفاء بحيث توفر قراءة سهلة ومريحة للترجمة دون إرهاق أو تعب.

مدة الإظهار القصوى لسطرين مملوئين

إذا كان النص متوسط الصعوبة وموجهاً لشريحة من المشاهدين ذات مستوى اجتماعي وثقافي متوسط وضمن فئة عمرية بين 14 و65 سنة، فإن معدل سرعة القراءة يتفاوت بين 150 و180 كلمة/دقيقة، أي ما يعادل 2.5 إلى 3 كلمات/ثانية. يضاف إلى ذلك حاجة الدماغ لاتخاذ القرار والبدء بالقراءة وتقدير ربع أو نصف ثانية. بناء على ذلك تحسب المدة المتعلقة بالإظهار بصورة عامة. وعليه، تُقدّر مدة إظهار سطرين مملوئين على الشاشة من 12 إلى 14 كلمة بـ 5.5 إلى 6 ثانية¹. ويجب عدم تجاوز هذه المدة كي لا نتسبب في إعادة القراءة التلقائية، وهي ظاهرة لوحظت في التجارب التي أجريت على مشاهدين متطوعين حيث باشر

¹ تجدر الإشارة إلى أنه في حالة البرامج الموجهة للأطفال (من 6 إلى 14 سنة) الذين تتفاوت سرعة القراءة لديهم بين 90 و120 كلمة/دقيقة، لا بد من تكثيف مدة الإظهار مع سرعتهم، علماً أنه يجري اللجوء غالباً بالنسبة لهذه الشريحة العمرية إلى الدبلجة بدلاً من السبتلة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

البعض بقراءة الترجمة مرة ثانية دون الانتباه إلى ذلك عندما استمر إظهارها أكثر من الزمن اللازم.

وفي جميع الأحوال لا بدّ أن تتكيف مدة الإظهار مع تتابع مرور الأحداث ومع سرعة الكلام في الفيلم، فإذا كان تتابع الأحداث سريعاً يتخلله الكثير من الكلام، يمكن تقليص المدة قليلاً كي تواكب سرعة الكلام. أما إذا كان الحديث بطيئاً لا يحتوي الكثير من الكلام، فيمكن زيادة هذه المدة وذلك بنسبة لا تتجاوز الـ 10 بالمئة.

مدة الإظهار القصوى لسطر واحد

تحسب مدة الإظهار لسطر واحد من 7 إلى 8 كلمات بالطريقة ذاتها فتعطي 3 ثوان. ولكن يفضل أن تمتد إلى 3.5 ثانية وذلك بسبب أحد العوامل النفسية، فظهور سطر واحد يسبب ارتياحاً قَبَلِيّاً وكسلاً نسبياً يجعلان القراءة أقل سرعة. أما ظهور سطرين في السبيل فيحفز الدماغ فيأخذ قراراً بتسريع عملية القراءة. وفي جميع الأحوال يجب ألا تتجاوز المدة المخصصة للسطر الواحد 3.5 ثانية لكي لا تسبب إعادة القراءة التي ذكرت آنفاً.

توقيت الإظهار

لا يتزامن الإظهار مع بدء الكلام، وهذا خطأ شائع، بل يؤخّر مقدار ربع ثانية، وذلك لأن الظهور الآني للكتابة مع بدء سماع الصوت يفاجئ العين ويشوش الدماغ الذي عليه أن يعمل على معالجة الصوت المسموع والنص المكتوب في وقت واحد. أما مهلة الربع ثانية فتفسح المجال لأخذ القرار في القراءة وتوجيه العين إلى مكان ظهور الكتابة والبدء بالقراءة الفعلية.

توقيت الاختفاء

لا يحبذ أن تبقى الكتابة على الشاشة أكثر من ثانيتين بعد انتهاء الكلام، حتى لو كان بعده صمت، لأنه يفترض في التوقيت المطابقة التامة أي أن تظهر الترجمة مع بدء الكلام وتختفي مع انتهائه، إضافة إلى أن الإظهار الطويل يعطي إحساساً بعدم الثقة بالترجمة لدى المشاهد الذي يشعر أن ما يقرأه غير الذي قيل.

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

الزمن الفاصل بين إظهارين

يوضع ربع ثانية على الأقل بين إظهارين لتمييز الجزء المختفي من الكلام كوحدة لغوية مستقلة ومنفصلة عن الجزء الذي يأتي بعده كوحدة لغوية أخرى، ولأن الإظهار المتتالي دون أي فاصل زمني يشوش الدماغ ويسبب صعوبة للعين في الانتباه إلى أن النص قد تغير، خاصة عندما يكون طول السبتل السابق مساوياً لطول السبتل اللاحق مع العدد ذاته من الأسطر.

اللقطات وتغيير الصورة

تتطلب المدرسة الفرنسية أن يختفي السبتل قبل تغيير الإطار أي عندما يجري الانتقال إلى كاميرا أخرى عند التصوير لعرض منظور آخر. لكن ذلك صعب التحقيق عندما يكون الكلام الصادر عن شخصية واحدة مستمراً وتنتقل الكاميرا إلى تصوير شخصية أخرى للتعبير عن رد فعل الآخر مثلاً، وذلك لأن تغيير وضع التصوير (لقطة بعيدة، قريبة، حركة الكاميرا وتغيير الزوايا) لا يؤثر في الترجمة ما دام الموضوع لم يتغير. لذلك جرت العادة بالترام إخفاء السبتل قبل تغيير المشهد وليس اللقطة، أي عند الانتقال إلى مشهد مختلف عن المشهد الأول حيث يتغير الموضوع أو الشخصيات أو مكان الأحداث.

علامات الترقيم

تُعتمد في استعمال علامات الترقيم القواعد ذاتها تقريباً المستعملة في النصوص المطبوعة، مع الإشارة إلى ضرورة التقليل منها قدر الإمكان. وهذه قائمة تبين الاستعمال المعتمد لها بحسب المعايير الدولية.

"...": في نهاية الجملة ودون فراغ قبلها، تستعمل عندما لا تكتمل الجملة، لتحضير العين والدماغ للبقية القادمة من الكلام.

"...": في بداية الجملة بدون فراغ بعدها، تؤكد أن السبتل الظاهر يحتوي تنمة الجملة التي ظهرت في السبتل السابق. فهي بذلك تهئي وتُعلم بوصول تنمة الجملة. لكن استعمالها

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

هنا أصبح نادراً حيث يُكتفى بإظهارها في نهاية السبيل السابق.

" : مع نهاية الجملة التي تُعرض على عدة مراحل لكي تُعلم بانتهاء الجملة وتترك المجال لمتابعة الفيلم. ولا لزوم لاستعمالها إذا احتوى السبيل جملة واحدة، لأن انتهاء السبيل هو بمثابة انتهاء الجملة إن لم توضع في نهايته نقاط ثلاث.

"_ : مع فراغ بعدها، تدل على الحوار عندما تعرض جملتان من شخصيتين مختلفتين في آن واحد، كالسؤال وجوابه.

"! "؟" : دون مسافة قبلها في العربية والإنكليزية، مع مسافة في الفرنسية، واستعمالاتها معروفة، ولكن يوصى بعدم الإكثار منها (؟؟!!... مثلاً).

" () " : استعمالها نادر في اللغات الأجنبية ، لكنه ضروري في اللغة العربية للدلالة على أسماء الأعلام كالأشخاص والبلدان وأسماء الشركات وغيرها التي قد تسبب لبساً وقراءة مغلوطة في العربية إذا لم تظهر بين قوسين. فالأسماء Jean و Matt مثلاً قد تُقرأ "جان" و "مات". وجملة "Matt is here" قد تُقرأ "مات هنا" إن كتبت دون أقواس، وتُقرأ بصورة صحيحة إن كتبت هكذا : "مات) هنا".

" [] " : نادرة الاستعمال بسبب ضيق المكان، ولكنها قد تستعمل للتفسير الإضافي عند الضرورة.

" " " " : الهالين يستخدمان لاقتباس كلام شخص آخر أو التعبير عن أن المتحدث ينقل كلام غيره.

" , " : " ; " : الفاصلة والنقطتان والفاصلة المنقوطة، استعمالاتها مشابهة للنصوص المطبوعة لكن ينصح بالتقليل منها قدر الإمكان للاختصار.

الخط المائل: للتعبير عن حديث الغائب عن المشهد واللغات الأجنبية والحديث في الطرف الآخر من الهاتف والكلام الإذاعي الموجه لعدد كبير من الناس كالراديو والتلفزة وفي ملعب كرة القدم. وقد تستعمل في الأغاني أو المقاطع المغناة.

الحروف الصغيرة والكبيرة (Capitals): في اللغة العربية غير موجودة أما في اللغات الأجنبية

..... الترجمة على الشاشة (السبئلة) ضوابط وأخطاء

فقواعد كتابتها معروفة.

الحرف السميك والمسطر: لا يستعملان.

المعايير اللغوية

يحتل الجانب اللغوي مكانة رئيسية في جودة الترجمة، فاللغة تشكل المادة الأولية التي يجري التعامل معها في أثناء عملية الترجمة وفي ناتج هذه العملية الذي يعرض على الشاشة. فإن كانت ضعيفة فيها عدد كبير من الثغرات، أصبحت قراءة الترجمة أكثر إرباكاً للمشاهد وباتت متابعة العمل التلفزيوني أو السينمائي أكثر صعوبة.

ذلك أن المبدأ الأول في الترجمة على الشاشة هو أن وجودها دخیل على المادة الفلمية ويشكل في حد ذاته تشويشاً لمحتوى الصورة المعروضة، ويشغل حيزاً من انتباه المشاهد على حساب عناصر مرئية أخرى قد تكون مهمة ومفيدة¹. وهذا هو السبب الذي يجعل البعض يفضلون الدبلجة على السبئلة فيرون فيها رؤية أكثر شمولاً وتفاصيل أكثر دقة. من هنا، وُضِعت مجموعة من القواعد التي يتعين مراعاتها، والسبيل التي يجدر سلوكها للارتقاء بالنتيجة إلى مستوى أعلى يحافظ على المعاني ويوفر لغة سليمة ومتابعة أفضل لدى المشاهد، ومن ثم يقلل من التشويش الذي يدخل على الصورة فيعيق الفهم والمتابعة.

سطر واحد أو اثنان

من الناحية اللغوية، يعتبر السطر الواحد أكثر اقتراباً من التعبير عن جملة واحدة متماسكة ومكتملة. لكن عندما يصبح هذا السطر طويلاً جداً، يُنصح بتوزيع الكلمات على سطرين اثنين لأسباب نفسية، فالعين والدماغ يُستفَران أكثر عند رؤية السطرين، ولذا تكون سرعة القراءة

¹ أثبتت الدراسات التي أجريت على بعض الأشخاص أنهم، عند مشاهدة عمل ما بشكلين، الأول مترجم والثاني دون ترجمة، يتعرفون عدداً أكبر من التفاصيل التي تمر في الصورة عندما لا يضطرون لقراءة الكتابة المعروضة على الشاشة سواء كانت ترجمة بلغة ثانية أو كتابة للكلام المسموع باللغة ذاتها. فقد سئلوا عن أغراض موجودة في المشهد وتعابير ظهرت على وجوه الممثلين وغير ذلك، فكانت إجاباتهم أكثر دقة في حال عدم وجود ما يشوش الصورة من كتابة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

أكبر والعملية في مجملها أقل احتجازاً لانتباه المُشاهد الذي تتاح له بذلك فرصة أكبر للتركيز على العناصر المرئية الأخرى في الصورة.

مستوى التقطيع إلى سطرين

يجب أن يتم قطع الجملة إلى سطرين عند حدود الكتل النحوية. والقاعدة أنه يستحسن الارتفاع إلى أعلى مستوى في التقطيع لإبصال الفكرة بصورة مريحة وواضحة.

في المثال الآتي، تنقسم الجملة الإنكليزية التالية:

The application of the rule was incorrect.

إلى قسمين: كتلة الفاعل (The application of the rule) المؤلفة من المضاف والمضاف إليه، وكتلة الفعل (was incorrect) المؤلفة من الفعل والصفة. ومن ثم لا يمكن أن تقطع هذه الجملة إلى سطرين في كل من الحالات التالية:

• بين المضاف والمضاف إليه

The application
of the rule was incorrect

• بين "أل التعريف" والاسم المعرف

The application of the
rule was incorrect

• بين فعل الكون والصفة المرتبطة به

The application of the rule was
incorrect

والطريقة الوحيدة الصحيحة في القطع إلى سطرين هي على المستوى الأعلى فقط، أي بين كتلة الفاعل وكتلة الفعل، على النحو الآتي:

The application of the rule
was incorrect

..... الترجمة على الشاشة (السبئلة) ضوابط وأخطاء

وذلك رغم تعارضها مع التوصيات الخاصة بالشكل الهندسي التي تنص على تفضيل الشكل الهرمي، وتطبيقاً لقاعدة أفضلية المعيار اللغوي على معيار الشكل عند الاضطرار إلى الاختيار بين الاثنين.

هذا مثال باللغة العربية:

تشهد الجمهورية العربية السورية طقساً حاراً جداً.

تتألف هذه الجملة من ثلاث كتل نحوية. الأولى مؤلفة من الفعل ("تشهد") والثانية من الفاعل وصفاته ("الجمهورية العربية السورية") والثالثة من المفعول به والصفات الملحقة ("طقساً حاراً جداً"). وعليه، لأن المعايير اللغوية تفرض القطع عند الحدود بين الكتل وليس في مكان آخر، يمكن القطع بين الكتلة الأولى والكتلة الثانية أو بين الثانية والثالثة. ولكن الكتلة الأولى تضم كلمة واحدة، مما يؤدي - إذا جرى القطع عندها - إلى سطر مؤلف من كلمة واحدة (أربعة محارف) وسطر من سبع كلمات (39 حرفاً)، على النحو التالي:

تشهد الجمهورية العربية السورية طقساً حاراً جداً

ولذا يبقى الاحتمال الثاني هو الوحيد المقبول، وأي شكل آخر مرفوض.

تشهد الجمهورية العربية السورية طقساً حاراً جداً

ذلك أنه كلما ارتفعنا في مستوى التقطيع كانت القراءة أسهل، وتجميع أجزاء المعنى التي تؤلف كتلة واحدة كل منها في سطر واحد يوفر سهولة القراءة والفهم من المرة الأولى، لأن كل جزء من المعلومة يصل عندئذ إلى الدماغ أكثر اكتمالاً بانتظار أن تتراكم الأجزاء المتنوعة لتعطي الفكرة الكاملة. وعندما لا تراعى هذه القاعدة يضطر الدماغ إلى إيقاف المعالجة اللغوية مع انتهاء السطر الأول، ثم انتظار وصول العين إلى الجزء التالي في السطر

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الثاني ليكتمل المعنى، وهذا ما يسبب عبثاً إضافياً لا مبرر له.

التقطيع وطول الأسطر

عند وجود سطرين في إظهار واحد، يفضل أن يكون طولهما متقارباً، فالشكل المستطيل أكثر راحة للنظر، ذلك أن العين البشرية معتادة رؤية النصوص المقدمة بأشكال مربعة أو مستطيلة، كأعمدة الصحف والمجلات وصفحات الكتب وغيرها. تقبل المعايير الدولية أيضاً الشكل الهرمي، أي عندما يكون السطر الأعلى قصيراً والسطر الأدنى أكثر طولاً، ويحبذ بعضهم هذا الشكل لأنه يفسح المجال أمام رؤية حيز أكبر من الصورة في المناطق الأكثر أهمية التي تعلق على السطر الثاني وقد تأتي على مستوى السطر الأول.

لكن ذلك قد يتعارض مع معايير التقطيع اللغوية التي تفرض أماكن محددة يجب القطع عندها، لذلك يجب على المترجم أن يجد حلاً وسطاً بين قواعد النحو اللغوية والشكل الهندسي، على أن تكون الأفضلية لقواعد النحو إذا تعذر ذلك. فالجملة التالية:

لكنه طريق محفوف بالمخاطر وأنا لا أثق به

لا يمكن أن تظهر إلا على الشكل:

لكنه طريق محفوف بالمخاطر وأنا لا أثق به

وذلك لأنها تحتوي كتلتين متعاطفتين لا يمكن قطعهما بشكل آخر حتى لو كان ذلك على حساب الشكل الهندسي كما جرت الإشارة آنفاً.

أجزاء الكلام والإظهار على الشاشة

في الوضع المثالي يجب أن يكون كل مقطع كلامي في إظهار واحد على الشاشة، فالمُشاهد يتوقع تمثيلاً دقيقاً لأجزاء الكلام على الشاشة، بحيث تظهر الترجمة مع بداية الكلام وتنتهي عند أول وقفة وقبل البدء بالجزء الثاني من الكلام. وهكذا يفترض أن يكون عدد أجزاء الكلام

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

مساوياً لعدد الإظهارات على الشاشة، وهذا ما يدعونا إلى تجنب دمج عدة أجزاء من الكلام في إظهار واحد. يستثنى من ذلك الحالات التي تفرض فيها قيود الزمان والمكان شروطاً أخرى، كأن يكون الحديث سريعاً جداً أو يكون كلام متحدثين اثنين أو أكثر متداخلاً بحيث يبدأ أحدهما الكلام قبل أن ينهي الآخر جملته.

تعدد الجمل في السبتل الواحد

لا يحبذ أن يحتوي السبتل أو الإظهار الواحد أكثر من جملتين. ويجب أن تظهر الجملتان بناء على ما سبق في سطرين. فإذا كان المتحدث شخصاً واحداً توضع الجملتان إحداهما فوق الأخرى في الوسط وكل منهما في سطر. الجملتان التاليتان:

هيا انطلق. اتبعه ولا تدعه يغيب عن ناظريك.

يجب أن تظهرأ على النحو الآتي:

هيا انطلق
اتبعه ولا تدعه يغيب عن ناظريك

وذلك دون وضع النقطة في نهاية كل منهما، لأن الانتقال إلى السطر الثاني يعتبر فاصلاً بعد ذاته وانتهاء السبتل أيضاً يعتبر فاصلاً يعبر عن نهاية الجملة.

أما إذا كانت الجملتان صادرتين عن شخصين مختلفين فتوضعان بوضع المحاذاة الجانبية كما ذكرنا سابقاً (إلى اليسار في اللغات الأجنبية وإلى اليمين في اللغة العربية) مع استعمال الشرطة لكل متحدث. مثال:

- تكلم!
- لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع

تغيير البنية النحوية

يحتاج المترجم في غالب الأحيان إلى الاختصار بسبب ضيق المساحة المخصصة للسبتل،

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وهي كما ذكرنا سطران من أربعين حرفاً كل منهما. فإذا كانت الجملة الناتجة عن الترجمة تتجاوز هذه الحدود، اقتضى الأمر اللجوء إلى تغيير الصياغة للوصول إلى بنية موجزة تؤدي المعنى المطلوب على أقرب وجه. يظهر ذلك في المثال الآتي حيث يوفر الاختصار خمسة عشر حرفاً. فالجملة

يمكن أن يصدق ذلك الكثير من الناس (32 حرفاً)

يمكن أن تختصر على النحو الآتي:

كثيرون يصدقون ذلك (17 حرفاً)

ومن المعروف أن تغيير الصيغة التعبيرية يؤثر في الأسلوب دون المساس بالمعنى في معظم الأحيان. لكن يجدر الانتباه إلى أنه عندما يكون للأسلوب دلالة ما، كالتعبير عن شيء من الإيحاء أو بعض من الانطباع، لا بدّ من المحافظة عليه قدر الإمكان. في المثال التالي:

أود أن أطرح عليكم سؤالاً مهماً جداً بالنسبة للجميع (47 حرفاً)

هذه الجملة يمكن أن تصبح

لدي سؤال يهم الجميع كثيراً (25 حرفاً)

حيث جرى الاختصار عن طريق تحويل الكتلة التي تصف أهمية السؤال بالنسبة للجميع ("مهماً بالنسبة للجميع") إلى صيغة فعلية قصيرة ("يهم الجميع")، كما جرى حذف الجزء الخاص بأسلوب التودد ("في" "أود أن"). وفي السؤال عن إمكان حذف هذا الجزء أم لا، على المترجم أن ينظر إلى سياق الأحداث، فإذا كان لا يتطلب الحفاظ على فكرة التودد، كالحديث في مخاطبة عامة بين شخصين مثلاً، أمكن الاختصار المقترح آنفاً. أما إذا كان التودد ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه، في حال التعبير عن احترام المتحدث لمن يتوجه إليه بالسؤال مثلاً، كأن يخاطب صحفي وزيراً أو رئيساً أو شخصاً في موقف يفرض التعبير عن الاحترام، فيتعذر ذلك ويجب المحافظة على الأسلوب.

..... الترجمة على الشاشة (السبئلة) ضوابط وأخطاء

وئمة مجموعة من الوسائل التي تساعد على الاختصار بحيث تتسع الجملة في الحيز المخصص على الشاشة، وتقرأ في الزمن المخصص أيضاً، وتحقق توازناً بين صيانة المعنى الأساسي للجملة وطول هذه الجملة. الأمثلة الآتية تعرض جملاً طويلة وطرق اختصارها بأساليب عدة، مع التذكير بأن هذا الاختصار يكون مقبولاً فقط عندما لا تكون الصيغة الأولى حاملة لجزء مهم من الفكرة، وهي الحالة الأكثر احتمالاً. نورد بجانب كل جملة عدد المحارف التي تتكون منها.

المبني للمجهول يصبح معلوماً عند عدم وجود ضرورة حتمية له

لقد دُرست هذه القضية من قبل عدد كبير من المحللين (48)

درس محللون كثر هذه القضية (25)

تحويل صيغة النفي للإيجاب عند تساوي المعنيين

ثم ذهبنا إلى مكان لم نكن قد زرناه من قبل (40)

ثم ذهبنا إلى مكان جديد (22)

مثال آخر:

لا يمكن أن أقبل هذا الطلب (25)

أرفض هذا الطلب (14)

اختصار جملة في اسم أو حرف

سأنتقل إلى المنزل بعد أن تنتهي هذه الحصة (40)

سأنتقل إلى المنزل بعد الحصة (27)

عند التكرار والإطناب غير الضروري

ما أرغب فيه الآن هو قطعة من الحلوى (34)

أرغب في قطعة من الحلوى (22)

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

عدم تكرار جزء لا ضرورة له

أنا أكتب التقرير الأول وأنت تكتب التقرير الثاني (47)

أنا أكتب التقرير الأول وأنت تكتب الثاني (39)

عدم إطالة السؤال دونما فائدة

أريد أن أسألك فيما إذا كنت قادماً (33)

هل أنت قادم؟ (11)

عدم الإطالة بصيغة الأمر دون فائدة

أمرك بالذهاب فوراً (17)

اذهب فوراً (9)

يجدر التذكير مرة أخرى أنه يجري الابتعاد عن الاختصار والاحتفاظ بالصيغة الأطول عندما لا تكون ثمة حاجة لهذا الاختصار، أو عندما تكون الصياغة الأطول أكثر وضوحاً، أو عندما يكون الحديث بطيئاً، أو عند وجود دلالة لغوية أو ثقافية خاصة للعبارة بشكلها الأصلي، كما في حالة السخرية والتهكم والفأفة، ووجود معنى مشوّه أو مطوّل متعمد، والتوكيد الشديد وما شابه.

الاختصارات والرموز الخاصة

تساعد الاختصارات والرموز الخاصة على توفير المساحة، ويمكن استعمالها شريطة أن تكون شائعة ومعروفة، مثل كيلومتر = كم، كيلوغرام = كغ، ميل في الساعة = ميل/سا.

الأرقام والأعداد

تُكتب الأعداد الصغيرة بالكلمات (ست، سبع...)، وتُكتب بالأرقام إذا كانت كبيرة. ولكن لا تستعمل الأرقام إذا كانت الأعداد صحيحة وتتجاوز الأربعة مراتب: ألف أفضل من 1000. وعند الإشارة إلى أعداد مركبة يجري اتباع الصيغة التالية: 567890 تكتب 567 ألف و890.

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

الرموز

يسمح باستعمال الرموز الشائعة التي يمكن تعرّفها بسهولة: %، \$، +، =... ولكن يفضل تجنب بعض الرموز التي لا يمكن تعرّفها بسرعة والتي لم تنتشر انتشاراً واسعاً بعد: &، @...

المفردات المحرّمة Taboo

تختلف المحرّمات الدينية والأخلاقية من بلد إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى. في مجتمعنا العربي، ومع أنه ينصح بإبقائها كما هي عندما تكون لها ضرورة دلالية، يستحسن تحريفها أو تلطيفها واستبدالها بكلمات مقبولة اجتماعياً ما أمكن ذلك. فالشتائم على سبيل المثال تؤدي غالباً بعبارات مثل "تبا!" أو "سحقاً!" أو "اللعة!". وهذا موضوع هام وشائك يجب أن تخصص له دراسات وأبحاث مستقلة.

التعابير اللغوية ذات المدلول الثقافي الخاص

لا توجد للتعابير التي ترتبط بمدلول ثقافي محليّ أو زمني معايير دقيقة ومحددة، فالعبرة البريطانية "10 Downing Street" التي تدل على مقر رئاسة الوزراء البريطانية، تطرح مشكلة كبيرة ذات طابع ثقافي في الترجمة. وهناك خمسة احتمالات للترجمة:

• النقل الثقافي

كأن نستعمل "Matignon" في فرنسا مثلاً. ولا يوجد لها مقابل في البلدان العربية، لأنه من النادر أن تسمى المناطق التي توجد فيها مراكز حكومية بأسماء هذه المناطق.

• اعتماد العبارة كما هي وكتابتها باللغة العربية

(تن داوونينغ ستريت) وتوضع بين قوسين لأنها بلغة مختلفة وبمثابة اسم علم بحسب قواعد السبتلة.

• اعتماد العبارة مع الشرح

(تن داوونينغ ستريت) وهو مقر رئاسة الحكومة البريطانية، ولكن ذلك يولد سبتلاً طويلاً قد

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

لا يتناسب مع الحيز والزمن المخصصين له.

• النقل الحيادي

10 شارع (داونينغ)، على أن يكون الاسم ومدلوله معروفان لدى المشاهد العربي أيضاً.

• حذف العبارة الأصلية كلها وإعطاء المعنى

مقر رئاسة الحكومة. ولعله الاحتمال الأكثر واقعية وضمناً للفهم.

توجد حالات كثيرة مشابهة في اللغة العربية وفي ثقافتنا كالأسماء بعبداء (القصر الجمهوري في لبنان)، عين التينة، قريطم، 8 آذار، إلخ، التي لها مدلولات خاصة بثقافة معينة، وهي تشكل صعوبات كبرى يقع على عاتق المترجم معالجتها عند النقل إلى اللغات الأجنبية.

أكثر الأخطاء شيوعاً في السبلة العربية

من يراقب الأعمال المترجمة إلى العربية على الشاشات سواء الحكومية أو الخاصة أو ما يتداوله السوق من أقراص مدمجة، لا بد أن يلحظ عدداً كبيراً من الأخطاء التي تشوه الأفلام والأعمال المتنوعة. وقد لا ينتبه البعض إليها، لاسيما جيل اليافعين والشباب لأسباب عديدة لا يتسع المجال للتطرق إليها في هذا البحث، وأهمها التراجع الثقافي واللغوي.

نعرض في الأمثلة الآتية عدداً من نقاط الخلل التي تخالف المعايير الدولية والتي تسبب عدم ارتياح لدى المشاهد يؤدي إلى متابعة غير دقيقة للعمل الذي تجري مشاهدته، وذلك دون أن يعي سببه في غالب الأحيان.

الخطأ	المشكلة الناتجة	مثال في صورة
• نوع خط سيء وغير واضح	• قراءة متعبة	 لكن النانسة (سيبي) والنانسة (لورينا) والنانسة (باتريسيا) اتصلن عدة مرات

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

	• بنط كبير جداً • لا يسمح بإظهار جمل طويلة • قراءته متعبة	
	• بنط كبير جداً ومظلل • لا يسمح بإظهار جمل طويلة • قراءته متعبة • عدم مراعاة الجانب اللغوي • في التقطيع بين اسم الإشارة والاسم الذي يليه	• بنط كبير جداً ومظلل • ودون إطار • تقطيع سيئ
	• الحد الأقصى لطول الجملة • أربع كلمات • المخاطر المعروفة لاستعمال العامية	• بنط كبير جداً • استعمال العامية
	• لا يمكن قراءتها خاصة على الشاشات الصغيرة	• بنط صغير جداً

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

	• من الصعب تَعَرُّف الحروف الواقعة فوق اللون الأبيض	• الكتابة على خلفية بيضاء
	• من الصعب تعرف الحروف الواقعة فوق اللون الأبيض	• الكتابة على خلفية بيضاء - مثال آخر
	• تخالف قواعد اللغة العربية	• المحاذاة الخاطئة إلى اليسار
	• القطع بين الجار والمجرور مرفوض	• القطع الخاطئ بين السطرين

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

	• الإشكالات من علامات الترقيم	• يشوش النظر ويتعبه

دراسة حالة

من أهداف هذه الدراسة تحديد الجوانب التي تغلب فيها المشكلات والأخطاء التي تتعارض مع المعايير والقواعد المذكورة آنفاً. لذلك جرى اختيار أحد الأعمال المتلفزة عرضتها العربية السورية، وهو لقاء مع الباحث الأمريكي الدكتور القس ستيفن سايزر (Stephen Sizer) حول الصهيونية العالمية ومشاريعها الاستيطانية والتوسعية. تبلغ مدة اللقاء 42 دقيقة وقد تمت عمليات الترجمة والتسجيل في التلفزيون العربي السوري.

أظهرت الدراسة التحليلية لهذا العمل المترجم عدداً كبيراً من المشكلات المرتبطة بالسبتلة والكثير من الأخطاء المخالفة للمعايير المعمول بها عالمياً التي تضع الحدود الدنيا للجودة في هذا الميدان. نقدم في ما يلي الإحصائيات التي قمنا بحسابها على هذه الأخطاء مجمعة بحسب الشكل والزمن وعلامات الترقيم والمعايير الغوية.

الشكل والموقع على الشاشة

استخدم في هذا العمل نوع الخط العربي "أخبار" وهو مناسب للعرض على الشاشة، إلا أنه جاء كبيراً جداً (قياس 24) فكانت له مجموعة من المساوئ، حيث تعذر وضع أكثر من أربع أو خمس كلمات في السطر الواحد، ما كان له تأثير كبير في طول الجملة التي يمكن إظهارها فاضطر المنفذ إلى تقسيمها في عدة إظهارات مسبباً بذلك تقطيعاً سيئاً كما سنرى فيما بعد. إضافة إلى ذلك، جاء السبيل المكون من سطرين ليغطي أكثر من ثلث الشاشة بسبب ارتفاع

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

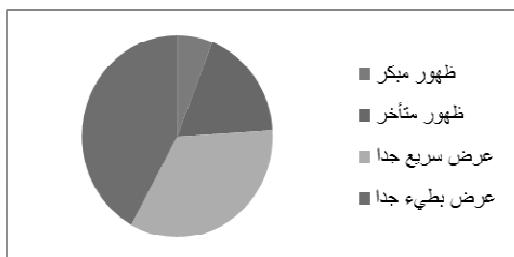
الحرف الناجم عن قياسه الكبير .



الزمن والتوقيت

سجلنا في هذا العمل عدداً قليلاً من حالات الإظهار المبكر والإظهار المتأخر، وعدداً لا بأس به من عدم تناسب مدة الإظهار مع المدة اللازمة للقراءة، سواء من حيث السرعة أو من حيث البطء. الجدول التالي يبين عدد هذه الحالات ومجموعها الكلي مرفقاً بتمثيل بياني لهذه الأعداد.

تحديد الزمن



3	ظهور مبكر
9	ظهور متأخر
17	عرض سريع جداً
21	عرض بطيء جداً
50	مجموع أخطاء الزمن

علامات الترقيم

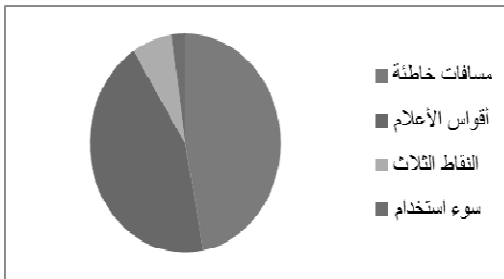
لا شك أن علامات الترقيم لها دور كبير في فهم العمل التلفزيوني أو السينمائي، وفي إزالة

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

التباسات كثيرة، لكنها إن أسيء استعمالها أو غابت الأقواس قد تشكل عائقاً أو عيباً إضافياً على المشاهد يحول دون تمكنه من متابعة الصورة على نحو مريح. وقد صنفنا الأخطاء التي ظهرت في أربع حالات هي المسافات الخاطئة (الزائدة أو الناقصة)، وغياب الأقواس التي تدل على أسماء الأعلام (وهي كثيرة جداً) وتعيق القراءة أحياناً، وعدم استعمال النقاط الثلاث للدلالة على وجود تنمة للجملة الظاهرة، مما يسبب تشويشاً إضافياً، وأخيراً مجموعة من الأخطاء المتنوعة كسوء استعمال علامات الاستفهام أو التعجب أو الاقتباس. الصورة التالية مثال على جملة فيها الكثير من أسماء الأشخاص دون وضعها بين قوسين.



والجدول الآتي والمخطط المرافق يبيّنان عدد هذه الأخطاء الكبير، حيث نرى أن أكثرها يتعلق بالمسافات الخاطئة والأقواس الخاصة بالأسماء.



الترقيم	
83	مسافات خاطئة
78	أقواس الأعلام
12	النقاط الثلاث
4	سوء استخدام
177	مجموع أخطاء الترقيم

اللغة والتقطيع

لاشك أن جودة تقديم الترجمة من الناحية اللغوية تؤثر كثيراً في فهم العمل الذي تجري مشاهدته ومتابعة الأحداث في الأعمال الدرامية ومتابعة الحديث في المقابلات والسرديات في الأفلام الوثائقية. ويعتبر التقطيع الصحيح للكلام في سبائل متماسكة ومتكاملة المعنى أهم القواعد المرتبطة بالجانب اللغوي. فلا بد أن تعرض السبائل جملاً كاملة المعنى غير مقطوعة أو ناقصة قدر الإمكان. كما أنه لا بد أن يجري القطع بين السطر الأول والسطر الثاني في الأمكنة المناسبة التي تحدد أجزاء المعنى العام وتتجنب الفصل بين الكلمات المترابطة بروابط نحوية قوية كالجار والمجرور، والاسم والصفة، والمضاف والمضاف إليه.

تمثل الصورة التالية خطأ مزدوجاً. فمن جهة ثمة قطع غير صحيح بين السطرين، وتحديدًا بين المضاف (جنوب) والمضاف إليه (إفريقيا)، وهذا ما جرد هاتين الكلمتين من صفة التكامل النحوي. ومن جهة أخرى جرى بتر آخر الجملة المعروضة (تحت وطأة...)، ما سبب تشويشاً للمشاهد الذي عليه أن ينتظر السبيل التالي للحصول على تنمة الجملة لغوياً وفهم الفكرة التي تحملها هذه الجملة.

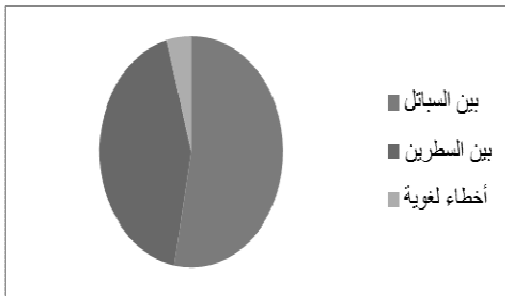


لقد بينت نتائج الإحصائيات التي أجريناها في هذا السياق عدداً كبيراً من حالات التقطيع السيئ، سواء كان ذلك بين السطرين (107 حالات) أو بين سُبُلَيْن (133 حالة). ولقد شكلت هذه الأخطاء في الواقع المشكلة الكبرى في ترجمة هذا العمل حيث يبدو أنه لم تؤخذ في

..... الترجمة على الشاشة (السبتلة) ضوابط وأخطاء

الحسبان أمور اللغة والنقطيع السليم، بل على العكس من ذلك، جرى إدخال النص بصورة شبه مستمرة يجري فيها الانتقال إلى السطر الثاني أو إلى السبتل التالي فقط عندما يمتلئ السطر أو السبتل الحالي. وفي النتيجة، أدى هذا إلى عدم ارتياح عام وتوتر نسبي في أثناء مشاهدة العمل.

المعايير اللغوية



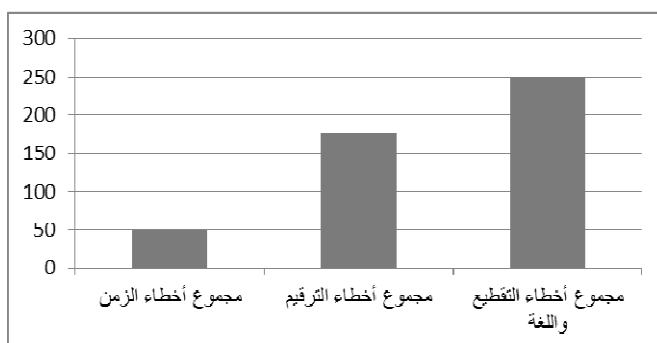
بين السبائل	133
بين السطرين	107
أخطاء لغوية	11
مجموع أخطاء النقطيع واللغة	251

النتائج العامة

في الخلاصة، جاءت المشكلات الأساسية (التزمين والترقيم والنقطيع) موزعة على النحو التالي:

50	مجموع أخطاء التزمين
177	مجموع أخطاء الترقيم
251	مجموع أخطاء النقطيع واللغة

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م



أي إن الجانب الأكثر ابتعاداً عن معايير الجودة هو الجانب اللغوي ومشكلات التقطيع في جمل متكاملة تؤدي معاني واضحة ومفهومة، تليه أخطاء المتعلقة باستعمال علامات الترقيم، وفي الدرجة الثالثة مشكلات الزمن والتوقيت. ولذا لا بد من أن نقوم، عند النظر في إعادة تأهيل المترجمين والنظر في رفع مستوى الترجمة، بالتركيز على هذه المشكلات بحسب ترتيب أهميتها الذي ذكرناه.

وإذا كان تأهيل المترجم ورفع مستواه من الأولويات الواجب تحقيقها في هذا المضمار، فلا بد أيضاً من العمل على تطوير التجهيزات والبرمجيات التي تشكل اليوم عونا كبيراً يساعد المترجم على اختصار الجهد والوقت على حد سواء. وهذه قائمة بأهم البرمجيات المتوفرة حالياً ومعظمها مجاني وسهل الاستعمال.

البرامج المتوفرة	استخداماتها
- Subtitle Workshop - Subtitle Edit - AEGISub	إنشاء الملفات النصية للترجمة التي تحتوي السبائل مع توقيت الظهور والاختفاء والمكان الذي تتخذ على الشاشة.
- VobSub - Virtual Dub - ConvertXtoDVD	تسجيل السبائل الموجودة في الملفات الناتجة عن البرامج الأولى على الفيديو، سواء بطريقة دائمة (تقنية الحرق على الفلم) أو بطريقة مؤقتة تسمح للمستعمل بتفعيل إظهار الترجمة أو إلغاؤه.

خاتمة

تشهد الترجمة السمعبصرية منذ بضعة عقود تطوراً سريعاً يواكب التغيرات الهائلة في تقانات المعلومات والاتصالات والوسائط المتعددة والقنوات الفضائية. وتتسم الترجمة على الشاشة (أو السبئلة) بقيود وضوابط خاصة تميزها عن الترجمة الورقية بسبب محدودية المكان والزمان على الشاشة، وصعوبات تحويل الكلام المنطوق إلى نص مكتوب، فنحن لا نقرأ بالسرعة ذاتها التي نتكلم فيها ولا نكتب كل ما يقال شفويّاً. لذلك وُضعت مجموعة من المعايير العالمية التي ترفع من جودة السبئلة وتحقق متابعة أفضل للعمل التلفزيوني أو السينمائي. وقد بينت دراسة الواقع الحالي مشكلات وأخطاء كثيرة تولد حاجة ماسة لرفع مستوى الترجمة في هذا النوع من الأعمال. ولا يتم ذلك إلا بتأهيل صحيح ومتكامل للمترجم السمعبصري يعرفه بمعايير الجودة العالمية كي يتمكن من الانطلاق في السوق العالمية ومجاراة ومنافسة الخبرات الأجنبية في هذا الميدان.

لقد عملت جامعة دمشق على تهيئة المؤسسة اللازمة لتأهيل المترجمين بوجه عام والمترجم الفوري والمترجم السمعبصري بوجه خاص، عن طريق إحداث المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية الذي يقوم منذ عام 2006 بتكوين الخبرات والأطر (الملاكات) المتميزة لرفد أسواق العمل المحلية والعربية والعالمية في هذه الميادين.

المراجع العربية¹

- سيب (ابراهيم)، إشكالية المترجمة في المجال السمعي البصري، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة تلمسان، 2014.
- شوارفية (فاطمة الزهراء)، عوائق الترجمة السينمائية: "عداء الطائرة الورقية" أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة وهران - السانبا، 2011.
- جمال (محمد يحيى)، لا سينما «عالمية» دون ترجمة «عالمية»، مجلة وجهات نظر، ديسمبر 2006.
- فهمي (هشام)، "عن ترجمات الإنترنت المضحكة المبكية"، مجلة الدستور الأسبوعي، عدد آب/أغسطس 2007.

المراجع الأجنبية

- Aubert (Jean-Paul) et Marti (Marc), Quelques réflexions sur la formation au sous-titrage, Université de Nice, Publication ARTE, http://lingalog.net/dokuwiki/_media/cours/sg/trad/methode.pdf.
- Cintas (Jorge Diaz), « Pour une classification des sous-titres à l'époque du numérique » in La Traduction audiovisuelle, Approche interdisciplinaire du sous-titrage, Bruxelles, Traducto de Boeck, 2008.
- Cornu (Jean-François), "Pratiques du sous-titrage en France des années 1930 à nos jours" in La Traduction audiovisuelle, Approche interdisciplinaire du sous-titrage, Bruxelles, De Boeck, 2008.
- Gambier (Yves), "Le profil du traducteur pour écrans", in : D. Gouadec (éd.) Formation des traducteurs. Actes du colloque international de Rennes, Paris, Maison du Dictionnaire, 1999.
- Gambier (Yves), "Qualité du sous-titrage : paramètres et implications", in : Traduction-Transition. Actes du 15ème Congrès mondial de la FIT, Mons 1999, Paris, FIT. 1999.
- Gambier (Yves), « La traduction audiovisuelle : un genre en expansion », in Meta : journal des traducteurs, Vol. 49, n° 1, Avril 2004, Publication en ligne URL : <http://id.erudit.org/iderudit/009015ar>.
- Gambier (Yves), Les Transferts linguistiques dans les médias audiovisuels, Paris, Presses Universitaires Septentrion, 1996.
- Ivarsson (Jan) & Carroll (Mary), Subtitling, Simrishman, TransEdit 1998.
- Lavaur (Jean-Marc) et Serban (Adriana), La Traduction audiovisuelle : Approche interdisciplinaire du sous-titrage, Bruxelles, De Boeck, 2008, Coll. Traducto.
- Le Nouvel, (Thierry), Le Doublage, Paris, Eyrolles, 2010, Coll. Ciné Métiers.
- Marleau (Lucien), « Les sous-titres... Un mal nécessaire », in Méta : Journal des traducteurs, Vol. 27, n° 3, Paris, 1982.
- Orero (Pilar), « Le format des sous-titres : les mille et une possibilités », in La traduction audiovisuelle, Approche interdisciplinaire du sous-titrage, Bruxelles, de Boeck, 2008.
- Petit (Zoë), « The Audio-Visual Text : Subtitling and Dubbing Different genres », in Meta, Volume 49, n° 1, Montréal, Presses de l'Université de Montréal, 2004.

¹ تفتقر المكتبة العربية للمؤلفات والمراجع التي تتناول هذا الموضوع، وجل ما يمكن الحصول عليه هو بعض الكتابات والمداخلات التي نجدها هنا وهناك على الشابكة (الإنترنت). وهي لا ترقى إلى مستوى الكتب أو المراجع العلمية أو العملية التي يمكن الاعتماد عليها في الأبحاث والدراسات اللغوية والترجمية. وهذا كان أحد الدوافع التي دعتنا إلى تقديم هذه الدراسة التي نأمل التوسع فيها لاحقاً لإغناء المكتبة العربية في هذا الميدان الناشئ والواعد.

نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي من أجل مجتمع معرفة نقدي وملتزم

أ. محمد الإدريسي

سيدي بنور – المملكة المغربية

أولاً: إطار مفهومي

1. حول الترجمة في العلوم الاجتماعية

الترجمة قديمة قدم الإنسان، وشكلت لحظة فارقة في تاريخ الإنسانية، في إطار الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة الحضارة، عبر محطات تاريخية بارزة بدءاً بالمرحلة اليونانية والاستفادة من الإرث المعرفي البابلي والفرعوني، مروراً بالمرحلة الإسلامية والانفتاح على المعارف اليونانية، إضافة المرحلة الأوربية الحديثة و"نقل" العلوم الإسلامية، وصولاً إلى المرحلة المعاصرة حيث سيعاود العالم العربي وباقي العالم الانفتاح على المعارف والعلوم الغربية عبر سيرورة مستمرة لحركة الترجمة. تُظهر الترجمة في العلوم الاجتماعية "تحويلاً" لتجربة علمية معيشة من أصل "غيري" إلى نص "غير غيري"، من خلال البحث عن المعنى في إطار جدلية الأصل والنص والعلمي واللساني.

وتقوم الترجمة في العلوم الاجتماعية على مجموعة من المبادئ يمكن توصيف أهمها كما

يلي:

أ. **المبدأ العلمي:** تعتمد الترجمة في العلوم الاجتماعية على قواعد علمية صارمة تؤطر "عملية نقل الأصل إلى نص"، كالدقة، الموضوعية، الحياد، التمكن من قواعد الترجمة العلمية، التمكن من اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها، المحايدة المفهومية والضبط الإشكالي

لمعارف العلوم الاجتماعية.

ب. المبدأ اللغوي والأدبي: على الباحث المترجم في العلوم الاجتماعية أن يمتلك وعياً علمياً بضرورة البحث عن إنتاج لغوي - لساني دقيق للنص في إطار تكييفه مع الجمهور المحلي.

ج. المبدأ الميتودولوجي: تقوم الترجمة في العلوم الاجتماعية على مناهج دقيقة مرتبطة بكل تخصص على حدة: السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا، الإثنولوجيا... تروم إنتاج نص معرفي- علمي مفرغ من كل حمولة إيديولوجية أو تيولوجية.

د. المبدأ الإبيستيمولوجي: لكي تتجح الترجمة في نقل المعارف والأفكار عبر الأزمان وبين الثقافات، يجب أن تُسائل قواعدها وأسسها باستمرار في إطار ما يسمى بـ "إبيستيمولوجيا الترجمة" و"الانعكاسية الذاتية" للترجمة في العلوم الاجتماعية.

هـ. المبدأ الكوني: يقتزن مستقبل الترجمة في العلوم الاجتماعية بضرورة مراعاة الحق الإنساني الكوني في إنتاج وتداول المعارف العلمية، في إطار حركة "ترجمانية" مزدوجة بين الأصل والنص.

و. المبدأ التنموي: يظل سؤال تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية - خصوصاً بالعالم العربي- مطروحاً بإلحاح في إطار السعي نحو "كونية الترجمة"، ومرتبطة بقدر كبير بمستقبل المعارف الإنسانية.

2. حول الترجمة السوسيولوجية

اقتزن سؤال الترجمة في السوسيولوجيا بـ "عولمة المعرفة السوسيولوجية" وتداول الأبحاث والدراسات عن طريق تنمية التعدد اللغوي، والبحث عن تصور علمي للترجمة كوسيط بين المجتمعات العلمية - كما الأفراد والجماعات - في علمية إنتاج ومواكبة الأفكار العلمية، ونشرها داخل وبين المجتمعات الإنسانية في إطار سوسيولوجيا المشاركة العامة. من أهم سمات الترجمة السوسيولوجية هي تجاوزها للبعد السكولائي واعتمادها على البعد

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

الأكاديمي في إنتاج النص المترجم، في إطار تجاوز الترجمة الأدبية وتعويضها بالترجمة العلمية دون إغفال جمالية النص التداولية وبنيته العلمية والأكاديمية، كما أن الترجمة السوسiolوجية أكثر اقتراناً بالبعد المفهومي في تصوير وإنتاج النص أكثر من التركيز الكلمات أو المصطلحات، لذلك يعتبر المعجم المتخصص رفيق المترجم في كل مراحل نقله للمتن السوسiolوجي من أصله (اللغة الأصلية) إلى نصه (اللغة المترجم إليها)، وذلك من أجل التغلب على الصعوبات اللغوية واللسانية المرتبطة باللغة الأصل واللغة التي يجري نقل المتن إليها. من هنا يمكن أن نخلص إلى كون إنتاج ترجمة أكاديمية ودقيقة - شبه مثالية - في العلوم الاجتماعية رهين بالعمل في إطار "فريق ترجمة" مرتبط بتخصص معرفي (سوسiolوجيا الثقافة، السوسiolوجيا الحضرية، سوسiolوجيا الجنس...) دقيق، يُمكن من تحقيق التشاور وتبادل الأفكار المعرفية واللسانية واللغوية بين أكبر عدد من المتخصصين لتجاوز مختلف العوائق الابدستمولوجية والثقافية التي تقف عائقاً أمام نقل المتن السوسiolوجي إلى نص جديد.

وبناء على ما سبق يتضح أن الترجمة في السوسiolوجيا تقتزن بما يلي:

- الترجمة في السوسiolوجيا وسيط بين المجتمعات العلمية والعموم في إطار تأسيس سوسiolوجيا المشاركة العامة.
- الترجمة في السوسiolوجيا نسق أكاديمي مفهومي وسياقي يدمج بين التوجه العلمي والتوجه التداولي واللساني في إطار نقل المتن من الأصل إلى النص.
- لا حديث عن ترجمة أكاديمية وعلمية في السوسiolوجيا إلا في إطار "فرق بحثية" و"مراكز بحثية" مرتبطة بكل تخصص سوسiolوجي على حدة (نظراً لكون السوسiolوجيا بوصفها مجالاً علمياً تتكون من 42 تخصص - وأكثر - فلا بدّ من الحديث عن 42 نسقاً خاصاً في الترجمة).

3. حول الترجمة الأنثروبولوجية والإثنولوجية

شهد المجتمع العلمي خلال العقود الأخيرة عودة قوية لحقلي الأنثروبولوجيا والإثنولوجية

في دراسة الأشكال الجديدة من التحضر والموانسة الثقافية والإثنية داخل المدن المتروبوليات المعاصرة، وهذا الأمر الذي ساهم في إنتاج كم هائل من الدراسات والبحوث والمقالات الأكاديمية والعلمية. لذلك وبعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001 وأعقبها من تحولات سياسية وعلمية غيرت مجرى تاريخ العالم، أصبح لازماً على المعاهد والمؤسسات العلمية في مختلف دول العالم - خصوصاً بالعالم العربي- التفكير في استراتيجيات علمية جادة لنقل هذه المعارف وتقريبها إلى العلماء كما الجمهور المحلي. ولا بدّ من الإشارة إلى أن خط الترجمة الأنثروبولوجية - خصوصاً بالعالم العربي- ما زال جد ضعيف نظراً لخصوصيات الترجمة في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا التي تفرض على المترجم التمكن من مجموعة من السياقات: المعرفية، العلمية، الاستيمولوجية، الإثنية، الثقافية، السياسية... وهذا ما يجعلها أحد أصعب وأدق مجالات الترجمة في العلوم الاجتماعية إن لم نقل في العلوم الإنسانية ككل.

- ويمكن أن نوجز أهم شروط الترجمة الأنثروبولوجية والإثنولوجية في النقاط التالية:
- تتجاوز الترجمة في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا نقل المفاهيم بين لغات مختلفة، إلى إعادة تشكيل الحقل الدلالي والثقافي والإثني للأصل ضمن ثقافة النص، كما تفرض على المترجم التمكن من "اللغة الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا" وثقافة موضوع الترجمة.
 - تعتبر الترجمة في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا إعادة نحت جديد للأصل المعرفي والثقافي المنتج في سياق غيري إلى نص معرفي وثقافي محلي، عن طريق تجاوز تعقد الأصل والبحث عن سبل تفكيك مقاومة النص لدى الجمهور المحلي (سواء العالم أو العالمي).
 - تتطلب الترجمة في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا تمكن الباحث من تحقيق الحوار بين مختلف العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى (السوسيولوجيا، الفلسفة، الاقتصاد...) لتجاوز "النسخ المبتور" للأصل عبر نص "هجين".

4. لماذا الاهتمام بالترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي؟

عرفت بداية الألفية الجديدة اهتماماً عربياً متزايداً بتدريس العلوم الاجتماعية، وأسهمت عدة

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

متغيرات في تنامي الوعي العربي الأكاديمي بضرورة الانفتاح على مختلف العلوم الاجتماعية المعاصرة، فمن جهة ارتفعت نسب نشر المقالات والدراسات الاجتماعية بالدوريات العالمية¹، وهذا ما جعل الباحثين الاجتماعيين العرب يفكرون جدياً في ضرورة مواكبة التطورات العلمية العالمية وتمكين العالم العربي من الاطلاع على هذه الإنتاجات في ظل هيمنة اللغة الانجليزية والفرنسية على مجمل الدراسات الاجتماعية، لذلك جُعل من حركة الترجمة رهان أساسي لتحقيق هذه الغاية العلمية، ومن جهة أخرى أسهم تطور نسب الدراسات والبحوث الأجنبية المنجزة في العالم العربي خلال القرن الماضي في تعزيز وعي أكاديمي وعلمي لدى الباحثين بضرورة ربط القارئ العربي بسيرورة الفعاليات العلمية الكونية.

انخرطت مجموعة من المؤسسات العلمية العربية في رهان تنمية الوعي العربي بالترجمة سبيلاً من سبل تحقيق الحوار غرب/شرق وخلق مجتمع المعرفة بالعالم العربي (مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون...) وأمكن تحقيق نتائج متميزة خلال السنوات الأخيرة من حيث حجم وجودة الدراسات والأبحاث المترجمة من مختلف اللغات الحية إلى اللغة العربية، إلا أنها تظل أحادية الجانب.

ونجمل أهم أسباب تزايد الاهتمام العربي بالترجمة في العلوم الاجتماعية في العناصر التالية:

- الوعي العربي المتزايد بأهمية الترجمة في تحقيق الحوار بين الحضارات، من خلال الرغبة العلمية الجادة في البحث عن موقع متميز لمجتمع المعرفة العربي ضمن الخريطة العلمية والفكرية العالمية المعاصرة.
- بروز مؤسسات علمية عربية مهتمة بالترجمة: مع ميلاد مؤسسات بحثية عربية تعنى

¹ في سنة 2001 نشر العلماء والباحثون الأمريكيون في العلوم الاجتماعية 200,870 ورقة في "الدوريات الكبرى"، تليها اليابان 47,420 ورقة؛ المملكة المتحدة 47,660؛ ألمانيا 43,623؛ فرنسا 31,317؛ والصين 20,978. انظر: burawoy. 2015. "Facing an Unequal World" (Address to International Sociological Association, Current Sociology. Vol. 63(1) 5-34.

بشؤون الترجمة في مختلف الحقول المعرفية والفكرية، وجد الباحثون المختصون فرصة سانحة لاستثمار مجهوداتهم الفردية ضمن فرق بحثية قطرية وعالمية للرقى بالترجمة العالمية من جهة، والمساهمة البناءة في الارتقاء بالبحث العلمي العربي على المستوى العالمي.

• تركيز الكثير من الجامعات والمعاهد العليا العربية على تدريس العلوم الاجتماعية باللغة العربية، من خلال الرغبة الصادقة في "تنمية اللغة العربية لغةً للعلم" والبحث عن سبل ممكنة لربط الباحثين الشباب باللغة الأم، مع تحقيق صلة الربط بباقي اللغات وذلك بتنمية حركة الترجمة.

ثانياً: واقع الترجمة في العلوم الاجتماعية في ظل تحولات مجتمع المعرفة بالعالم العربي

1. طبيعة البنية الذهنية والبنية الموضوعية العلمية العربية وتأثيرها في حركة الترجمة في العلوم الاجتماعية

بعد حصول الدول العربية على استقلالها الترابي والسياسي، تنامت دعوات المثقفين المفكرين الملتزمين إلى ضرورة اعتماد استراتيجيات قومية وشمولية لرد الاعتبار للهوية العربية من جهة، وإحياء اللغة العربية من جهة أخرى. لكن بعد أحداث سنة 1967 أجهض حلم "وحدة مجتمع المعرفة العربي"، وأمكن تغليب كفة الرهانات السياسية والاقتصادية على المشاريع الفكرية والعلمية الرامية إلى بناء مجتمع معرفة عربي حر وحداني، ومنفتح على الآخر ومستفيد منه، في إطار حركة الترجمة.

لكن مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي عرفت البنيات الذهنية العربية تحولات جوهرية بفعل المد الاشتراكي واليساري، تجلّت إيجابياً في تنمية "وعي مجتمع المعرفة (العربي)". برز على الواجهة مجدداً رهان الوحدة العربية خياراً استراتيجياً

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

أمام القومية العربية لرد الاعتبار للذات العربية "المنكسرة" آنذاك، وربط جسور التواصل بين "الفاعلين المجتمعيين" العرب بُغية جعل المعرفة سبيلاً مركزياً "لتغيير المجتمع العربي" و "تنمية قيمة المعرفة داخله".

وتزامنت هذه المرحلة مع ميلاد "مركز دراسات الوحدة العربية ببلن" (كأحد أبرز المؤسسات البحثية العربية المعاصرة التي خصصت برامجها العلمية لتعزيز "الدمقرطة الفكرية" وتنمية "الشراكة العلمية" العربية) كمؤسسة علمية شكلت لحظة فارقة في تاريخ تطور المعرفة العربية وتطور حركة الترجمة في المعارف الإنسانية.

نشير أيضاً إلى كون حركة الترجمة العربية قد عرفت "ميلادها الأكاديمي والقومي" الفعلي مع "المنظمة العربية للترجمة" كأحد أبرز "المؤسسات العلمية العالمية" المهتمة بحقل الترجمة في مختلف المجالات المعرفية، حيث جعلت رسالتها المركزية مقترنة بخدمة المعرفة الإنسانية والاجتماعية والعلمية وتحقيق جسور التواصل بين الباحثين والمترجمين "المهنيين" العرب. ساهمت المنظمة العربية للترجمة بقدر كبير في تنمية الوعي العربي بأهمية الترجمة في العلوم الإنسانية، وفي تجديد الاهتمام باللغة العربية بوصفها "لغة علم" ومعرفة، وشكلت السنتان الأخيرتان منعطفاً حاسماً في تاريخ المنظمة من حيث تركيز اهتمامها بشدة على العلوم الاجتماعية كمّاً وكيفاً، احترافياً وصدقاً.

من خلال قراءة سريعة لتاريخ تطور الترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربية يبدو لنا أن الأمر يتعلق بمجهودات جبارة لمؤسسات عربية فردية، رغم العراقيل المادية والمعنوية، رفعت على عاتقها مسؤولية تغيير المجتمع العربي من مجتمع ذاكرة إلى مجتمع معرفة.

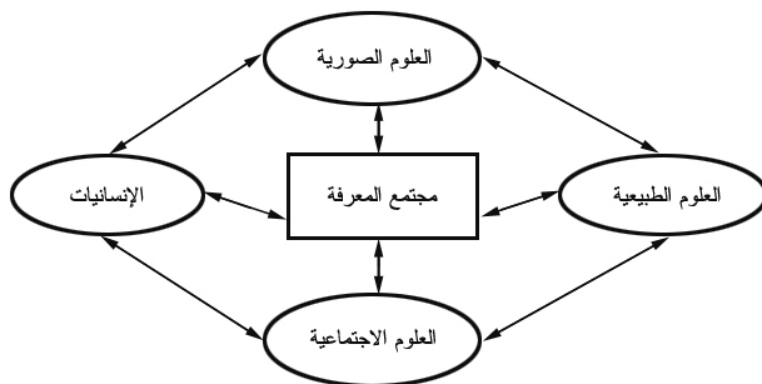
وأهم ما يمكن استخلاصه فيما يتعلق بوضع الترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي هو أنها تعاني ما يلي:

أ. أزمة مجتمع ذاكرة: ترجع جذور هذه الأزمة إلى المرحلة الاستعمارية حيث ساهم المستعمر بقدر كبير في اجتثاث الهوية العربية القومية والمنفتحة على المعرفة سبيلاً

أساسياً لتنمية الذات العربية، إذ إن "الهيمنة اللغوية" الأجنبية عززت إنتاج "ثقافة الأذن" على حساب "ثقافة العين"، وأفرزت مجتمع ذاكرة على حساب مجتمع معرفة.

ب. أزمة نكسة معرفية: بعد أن "انكسرت الذات العربية" خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، برز على الواجهة نمط حياة اجتماعي قائم على الانسحابية الفردية والجماعية من معتزك الرهان المعرفي والعلمي، وهذا الأمر تجلى سلباً في تطور وعي عربي بأهمية الترجمة عامة والترجمة في العلوم الاجتماعية خاصة بتنمية الذات العربية الجديدة.

ج. أزمة تكامل: تواجه المجتمعات العربية، بوجه عام، أزمة تكامل معرفي، والترجمة بدورها لم تسلم من هذه الأزمة البنيوية. لا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن إمكان وجود منطق تفاضلي بين العلوم والمعارف الإنسانية، بحيث أن "الثقافات الثلاث"¹ هي مدخل أساسي لتحقيق أي تقدم إنساني منشود، ولذا فالترجمة بدورها لا تخرج عن هذه القاعدة المنطقية. إن الدفع بقاطرة تنمية الترجمة بالعالم العربي رهين بتحقيق مبدأ "الدمقرطة الفكرية" و"الشراكة العلمية" بين مختلف التخصصات الإنسانية:



¹ نقصد هنا: العلوم الطبيعية، الإنسانية والعلوم الاجتماعية. للتوسع حول هذه النقطة أنظر: Jerome Kagan (2004) The Three Cultures: Natural Sciences, Social Sciences, and the Humanities in the 21st Century, Cambridge University Press, UK

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

1. دور المؤسسات والمراكز البحثية في تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية

لم تبخل مجموعة من المؤسسات العلمية المهمة بحقل الترجمة منذ ميلادها، بتنمية الوعي العربي بأهمية الترجمة في ربط الصلة بين "الأنا" و"الآخر"، ودعم مختلف الأفكار العلمية الجادة لتعزيز وتنمية مجتمع المعرفة العربية في إطار رسم معالم المشروع النهضوي والوحدوي العربي، لذلك فإن هذه المؤسسات البحثية فاعلاً لا غنى عنه في تنمية استراتيجيات علمية وأكاديمية تطور الترجمة العربية في مجال العلوم الاجتماعية وذلك من خلال الاعتماد على الآليات الآتية:

أ. الآلية الأكاديمية:

نظراً لكون المجتمعات العربية تعاني من غياب شبه تام لما يمكن أن نسميه بـ "الجماعة العلمية" Scientific Community¹، رغم تزايد عدد الإنتاجات العلمية (خصوصاً في حقل العلوم الاجتماعية) خلال السنوات الأخيرة، فإن المؤسسات العلمية والمراكز البحثية تضطلع بدور كبير في الرقي بالبحث العلمي العربي وذلك بالقطيعة مع "مجتمع الذاكرة" وتأسيس "مجتمع المعرفة" كمدخل من مداخل تفعيل رهان الوحدة العربية المستدامة.

ب. الآلية التنموية:

نظراً لكون الباحث الاجتماعي العربي ما زال لم يندمج بقدر كبير في ثقافة "البحث الجماعي"؛ حيث تغيب غياباً واضحاً - أو تُغيب أحياناً - الفرق البحثية سواء في الكتابة، التأليف أو الترجمة، وتسيطر الأبحاث والدراسات والترجمات الفردية على مختلف الإنتاجات العلمية، فإن وجود المراكز والمؤسسات البحثية؛ خصوصاً في مجال الترجمة (المنظمة العربية للترجمة...)؛ يساهم مساهمة كبيرة في الدفع بقاطرة تنمية العلوم الاجتماعية بما يخدم الدقة والموضوعية والعلمية، ويتيح للباحثين فرصة العمل المشترك وتبادل الخبرات والتجارب

¹ حول هذه النقطة انظر: ساري حنفي، ريغاس أرفانتيس (2015)، البحث العربي ومجتمع المعرفة: رؤية نقدية جديدة، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان، ط 1.

وتتمية ثقافة "البحث الجماعي".

ج. الآلية الاستباقية/الاستشرافية:

تسعى المراكز والمؤسسات البحثية إلى دق ناقوس الخطر القبلي حول أهم المشاكل والتحديات التي تواجه تنمية ثقافة البحث العلمي بالوطن العربي، من خلال التقييم الدوري لحصيلة أعمالها ووضع مخططات استشراف المستقبل من جهة، كما ترنو إلى ربط جسور التواصل بين القارئ العربي وأهم التطورات العلمية والثقافية من جهة، بالشكل الذي يدفع بقاطرة البحث العلمي العربي نحو العالمية. ثم إن هذه المراكز تضع دورياً برامج عمل حول ترجمة أمهات الكتب والمقالات العالمية الراهنة، كي يواكب المتخصص والقارئ العربي أهم التطورات العالمية ويوجه اهتمامه نحو المجالات النشطة على المستوى العلمي، كل ذلك في إطار تنمية مجتمع المعرفة العربي.

ثالثاً: محددات تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي

1. معوقات تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي

يمكن أن نقسم هذه المعوقات إلى معوقات البنية الداخلية ومعوقات البنية الخارجية:

أ. معوقات داخلية:

1. غياب مختبرات للترجمة في العلوم الاجتماعية: رغم الاهتمام المتزايد في السنوات الأخيرة بالترجمة داخل الجامعات العربية، المتجلى في تأسيس العديد من المختبرات والتكوينات الجامعية المرتبطة بحقل الترجمة، فإن الملاحظ هو اقتصر هذه المختبرات على حقل "اللغات والتواصل" دون أدنى اهتمام أو إشراك للعلوم الاجتماعية ضمن هذه التكوينات من جهة، ومن جهة أخرى نجد إغراق هذه المختبرات في الأبعاد النظرية وغياب سياسة بيداغوجية واضحة المعالم حول "مشاريع ترجمة علمية"، وذلك راجع إلى ما يلي:
- غياب وعي أكاديمي للقائمين بالتدريس بأهمية إشراك العلوم الاجتماعية في برامج الترجمة.

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

- غياب سياسة بيداغوجية مندمجة داخل الجامعات العربية.
 - ضعف الانفتاح الجامعي على التجارب الرائدة في مجال تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية (فرنسا، اسبانيا، الولايات المتحدة...).
 - الإغراق في التكوينات النظرية وغياب برامج عمل تطبيقية.
 - غياب أي تكوين بالعالم العربي (فيما نعلم) حول الترجمة السوسولوجية أو الترجمة الأنثروبولوجية، سواء ضمن تكوينات الماجستير أو الدكتوراه (Ph.D).
 - ضعف اهتمام الباحثين الشباب بتطوير قدراتهم في مجال الترجمة في العلوم الاجتماعية.
2. **ضعف المؤسسات والمراكز البحثية "الجادة والملتزمة" المهمة بتنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية:** إذا استثنينا الجهود الجبارة التي تبذلها "المنظمة العربية للترجمة"؛ و"مركز دراسات الوحدة العربية" و"المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت" في تعزيز وتنمية قيم الترجمة في العلوم الاجتماعية والنتائج الهامة (كمّاً وكيفاً) التي حققوها، فسند غياب شبه كلي لمشاريع جادة، علمية وملتزمة للترجمة في العلوم الاجتماعية لدى باقي المؤسسات والهيئات العربية المهمة بالترجمة بصفة عامة. ومع أن "المنظمة العربية للترجمة" تحظى باعتراف دولي بأصالة دقة الترجمات التي تنتجها، فإن هذه الجهود الأحادية الجانب تظل عاجزة عن بلورة مشروع مجتمعي قومي للترجمة في العلوم الاجتماعية قادر على مواكبة حجم الإنتاجات العلمية العالمية. لذلك يمكن أن نعزو الضعف المؤسسي في تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية إلى ما يلي:
- غياب الاعتراف بمجهودات الكثير من المترجمين في العلوم الاجتماعية.
 - غياب الدعم المادي والمعنوي لأعمال الترجمة الفردية وحتى الجماعية.
 - غياب الكثير من التدريسيين والباحثين الاجتماعيين عن خوض تجربة الترجمة، وذلك لأسباب ذاتية (التخوف من النقد...) ولأسباب موضوعية (غياب التحفيز والدعم...).
 - غياب مجلة علمية محكمة متخصصة (باستثناء مجلة الثقافة العالمية التي تبذل مجهودات جبارة في هذا الصدد) في نشر "الأوراق" و"المقالات" و"الدراسات" العالمية الحديثة

المرتبطة بالعلوم الاجتماعية.

3. **الانسحابية الفردية:** في ظل غياب الدعم المادي والمعنوي والاعتراف الرمزي بالمرجمين العرب في مجال العلوم الاجتماعية، أصبح المهتمون بالترجمة بعبيدين كلَّ البعد عن التفكير في قضايا وإشكالات الترجمة بالعالم العربي، وسعوا نحو الاهتمام بالتأليف أو العزوف الكلي عن الترجمة والتأليف أو حتى الكتابة.

4. **غياب وعي ثقافي بأهمية الترجمة:** مع أن تأسيس وتطوير حقل العلوم الاجتماعية قد ارتبط بالمجتمعات العلمية الغربية، فإن البنات الموضوعية والبنات الذهنية العربية لم تستطع أن تدمج بقدرٍ كبير ثقافة الانفتاح على الآخر عن طريق الترجمة، حيث نجد ضعف اهتمام الطلبة والتدريسيين والباحثين باللغات الأجنبية وبتطوير رصيد معرفي كوني وعالمي منفتح على مختلف المجتمعات واللغات الأجنبية.

ب. معوقات خارجية:

تهدف الترجمة إلى ربط جسور التواصل الفكري والمعرفي بين مختلف المجتمعات العلمية والثقافية العالمية، لذلك فإنها ليست مسؤولية مجتمع أو دولة أو مؤسسة دون الأخرى بقدر ما هي "رهان كوني" للإنسانية إلى جانب مختلف الرهانات العلمية الأخرى: لذلك سنحاول الانفتاح على أهم العوائق الخارجية التي تحد من تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية بالدول العربية:

1. **ضعف التمويل الدولي:** رغم الجهود المبذولة من طرف مجموعة من المؤسسات العلمية الدولية (الجمعية الدولية لعلم الاجتماع...) للتوعية بدور الترجمة في مد جسور التواصل بين الباحثين في العلوم الاجتماعي، فإنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب، بل وتساهم في سيادة اللامساواة بين الباحثين من جهة، ولا تمس بقدرٍ كبير مختلف "الجماعات العلمية" داخل الوطن العربي من جهة أخرى (burawoy, 2015).

2. **غياب الاهتمام الدولي "الكافي" بالعلوم الاجتماعية:** رغم حداثة عهد العلوم الاجتماعية، فإنها لم تستطع أن تحصد اهتمام الهيئات الدولية مقارنة بالعلوم الحقة، حيث لا زالت هناك

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

"تيارات معرفية" تنظر إلى العلوم الحقة كأرقى مراحل تطور المعرفة الإنسانية، ومن ثم ليس هناك اعتراف "جاد" و"علمي" ببحوث ودراسات ونتائج العلوم الاجتماعية، وهذا الأمر يتجلى سلباً في تطور هذه التخصصات بدول العالم العربي.

3. **هيمنة اللغة الانجليزية:** أسهمت العولمة كثيراً في ترسيخ مركزية اللغة الانجليزية لغة عالمية للبحث العلمي، ليس فقط بالنسبة للعلوم الاجتماعية وإنما حتى لمختلف العلوم الدقيقة، وهذا الأمر يتجلى سلباً في تطور اللغات القومية كلغات علمية من جهة، وينتج وعي خاص لدى بعض الباحثين بضرورة تحويل اللغة الإنجليزية إلى اللغة العلمية الأم. لا يرتبط هذا المشكل باللغة العربية وحدها وإنما حتى ببعض اللغات التي سيطرت لسنوات خلت على مختلف العلوم الإنسانية (الفرنسية، الألمانية...).

2. من أجل تعزيز وتنمية الاهتمام العربي بالترجمة في العلوم الاجتماعية

خلال العقدين الماضيين تزايد اهتمام مجموعة من الدول العربية بتنمية وتطوير الترجمة في حقل العلوم الاجتماعية (لبنان، تونس، الكويت، المغرب...)، في إطار السعي نحو ربط جسور التواصل العلمي والفكري بين "الغرب" و"الشرق" من جهة وبين اللغة العربية وباقي اللغات من جهة أخرى. ورغم التراكم الحاصل خلال السنتين الأخيرتين في مجال ترجمة كبار أعمال الباحثين العالميين في العلوم الاجتماعية (المنظمة العربية للترجمة) ومجموعة من أهم المقالات العلمية الحديثة في حقل العلوم الاجتماعية (المجلة العربية لعلم الاجتماع، إضافات)، فإن الملاحظ هو الهيمنة الواضحة لحركة الترجمة "انجليزية - عربية" و "فرنسية-عربية" مع ضعف شديد في حركة الترجمة "ألمانية-عربية" وغياب كلي للترجمة "إسبانية - عربية".

إن هذا التراكم الكمي والنوعي الحاصل خلال العقد الأخير، يظل قفزة نوعية وغير مسبوقة في تاريخ الترجمة العربية ككل، حيث تمت إعادة هيكلة مجموعة من المشاريع المندمجة للترجمة في العلوم الاجتماعية تهدف إلى انفتاح المؤسسات العلمية على كبار الباحثين والمختصين في الترجمة بغية تحقيق مطمح إنشاء "جماعة علمية عربية" من جهة،

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وإنتاج نصوص مرجعية لأهم الأعمال العلمية التي طبعت تاريخ العلوم الاجتماعية، وفي هذا السياق يمكن طرح العناصر التالية من لبناء إستراتيجية عربية مندمجة للنهوض بوضع الترجمة في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي:

- وضع "برامج عمل قومية"، قصيرة ومتوسطة المدى، لمواكبة التحولات التي تعرفها العلوم الاجتماعية المعاصرة على المستوى العالمي.
- الرفع من حجم الميزانيات الحكومية المخصصة للبحث العلمي عامة، والبحث الاجتماعي خاصة، بالبلدان العربية.
- خلق مختبرات جامعية وأكاديمية داخل أقسام العلوم الاجتماعية (السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا...) مخصصة لتكوين الطلبة والتدريسيين في مجال "ديداكتيك الترجمة في العلوم الاجتماعية".
- خلق تخصص قائم الذات بالجامعات والمعاهد العربية المختصة بالعلوم الاجتماعية تحت مسمى "علم ترجمة العلوم الاجتماعية".
- إنشاء مراكز ومؤسسات بحثية وعلمية محلية، جهوية وقطرية تعنى بشؤون الترجمة في العلوم الاجتماعية.
- إدماج حقل العلوم الاجتماعية ضمن مخططات التنمية الاجتماعية والثقافية المجتمعية بالوطن العربي.
- على الباحثين والمختصين في حقل الترجمة في العلوم الاجتماعية الانخراط الجاد والبناء والملتزم في الدفاع عن أهمية الترجمة من جهة، وبناء "جماعة علمية" عربية للترجمة في العلوم الاجتماعية من جهة أخرى.

خاتمة

إن "ضعف" الاهتمام العربي بتنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية يبين بوضوح الأزمة الثلاثية التي تعاني منها العلوم الاجتماعية بالعالم العربي (منهجية، نظرية وسياسية) منذ

..... نحو تنمية الترجمة في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

أحداث الربيع العربي الأخير، ويؤكد كذلك عدم رغبة الفاعلين الأكاديميين (تدريسين، باحثين...) في ربط جسور تواصل علمي وثقافي مع باقي "الجماعات العلمية" العالمية بفرز تحولاً بنيوياً في الشروط الموضوعية لإنتاج "مجتمع المعرفة" العربي والقطيعة مع كل أشكال "مجتمع الذاكرة"، وتتيح الفرصة لمختلف "الشرائح الثقافية" في المشاركة في إنتاج المعرفة العالمية. وفي المقابل يظهر أن الجامعات العربية غير مهيأة بعد بالقدر الكافي لتؤدي دورها كـ "مؤسسة علمية" و"مؤسسة اجتماعية" تسهم في دفع قاطرة البحث الاجتماعي نحو العالمية.

وكيفما كانت طبيعة الشروط الموضوعية لإنتاج المعرفة الاجتماعية بدول العالم العربي، فإنه أصبح لازماً على الجامعات والمؤسسات والمراكز البحثية والعلمية أن تستفيد من التجربة الرائدة للمنظمة العربية للترجمة، والمجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، ومركز دراسات الوحدة العربية. ذلك أن ضعف اهتمام الفاعل السياسي بتنمية البحث الاجتماعي لم يأت من فراغ، وإنما كان معبراً عن أزمة بنيوية تعاني منها العلوم الاجتماعية داخل الوطن العربي ولم يتم إيجاد الحل الاستيمولوجي الكفيل بتجاوزها. بمعنى آخر. إن ضعف الاهتمام العربي بالترجمة في العلوم الاجتماعية هو نتيجة حتمية لغياب مشروع علمي للعلوم الاجتماعية من أجل خدمة المجتمع ومواكبة مسلسل التنمية البشرية ورهان التنمية المستدامة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

المراجع

- ساري حنفي، ريغاس أرفانتيس، البحث العربي ومجتمع المعرفة: رؤية نقدية جديدة، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان، ط 1، 2015.
- M, burawoy, "Facing an Unequal World" (Address to International Sociological Association, Current Sociology. Vol. 63(1), 2015, p : 5-34.
- Jerome Kagan, The Three Cultures: Natural Sciences, Social Sciences, and the Humanities in the 21st Century, Cambridge University Press, UK, 2004.
- Tiina Arppe, «De la traduction de la philosophie», Traduire, 227 | 2012, 32.

بحوث في التعليم العالي

تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي في الجامعات العربية في ضوء التجارب العالمية

أ. مخلوفي سعيد

أستاذ مساعد بقسم العلوم الاجتماعية

جامعة باتنة - الجزائر

أولاً: الجودة الشاملة في التعليم

1. مفهوم الجودة في التعليم

لغويًا، لفظ جودة مشتق من الفعل الثلاثي جاد، وجود جودة. وهو على وزن فعلة بفتح الفاء: ويقابله من المرادفات: حسن، يحسن حسنة، والحسنة تقابلها الرداءة أو السيئة، وإجمالاً للمعنى يمكننا القول أن الجودة تعني الإتيان في العمل وما ينتج عن ذلك العمل ينظر إليه بأنه شيء منقن، أي إنه جيد.

عرّفها (المعجم الوسيط) لغةً من كلمة أجاد أي أتى بالجيد من قول أو عمل، وأجاد الشيء صيّرَه جيداً، والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جودةً بمعنى صار جيداً. وعُرفت بأنها المطابقة لمتطلبات أو مواصفات معينة.

وعرفها المعهد الأمريكي للمعايير American National Standards Institute بأنها جملة السمات والخصائص للمنتج أو الخدمة التي تجعله قادراً على الوفاء باحتياجات معينة⁽¹⁰⁾.

أما في اللغة الإنكليزية فالكلمة المتداولة في سياق المبحث عن معايير الجودة في التعليم، والمترجمة للغة العربية على أنها الجودة هي: "Quality"، وتعني كما ورد في قاموس أكسفورد

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

للغة الإنكليزية (Oxford 1974) النوعية كمقابل للكمية، ولا تعني بالضرورة الجودة، إلا إذا أُضيف إلى الكلمة صفةً أو خبر بأن تلك النوعية هي جيدة أو رديئة. فيقال "نوعية رديئة" أو "نوعية جيدة". وكلمة quality تعني كذلك خاصية الشيء الذي يميزه عن غيره من الأشياء الأخرى، والخاصية لا تعني بالضرورة الجودة. فيقال مثلاً "نهدف إلى تصنيع المنتج ذا النوعية بدل الكمية" ويقصد من ذلك تصنيع المنتج الجيد⁽²²⁾.

مفهوم الجودة بالمعنى الاصطلاحي: له عدة تعاريف نلخصها في التالي:

"قدرة المنتج على إرضاء العملاء"، أو "انخفاض نسبة العيوب"، أو "انخفاض شكاوى العملاء" أو "تحسين الأداء"، أو "النجاح في تنمية المبيعات"... الخ وكلها تعاريف جزئية أو خاصة بميادين مختلفة، أما في ميدان التعليم، فتجدر الإشارة إلى بعض التعاريف منها:

تعريف الباحثي 2005: الجودة في التعليم تعني الدقة، والإتقان وتحسين الأداء وتطوير معارف الطلاب ومدى النجاح في تحقيق الأهداف التعليمية.

تعريف الحولي 2004: تعني الجودة في التعليم توفّر وتوفير مجموعة من الخصائص والسمات التي تعبر بدقة عن جوهر التربية وحالاتها، ويشمل ذلك كل أبعادها من مدخلات وعمليات ومخرجات قريبة وبعيدة وتغذية راجعة، وكذلك التفاعلات المتواصلة التي تحقق الأهداف المنشودة والملائمة لمجتمع معين⁽¹³⁾.

وينظر (عشبية) إلى الجودة في التعليم على أنها مجموعة المعايير والخصائص التي ينبغي أن تتوفر في جميع عناصر العملية التعليمية، سواء منها ما يتعلق بالمدخلات أو العمليات أو المخرجات والتي تسدّ احتياجات المجتمع ومتطلباته ورغبات المتعلمين وحاجاتهم وتحقيق تلك المعايير وذلك بالاستعمال الفعال لجميع العناصر المادية والبشرية⁽⁹⁾.

ويركز كلٌّ من (Jomtien & Dakar) على خصائص التعلم في تعريفهما لجودة التعليم حيث أشارا إلى أنها تمثل "إدخال خصائص التعلم المرغوبة من خلال عملية معالجة مستندة إلى المدرسين الأكفاء الملمين بعلم أصول التدريس (Pedagogies) ومناهج تعليمية متكاملة ومناسبة

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

في ظل نظام حوكمة عادل ومنصف⁽²⁰⁾.

"هي تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما بصورة تمكن من الوفاء باحتياجات ومتطلبات محددة أو معروفة ضمناً، أو هي مجموعة من الخصائص والمميزات لكيان ما تعبر عن قدرتها على تحقيق المتطلبات المحددة أو التي يتوقعها المستفيد"⁽¹⁴⁾.

2. جودة العمليات المرتبطة بالتعليم

إن مفهوم الجودة في التعليم من حيث إجراءاته، وفق ما تم الاتفاق عليه في مؤتمر اليونسكو للتعليم والذي أقيم في باريس في أكتوبر 1988، ينص على أن الجودة في التعليم مفهوم متعدد الأبعاد ينبغي أن يشمل جميع وظائف التعليم وأنشطته، وتشتمل تلك الوظائف والأنشطة وفق زايفي على العناصر التالية⁽⁶⁾:

المناهج الدراسية - البرامج التعليمية - البحوث العلمية - الطلاب - المرافق وسائل التعليم - الخدمات (خدمات اجتماعية، توجيه وإرشاد...) - التعليم الذاتي الداخلي - معايير المقارنة بين المؤسسات التعليمية المختلفة المعترف بها دولياً.

إذا كانت الجودة الشاملة في تعليم تعني جميع الأنشطة والوظائف على مستويات مختلفة، يمكننا إضافة عناصر أخرى، كلها تنحصر في إطار جودة العمليات مثل جودة التعليم الجامعي، جودة الإدارة التعليمية... إلخ، ونود التطرق إلى بعض من هذه العناصر الجزئية التي تشكل مجتمعة جودة شاملة أو تقرب الفكرة من مفهوم الجودة الشاملة في التعليم⁽⁶⁾.

ثانياً: الجودة في التعليم العالي

إن الأخذ بمفهوم الجودة في التعليم العالي، لا يزال حديثاً، ولم يُعطَ له الحيز الكافي للتطبيق لأنه ظهر أصلاً في المؤسسات الاقتصادية والصناعية وفي الميادين التكنولوجية في الدول المتقدمة، نتيجة التنافس الشديد بين هذه المنظمات، ورغبة كل واحدة منها في الحصول على المنتج الأفضل والعالي المحصول، وعلى نوعية أفضل. ونتيجة للنجاح الذي حققه في هذا

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

المجال، ظهر الاهتمام بالجودة في المجال التربوي، للحصول على نوعية أفضل من المتخرجين، القادرين على أداء أدوارهم بكفاءة، "فحتى سنة 1993 لم يزد عدد المؤسسات التعليمية الأخذ به عن 220 كلية وجامعة في الولايات المتحدة الأمريكية"⁽³⁾.

وتلقى حالياً الجودة الشاملة في التعليم العالي قبولاً واسعاً في جل الأنظمة التربوية على المستوى العالمي، لأنها تشجع على التنافس لأجل الإثراء، خاصة في الدول التي تعتمد على الخصخصة في التعليم، فما مدلول الجودة في التعليم؟ للإجابة عن هذا السؤال سنعرض بعض التعاريف الخاصة بجودة التعليم العالي.

تعريف رودس rhodes: الجودة في التعليم العالي "عملية إستراتيجية، إدارية ترتكز على مجموعة من القيم، وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي يمكن في إطارها توظيف مواهب العاملين، واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم، على نحو إبداعي لتحقيق التحسين المستمر في المنظمة"⁽¹²⁾.

تعريف وكالة الجودة البريطانية: تعني الجودة التعليمية، مدى الفرص المتاحة أمام الطلاب، في مساعدتهم على تحقيق الدرجات العلمية المنشودة، والعمل على ضمان توفر التدريس المناسب، والفعال والمساندة، والتفوييم والفرص التعليمية الملائمة، والفعالة. أما ضمان الجودة فإنه يعني كافة الأنظمة والموارد والمعلومات المخصصة للمحافظة على معايير الجودة وتحسينها، ويشمل ضمان الجودة فرص التعليم والتعلم وخدمات مساعدة الطلاب.
(www,qaa,ac,uk/international-student guide/arabic-readers,asp).

تعريف كرافت craft 1994: يشير كرافت، إلى أن تحقيق الجودة التعليمية يهدف إلى إيجاد الطرق المناسبة، لإقناع الحكومات والمستثمرين، بأن مؤسسات التعليم العالي تؤدي عملاً جيداً وتبذل جهوداً لضمان جودة التعليم ومخرجاته بناء على مؤشرات مختلفة تتضمن: تحسين وإصلاح ورفع مستوى التدريس، والعملية التعليمية ككل، وتطوير وزيادة البحث العلمي، ورفع قدرات الخريجين، وتحديث معايير الاعتماد، وقياس أدائها مع مؤسسات أكاديمية متميزة.

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

تعريف جوران juran 1988: يؤكد جوران أن تحقيق الجودة في التعليم العالي، هو منهج وعملية إدارية، تهدف إلى كفاية التعليم العالي، وخلق وتهيئة الجو الأكاديمي المناسب للطلبة للحصول على الشهادة الجامعية. كما ينبغي أن يشمل تقييم الإنجازات التي تم تحقيقها في مستويات التعليم العالي. ويقترح جوران أنه في ظل غياب معايير محددة ومتفق عليها في التعليم العالي يصبح من الضروري للمؤسسة الأكاديمية الجامعة تحديد رؤيتها وأهدافها وغاياتها لكي يمكنها من تقييم أدائها وإنجازها بناء على هذه الأهداف والغايات.

تعريف بول Boll: يؤكد بول أن الجودة تعني الملاءمة، والتوافق مع الأهداف، وأن أي منهج أو تخصص أكاديمي، هو ذو جودة ما توافقت مع المعايير المحددة سلفاً.

ويشير عدد كبير من الباحثين: مثل كروسي 1979 وديمينج، إلى أن مصطلح الجودة في التعليم العالي: هو مصطلح مستورد أساساً من قطاع الصناعة، المعروف بإدارة الجودة الشاملة (TQM) وتتمثل إدارة الجودة الشاملة حسب وكالة ضمان الجودة البريطانية، حول كيفية إدارة المعايير والجودة الأكاديمية للجامعات، والكليات⁽¹⁵⁾.

إن الجودة في التعليم العالي، تعبر عن جودة التصميم، وجودة الأداء، وجودة المخرج، ويتكون نظام الجودة من أربعة عناصر، وهي⁽⁸⁾:

1. المدخلات: التي تعبر عن الموارد البشرية، والأهداف واللوائح والنظم.
2. العمليات: وتتكون من الإنجاز الناجم عن التفاعلات بين مدخلات الجامعة.
3. المخرجات: وتعتبر عن نواتج خدمات الجامعة، والمعايير المحددة، القبلية، والمتاحة أو: لطالبي الخدمة.
4. التغذية الراجعة: وتعتبر عن المعلومات المستفادة، في عملية المتابعة والتقييم.

ثالثاً: قياس الجودة في التعليم

يؤكد المتخصصون أنه لا يمكن وضع معايير ثابتة يجري في ضوءها قياس الجودة وتعميمها على كل نماذج المؤسسات، بل يجب أن يقوم كل قطاع من القطاعات، بتطوير

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

المقاييس المناسبة له في ضوء الظروف المحيطة بالمؤسسة المعنية، ولكن هذا لا يمنع من وجود معايير مشتركة يمكن تطبيقها على بعض القطاعات. وبالفعل دأب العديد من المؤسسات التعليمية الجامعية وقبل الجامعية في مناطق مختلفة من العالم، على تطوير معايير تمكنها من قياس مدى نجاحه في تحقيق التميز والجودة في التعليم، وتشهد بعض المناطق مبادرات لتوحيد تلك المعايير على المستوى الوطني من خلال اقتراح نظم متكاملة للجودة بمعاييرها ومؤشراتها بغية تحقيق التميز واستقطاب الطلب إليها أو ضمان خريجها في سوق العمل. ومن بين تلك المبادرات يمكن ذكر ما يعرف بالمبادرة الأمريكية للمقاييس الأساسية (Common Core State Standard Initiative)، لتوحيد معايير الجودة في مادتين أساسيتين في التعليم ما قبل الجامعي، هما اللغة والرياضيات⁽¹¹⁾.

اتخذت المبادرة من طرف مجلس رؤساء الهيئات التربوية لمختلف الولايات في أمريكا (CCSSO)، بمعية الجمعية الوطنية لأفضل ممارس، وفي هذا الشأن، لقيت مبادرة توحيد الجودة في الولايات المتحدة الأمريكية استحسان غالبية الولايات ما عدا البعض منها التي شككت في جودة تلك المعايير أو تحفظت وعزفت عن تبنيها.

يمكن تلخيص أهم المقاييس التي طورت في ضوءها معايير الجودة في النقاط التالية⁽⁵⁾:

1. قياس الجودة من منظور الزبائن: ومن الطرق الشائعة في إطار هذا المدخل، مقياس عدد الشكاوى التي يتقدم بها الزبائن، خلال مدة زمنية معينة، كالطعون مثلاً في التوجيه الجامعي، التي يتقدم بها الطلبة المطالبة بتغيير التخصصات التي تم توجيههم إليها، والتي يمكن اعتبارها معياراً من معايير قياس جودة خدمة التوجيه الجامعي.
2. مقياس الرضا: وهو أكثر المقاييس شيوعاً، واستعمالاً لقياس اتجاهات الزبائن نحو جودة الخدمات المقدمة، وذلك للكشف عن طبيعة شعور الزبائن، نحو الخدمة المقدمة لهم، وتحديد جوانب القوة ونقاط الضعف، لغرض التقييم، ويمكن استعمال هذا المدخل في قياس جودة التوجيه الجامعي، وذلك بالاستدلال برضا الطلاب حول خدمات التوجيه، بوجه عام، وليس الخدمات التوزيعية، فقط المتعلقة بالتخصصات.

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

3. **مقياس الفجوة:** يقاس بمدى التطابق بين مستوى الخدمة المقدمة فعلاً للزبائن، وبين ما يتوقعه الزبون ليتنبأ بها، ومن ثم فإن جودة الخدمة تعني الدراسة والتحليل والتنبؤ بتوقعات العميل ومحاولة الارتقاء بها بشكل مستمر.
4. **قياس الجودة المهنية:** في إطار هذا المفهوم، يمكن التمييز بين المقياس الآتية، قياس الجودة بدلالة المدخلات، قياس الجودة بدلالة العمليات، قياس الجودة بدلالة المخرجات.
5. **مقياس الأداء الفعلي:** هذا النوع من القياس، بدرجة عالية من الثقة، والمصادقية وإمكانية التطبيق، فهو يركز على الأداء الفعلي، باعتبار أن الجودة يمكن الحكم عليها مباشرة، من وجهة نظر الزبائن⁽¹¹⁾.

رابعاً: إدارة الجودة الشاملة في التعليم

من العناصر الأخرى المرتبطة بمفهوم الجودة الشاملة في التعليم، والتي تعتبر بالنسبة للبعض عنصراً أساسياً، إدارة وتسيير القطاع التربوي، لدرجة أن البعض يعتبرها عنصراً أساسياً تقاس في ضوءه الجودة الشاملة في قطاع التعليم، وذلك وفق مقارنة النظم تقترب من المقاربة الفلسفية، شأنها شأن المبحث في أهداف التربية.

جودة إدارة التعليم وفق مقارنة النظم تستلزم النظر في كل جزء داخل المؤسسة التعليمية كجزء ضروري يتفاعل وظيفياً مع باقي العناصر، في المؤسسة (أهداف، قوانين، أفراد، تجهيزات، عمليات، منتج...) والاعتقاد أن المؤسسة قابلة للتحسين المستمر للوصول إلى جودة أفضل هو في حد ذاته موقف فلسفي من شأنه تحقق جودة مخرجات المؤسسة، ومصطلح إدارة الجودة الشاملة TQM هو بالأساس مصطلح اقتصادي ظهر بناء على التنافس الصناعي والتكنولوجي بين الدول الصناعية المتقدمة، بهدف مراقبة جودة الإنتاج وكسب ثقة السوق والزبون بغرض الاستجابة للطلب وتحقيق الامتياز لنوعية المنتج في أي مجال، ويشمل ذلك مجال التربية والتعليم⁽¹¹⁾.

خامساً: معايير الجودة الشاملة حسب نماذج الجودة والتميز العالمية

1. نموذج ديمينج للجودة Deming model TQM

ويسمى أيضاً بالنموذج الياباني للجودة. المعايير التي يركز عليها هذا النموذج هي معايير إدارة العمليات المؤدية والمحققة للجودة الشاملة Managing processes وتتحد المعايير التي يجري من خلالها قياس أداء المنظمات لنيل الجائزة فيما يلي⁽⁴⁾:

- **السياسات Policiers**: ويختص هذا المعيار بشرح السياسات التي تتبعها المنظمة والعمليات الخاصة بها ومدى وجود أهداف طويلة وقصيرة المدى وكل ما يتصل بالقيادة.
- **التنظيم والتنمية Organisation & Développement**: ويختص هذا المعيار بالتنظيم العام للمنظمة وأسس توزيع السلطة ومدى استعمال فرق العمل، كما يختص أيضاً بالوقوف على طبيعة الهيكل التنظيمي وتوزيع الاختصاصات والعلاقات بالأطراف الخارجية.
- **المعلومات Information**: وقيس هذا المعيار مدى استعمال المعلومات في المنظمة وطرق استقبالها من مصادرها الداخلية وأيضاً الخارجية وكيفية تداولها وتنظيمها وتحديثها.
- **التحليل Analysis**: وقيس هذا المعيار أساليب حل المشكلات التي تواجه الجودة في المنظمة وأسس تربيتها من حيث أولوية التعامل معها والخطط المقدمة لحلها ومدى الاعتماد على التقنية والمعلومات.
- **التخطيط للمستقبل Planning for the future**: وقيس هذا المعيار ما تقوم به المنظمة من خطط لتحسين الجودة مستقبلاً مع توضيح الموقف الحالي للجودة التي تسعى الخطط لتحقيقها ومدى الالتزام بتلك الخطط.
- **التعليم والتدريب Learning & Training**: ويتعلق هذا المعيار بتوضيح أنشطة التدريب الخاصة بالعاملين والخطط المستقبلية للتدريب والتعليم.
- **توكيد ضمان الجودة Quality assurance**: ويختص هذا المعيار بقياس تفاصيل ضمان الجودة بدءاً من تصميم السلعة أو خدمة التفتيش والمتابعة أثناء عملية مراقبة إرضاء العملاء.

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

- **تأثيرات الجودة Quality effects:** يقيس هذا المعيار النتائج التي تحققت للمنظمة
- **التنميط Standardization:** ويتناول المعايير المستعملة في نظم الجودة وكيفية تطبيقها وأساليب تحديثها.
- **الرقابة Control:** و يقيس هذا المعيار الأساليب المختلفة التي تتبعها المنظمة للتحقق من تميز وجودة المنتجات والخدمات التي تقدمها لعملائها.

في ضوء المعايير المذكورة آنفاً تقوم مؤسسة ديمينج بمنح جائزة للأفراد والهيئات التي تحقق إنجازات في مجال مراقبة الجودة حيث تمنح للأفراد، للتطبيق المتميز ولعملية الرقابة على الجودة. كانت الجائزة تقدم لليابانيين فقط ثم تحولت إلى المستوى العالمي عام 1984 حيث أبدت شركات غير يابانية اهتمامها بالجائزة وتقدمت للفوز بها. ولقد تم تكييف هذا النموذج للمؤسسات التعليمية سنة 1986 ليشمل 14 معياراً هي⁽⁷⁾:

1. إيجاد التناسق بين الأهداف.
2. اعتماد فلسفة الجودة الشاملة.
3. تقليل الحاجة للتفتيش.
4. إنجاز الأعمال المدرسية بطرق جديدة.
5. تحسين الجودة، الإنتاجية، وخفض التكاليف.
6. التعلم مدى الحياة.
7. ممارسة روح القيادة في التعليم.
8. التخلص من الخوف.
9. إزالة معوقات النجاح.
10. توليد ثقافة الجودة لدى العاملين.
11. تحسين العمليات.
12. مساعدة الطلاب على النجاح.
13. الالتزام.

14. المسؤولية.

- وحتى يكون للتطبيق الفعلي للجودة الشاملة في قطاع التربية وجود لا بدّ من توفر خمسة ملامح أو صفات للتنظيم الناجح لإدارة الجودة الشاملة من أجل الوصول إلى جودة متطورة ومستدامة وذات منحنى دائم الصعود، وهذه الملامح هي:
- حشد طاقات جميع العاملين في المؤسسة بحيث يدفع كل منهم بجهد وإبداعه تجاه الأهداف الإستراتيجية للمؤسسة مع التزام الجميع بما يخصه.
 - الفهم المتكامل للصورة العامة، وخاصة لأسس الجودة الموجهة لإرضاء متطلبات "العميل" أو مُلْتَقَى الخدمة، والمنصبّة على جودة العمليات والإجراءات التفصيلية واليومية للعمل.
 - فهم روح العمل الجماعي - عمل الفريق.
 - التخطيط لأهداف لها صفة التحدي وتلزم المؤسسة وأفرادها بارتقاء واضح وملموس في نتائج جودة الأداء.

الإدارة اليومية المنظمة للمؤسسة - القائمة على أسس مدروسة وعملية - من خلال استعمال أدوات مؤثرة وفعالة لقياس القدرة على استرجاع المعلومات وبيانات التغذية الراجعة⁽⁷⁾.

تعمل الاتجاهات الحديثة في قياس وإدارة الجودة على تقادي ضيق النظرة، أي الاكتفاء بقياس خصائص اتجاهية ومعرفية ومهارية وسلوكية في الخريجين، بل يمتد قياس إدارة الجودة في التعليم مثلاً، إلى جودة عناصر تقديم الخدمة التعليمية على مستوى النظم التعليمية. وفي هذا السياق قامت وزارة التعليم العالي البريطانية في سنة 1992 بتشكيل لجنة دائمة لتقييم جودة تلك العناصر على مستوى التدرج في الجامعات البريطانية.

وانبثقت عن هذه النتائج الرئيسية نماذج عديدة تنسب لأشخاص أو لهيئات وطنية أو إقليمية أو عالمية، لكل نموذج مواصفاته المكيفة لبيئات مختلفة ليكون مناسباً لخصوصية المؤسسة المعنية، فيما يلي بعض النماذج المكيفة لبيئات مختلفة:

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

2. النموذج الأوروبي لقاعدة إدارة الجودة

The European Foundation For Quality Management EFQM

تتلخص رسالة هذا النموذج في رفع الأداء العام للمؤسسات، وذلك بتصنيفها وترقيتها بأسلوب منظم⁽⁶⁾.

ويعتبر هذا النموذج من أبرز نماذج الجودة ويعتبر المرجع الأول للشركات الأوروبية التي تبحث عن الجودة والتميز وتعتبر شركة EFQM مبتكرة الجائزة الأوروبية للجودة التي تمنح كل سنة لتكريم أبرز الشركات الناجحة كما يعد تزويد الشركات بالتوجيهات العامة لتمكينها من النجاح وقياسه تقليداً من تقاليدھا. تم تأسيس المركز الأوروبي لإدارة الجودة بواسطة 14 عضواً سنة 1988، واليوم يضم 700 مؤسسة غير ربحية. ويتألف نموذج EFQM من العناصر التالية⁽¹¹⁾:

1. التركيز على النتائج المستهدفة Resultst orientation لكل ما له علاقة بالمنظمة ومنهم العاملون العملاء والمجتمع بوجه عام ويعتبر التركيز على النتائج المستهدفة لأصحاب رأس المال المعيار الأهم في الحكم على تميز الإدارة من عدمه.
2. التركيز على العملاء: Costumer focus ويعتبر العميل الحكم الأخير على جودة الإدارة بحسب ما يحصل عليه من خدمات ومنافع وشروط مقارنة بتوقعاته من ناحية وما يمكنه الحصول عليه من المنافسين من ناحية أخرى، ويجب على المنظمة تنمية علاقات التعامل مع العملاء والحفاظ على ولائهم لها والتركيز على خدمتهم لتحسين مركزها التنافسي.
3. القيادة الفعالة والأهداف الواضحة Leadership and constancy of purpose: هي من أهم محددات الأداء التنظيمي، ذلك أن فعالية القادة وسلوكياتهم هي التي تحقق الظروف المناسبة لجودة أداء عناصر المنظمة المختلفة.
4. الإدارة بالعمليات والحقائق Management by proccesses and facts ويعتبر هذا المعيار أن المنظمة المتميزة تنظم أنشطتها في شكل عمليات مترابطة تجري إدارتها وتوجيهها إلى الغايات والأهداف المخططة وفق معلومات متجددة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

5. تطوير وإشراك الأفراد People développement and involvement: ويعتبر هذا المعيار أنه على المنظمة توفير بيئة تنظيمية إيجابية لاستقطاب مشاركة العاملين وتنمية قيم ومفاهيم مشتركة بينهم باعتبار أن الموارد البشرية أثمن ما تمتلكه المنظمات وعقول البشر وأفكارهم تمثل رؤوس الأموال الحقيقية للمنظمات المتميزة.

6. التعلم المستمر والإبداع والتحسين Continnous Learning innovation and improvement: يؤكد هذا المعيار أنه على المنظمة التي تبحث عن الجودة والتميز أن تستثمر خبراتها ومعارف العاملين فيها ونتائج التطور العلمي وكل مستحدثاته التقنية في تطوير العمليات وتجديد المنتجات والخدمات وتفاذي الأخطاء ومنع تكرارها والاستمرار في الارتقاء والتميز في الإنتاجية⁽¹¹⁾.

7. تنمية علاقات الشراكة Partnership developement: بين المنظمة وكل من يتعامل معها وتحصل منهم على منافع وخدمات.

8. إدراك المسؤولية الاجتماعية للمنظمة Public responsability: ويؤكد هذا المعيار ضرورة احترام قواعد ونظم المجتمع الذي توجد فيه المنظمة يعتبره أساساً لنجاحها في المدى الطويل.

3. النموذج الاسكتلندي للجودة والتميز SQMS:

ويعتبر نظاماً عالمياً حيث، قام العديد من الدول باعتماده، وتبنّيه كاستراليا، وبولندا، وإنجلترا وإيرلندا، وقد صمم هذا النظام خصوصاً للتعليم المهني ويستعمل كأداة تُعنى بالتقييم الذاتي، لتطوير المؤسسة التعليمية. حيث يتصف بالشمول لتغطيته جميع العمليات، التي تجري في المؤسسة التعليمية، لتوفيره مؤشرات تهتم بتنمية الموارد البشرية. وقد بين التطبيق الإجرائي لهذا النموذج العديد من النتائج الإيجابية منها: تحسين الإنتاجية للمؤسسات التعليمية، وسدّ حاجات المستفيدين من النظام التعليمي، المتعلمين، وسوق العمل، والمجتمع... إلخ.

ويتكون هذا النموذج من عشرة معايير، تنطبق على جميع المراحل الدراسية (الروضة الابتدائي، المتوسط، الثانوي، الجامعة) وهي:

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

1. الإدارة الإستراتيجية: وتعمل على تحديد التوجهات العامة للمؤسسة التعليمية، وتحديد خطة العمل.
2. إدارة الجودة: وتقيس إمكانيات، وقدرة المؤسسة التعليمية على توفير الخدمة، التي تحقق توقعات المستفيدين منها.
3. التسويق ورعاية العميل: ويهدف هذا المعيار إلى بقاء البرامج، والمناهج التعليمية، انساقاً مع متطلبات سوق العمل، وهذا لضمان الاستفادة الميدانية من إمكانيات الخريجين، وربط التعليم بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي.
4. الموارد البشرية: ويهدف هذا المعيار إلى ضمان استمرار التدريب للموارد البشرية مما يجعلهم قادرين على أداء أعمالهم بفاعلية، وإنتاجية عالية.
5. تكافؤ الفرص: يضمن هذا المعيار تكافؤ الفرص لجميع المتعلمين، والعاملين في المؤسسة التعليمية، وهذا الأمر يعزز الولاء، والرضا، ومن ثم زيادة الكفاءة في المنتج.
6. الصحة والسلامة: ويضمن هذا المعيار، توفير بيئة صحية وأمنة للعاملين والمتعلمين، وكل من يرتاد المؤسسة التعليمية.
7. الاتصال والإدارة: ويؤكد هذا المعيار ضرورة اعتماد فلسفة إدارية، معاصرة لضمان تحقيق للأهداف المنتظرة، ويجب أيضاً التواصل بين كل أطراف العملية التعليمية.
8. خدمات الإرشاد: ويهتم هذا المعيار بالمتعلم، بتقديم الدعم النفسي والبيداغوجي، والاجتماعي له لتحقيق التوافق، والانسجام بينه وبين مجتمعه.
9. تصميم البرنامج وتنفيذه: ويختص هذا المعيار بتنفيذ البرامج التعليمية، في ضوء متطلبات واحتياجات سوق العمل، كما يهتم أيضاً بتنفيذ هذه البرامج باختيار طرق التدريس المناسبة، التي تركز على الأنشطة واحتياجات المتعلمين.
10. التقييم ومنح الشهادات: يؤكد هذا المعيار ضرورة منح الطلاب المؤهلات التي يستحقونها، استناداً إلى مجموعة من أدوات التقييم، التي تكفل النزاهة والعدالة.

4. نموذج إدارة الجودة في الولايات المتحدة الأمريكية:

واجهت مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية العديد من التحديات منذ عام 1999 وبخاصة منذ تخفيض الميزانية الخاصة بها، ومن ثم كان لا بدّ من إعادة التقييم والمراجعة للمناهج والطلب وذلك للمساهمة في برنامج التطوير الاقتصادي حيث ظهرت بعض المشاكل بالموازنة بولاية (كاليفورنيا)، وحيث إن التقييم ونظمه المتعددة قد أسست لتقيس تأثير المؤسسات فيما يتعلق بتعليم الطالب من خلال التركيز على الجامعات وتعليم الطالب الجامعي لمقابلة متطلبات العمل الدائمة التغير وكذلك تزويد الطلاب بالمهارات والمعرفة. ثم إن نجاح الشركات في استعمال إدارة الجودة الشاملة قد شجع العديد من مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية على اعتمادها؛ وذلك لمواجهة أزمة نصف العقد الأخير، كما أن العديد من المؤسسات بدأت تطبيق إدارة الجودة الشاملة، كما حدث في جامعة و(سكوتسن ماديسون)، وجامعة (شمال داكوتا)، وكلية مجتمع (ديلاوير) وجامعة ولاية (أوريجون)، كما أخبر بوخالترعام 1996 أن هناك (160) جامعة في أمريكا تضمنت مبادئ تحسين الجودة، ونحو (50%) منها قد أسس تركيباً تنظيمياً للجودة⁽⁴⁾.

إن الولايات المتحدة كانت أول من راعى مبدأ توازي "الحرية والجودة"، حيث سمحت لمئات بل آلاف المؤسسات التعليمية أن تنتشر وفي نفس الوقت ومنذ أوائل القرن العشرين أنشئت الآليات المناسبة التي تتابع جودة أداء هذه المؤسسات وتعتمد ما يستحق منها الاعتماد Accreditation وتجعل نتائج هذه المتابعة متاحة لراغبي التعليم حتى يكونوا على بينة من موقف مؤسسات التعليم المتاحة⁽¹⁹⁾.

5. نموذج إدارة الجودة في ماليزيا:

خضع قطاع التعليم الماليزي للنمو الأساسي نتيجة للجهود التي جعلت وزارة التعليم تتوسع وتنتظر إلي التعليم بوصفه صناعة واستثمار، حيث زاد تسجيل الطلاب في مؤسسات التعليم العالي بنسبة (9%)، فقد كان عدد الطلاب عام 1996م هو (17,569) طالباً، ثم زاد عام 1997م

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

إلى (28,344) طالباً بعد الانفتاح علي التعليم العالي بقدر كبير، وقد بلغ عدد مؤسسات التعليم العالي التي تطبق إدارة الجودة الشاملة⁽¹¹⁾ إحدى عشرة جامعة عامة وست جامعات خاصة، وزاد تخصيص (30%) من الميزانية للتعليم ابتداء من العام 1997م، كما تتفق الحكومة علي خمسين ألف طالب يدرسون خارج ماليزيا، لذا خصصت الحكومة الماليزية أكثر من مئة مليون دولار لنقابة التعليم الوطنية لدعم دراسة الطلاب في مؤسسات التعليم العالي⁽¹⁶⁾.

سادساً: جودة مخرجات التعليم والحاجة لهيئات ضامنة

فيما يخص معايير جودة المنتج الذي هو مخرجات المدرسة، إنها مرتبطة يرضى الزبون، أو المستفيد من خدمات الخريج.

يمكن اعتبار المخرجات الفعالة معياراً لجودة النظام التعليمي لأن مفهوم الفاعلية مفهوم نفعي، ومادامت المنفعة موجودة ومحقة للهدف المعلن من طرف المؤسسة التعليمية، يكون موجوداً معها، بالضرورة جودة في الجهة التي حققت تلك الحاجة وفق المواصفات المعلنة (الخريج النافع للمجتمع والمستفيد من تلك المنفعة) أو الخدمة (التوجيه، والإرشاد، والتدريس وفق برامج ومصادر طرق وبيئة ملائمة وفعالة)، أو الإجراءات التنظيمية المؤدية لتلك النتيجة (إدارة الجودة الشاملة)⁽¹⁰⁾.

مؤشرات جودة مخرجات النظام التعليمي هي مؤشرات رقمية، إحصائية دقيقة تخص خريجي المدارس والجامعات، كم عدد المتخرجين؟ كم عدد من يشتغل في ميدان تخصصه؟ كم عدد البطالين منهم؟... وهل النظام الجامعي الجديد المعروف بـ (LMD) يستجيب لمطالب سوق العمل أم هو مجرد نموذج غريب عن حقيقة مجتمعنا ومن ثم لا فائدة منه ولا يمكن اتخاذه معياراً للجودة؟

الحاجة إلى هيئات ضامنة للجودة

في عصر تتشابك فيه المصالح وتحتدم المنافسة للهيمنة على السوق واستقطاب الزبون،

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

يحتمل أن يجري التسويق لرؤية جزئية عن الواقع تتمثل في المصلحة المادية مثلاً، خدمة لأي اتجاه إيديولوجي مستحدث، كالعولمة مثلاً. إن كانت العولمة أمراً واقعاً، لها من المبررات الآنية ما يدعم ركائزها، فهذا لا يعني أنها باقية باعتبار أن الجدلية بين ما هو كائن وما يجب أن يكون تبقى قائمة، دوماً، ما بقيت هنالك حياة وصيرورة، وبحثاً عما هو أحسن وأجود.

جودة المخرجات ملموسة وهي تختلف عن جودة الأهداف التي هي قيم ومَعانٍ، ويمكننا القول في هذا الصدد إن معايير الجودة في ميدان المحسوسات ثابتة نظراً لحتمية القوانين التي تحكم الطبيعة ويمكن للإنسان أن يحدد معايير لها وأدوات تقيسها وتمكنه من تعرّف نوعيتها وعلى مدى جودتها وقيمتها.

لمعرفة جودة الذهب، مثلاً، يوجد معيار مادي يتمثل في حجر أسود، أو محك يمكن صاحبه أن يعرف ما إذا كان المعدن الأصفر ذهباً أو غير ذلك. تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الذهب أدّى منذ القدم دوراً اجتماعياً، حيث كان هو العملة المتداولة التي تسهل التبادلات التجارية بين الناس قبل أن يستبدل بالعملة الورقية. ونظراً لكون المعدن الأصفر ليس بالضرورة ذهباً حيث يمكن أن يكون نحاساً مصقولاً ولا تكفي حواس الإنسان وحدها للتمييز بين الذهب والنحاس، لجأ الناس إلى معيار يمكنهم من التمييز بين المعدنين، ونظراً لكون التبادلات التجارية تتعطل إذا لجأ كل الناس للمعيار الذي يمكنهم من تعرّف جودة تلك العملة قبل أن تجري المعاملة التجارية، لجأ الإنسان إلى آلية تضمن جودة الذهب دون الرجوع إلى المحك، فقد سجل التاريخ في المدة بين 332 و 363 قبل الميلاد آلية سك رأس ملك مقدونيا على القطعة الذهبية لضمان وزنها وجودتها. ولكن ذلك لم يكن ضماناً كافية حيث سجل التاريخ حالات من التزوير أثبتت أن تلك الآلية لم تكن كافية لضمان جودة عملة التبادل. بعد نمو حركة التجارة العالمية، وفي نهاية العصور الوسطى، وقبل انتشار العملة الورقية، ظهرت في سنة 1906 في مدينة أمستردام الهولندية أول هيئة مستقلة تقوم بمهمة الكشف عن نوعية النقود المعدنية المتداولة بين التجار الوافدين من مختلف أنحاء العالم، حيث كان ميناء أمستردام آنذاك مركزاً تجارياً عالمياً. وكانت تلك الهيئة تُعَيِّر الذهب وتمنح بياناً مكتوباً يثبت جودة ذلك المعدن

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

للتاجر الذي يطلب ذلك. وتعتبر تلك الهيئة أول مؤسسة عالمية ضامنة للجودة. وكانت تأخذ نقوداً مقابل أعبائها في عملية الكشف عن مدى جودة تلك العملة المعدنية، من حيث الوزن والنوعية، وكانت حريصة على إثبات صِدْقها لضمان ثقة الزبون بها حتى تضمن ديمومتها⁽²¹⁾. أقرب من عصرنا هذا، مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، ونظراً للرغبة في تنشيط التجارية العالمية وتسهيلها ظهرت الحاجة لهيئة ضامنة لجودة المنتجات الصناعية فتم إنشاء منظمة دولية مستقلة تعرف بمنظمة الإيزو (International Standard Organisation (ISO) (2011) أنشئت هذه المنظمة في أكتوبر سنة 1946 من طرف مجموعة من المندوبين من 25 بلداً، بغرض التنسيق الدولي لتوحيد معايير جودة المنتجات الصناعية. بدأت المنظمة عملها رسمياً في 23 فبراير 1947.

تعتبر منظمة الإيزو أكبر منظمة تختص في تطوير ونشر معايير الجودة على المستوى الدولي. وتتشكل من شبكة من المعاهد الوطنية الموزعة على 163 بلداً. مقر الأمانة المركزية للمنظمة التي تتولى تنسيق النظام هو في جنيف، بسويسرا. منظمة الإيزو غير حكومية رغم أن العديد من أعضائها ينتمون إلى هيكل حكومية في بلدانهم أو مكلفون من قبل حكوماتهم. تضم كذلك أعضاء أحرار ينتمون للقطاع الخاص ضمن جمعيات في ميادين الصناعة⁽¹⁾.

ولأنّ المنظمة دولية والحروف الاستهلاكية (ISO) المعبرة عنها تختلف من لغة أخرى: International Organisation for Standardization (ISO) باللغة الإنجليزية و International Organisation de Normalisation (OIN) بالفرنسية... الخ، قرر مؤسسو المنظمة منحها اسماً غير منحاز لأي ثقافة، في تقديرهم، بغية تجسيد صفة الدولية عليها، فوقع اختيارهم على العبارة إيزو "ISO"، المستمدة من اللغة اليونانية ISOS. ومعناها "على قدم المساواة". وأياً كان البلد، أياً كانت اللغة، يبقى اسم المنظمة "المعياري" دائماً "إيزو"⁽¹¹⁾.

يجري تطوير معايير الجودة ضمن المنظمة عن طريق لجان فنية technical committees تضم خبراء من القطاعات الصناعية والتقنية والتجارية التي تطلب تطوير معايير الجودة لها،

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وخبراء من ممثلي الوكالات الحكومية، والمخابر وجمعيات المستهلكين والمنظمات غير الحكومية والأوساط الأكاديمية.

هؤلاء الخبراء يشاركون ضمن وفود وطنية ويختارهم أعضاء المعاهد الوطنية التابعة للمنظمة لدى البلدان المعنية. ويلتزم أعضاء الوفود المعنية بتمثيل وجهات نظر المنظمات التي ينتمون إليها والشركاء الاجتماعيين الآخرين. وفي ضوء ما يتم تحديده من قواسم مشتركة بين الأطراف يقوم الخبراء بتطوير معايير الجودة في القطاعات المعنية، ولكل قطاع رمز يدل عليه. إيزو 9000 هو الرمز الذي يدل على معايير جودة المؤسسات الخدماتية مثل التربية⁽¹⁷⁾.

للمنظمة عدة إصدارات وتعريف للجودة. الإصدار رقم ISO 8402 والصادر عام 1994 على أن: "الجودة مجموعة الخواص والخصائص الكلية التي يحملها المنتج أو الخدمة وقابليته للاستعمال Fitness For Use ومطابقته للغرض".

ويمكن للمنظمة أن تصدر حكمها بخصوص المطابقة للغرض استناداً إلى المعيار الذي يشتمل على المؤشرات الستة التالية:

1. **ملاءمة التصميم Adequacy of Design:** للهدف المعلن، أي مدى تحقيق مواصفات التصميم لمتطلبات العميل.

2. **المطابقة مع التصميم Conformance to Design:** مدى المطابقة مع مواصفات التصميم بعد إتمام عملية التصنيع والذي يضع مسؤوليات على عاتق العمالة وكذلك يضع الطرق والوسائل المستعملة في عملية التصنيع على المحك.

3. **الوفرة والجاهزية للاستعمال Availability**

4. **الاعتمادية Reliability:** قدرة المنتج على أداء الوظيفة المحددة في ظروف تشغيل معنية مع استمرار الأداء مدة زمنية معلنة كذلك وبدون فشل.

5. **القابلية للصيانة:** الوقائية والعلاجية Maintainability.

6. **سهولة التصنيع Productability:** مدى قابلية التصميم للتصنيع باستعمال المتاح من

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

الوسائل والطرق والعمليات للأطر (الملاكات) البشرية العاملة بالمؤسسة.

في أواخر القرن العشرين، وبعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والاشتراكي والغربي الرأسمالي، بعد سقوط جدار برلين الفاصل بين المعسكرين والإيديولوجيتين، بدأت معالم ما بات يعرف بالعولمة تفرض واقعها الجديد على كل البلدان، وتمثل ذلك الواقع الجديد في تكتلات إقليمية كبرى حيث توحدت البلاد الأوروبية وفتحت دول الخليج العربي ودول شرق آسيا والدول المغاربية الحدود بينها... الخ. وكان من نتائج هذه الظاهرة العالمية الجديدة الحاجة إلى إصلاحات وطنية في شتى الميادين لتسهيل عملية الاندماج وحركة الأفراد في إطار التكتلات الجديدة. ولتحقيق ذلك ظهرت الحاجة لإصلاح منظومتها التربوية، في مضامينها وهيكلتها ومعايير جودتها⁽¹¹⁾.

ويبدو أن التكتلات هذه تتجه نحو تكتل عالمي حول مبادئ السوق الحرة وما تقتضيه من حركة للأفراد وتناغم حول قيم الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في التنقل والكسب والملكية والمعتقد والتعليم إلى آخره من القضايا التي ربما يوجد بشأنها إجماع دولي فعلي على أنها تشكل قواسم مشتركة بين مختلف الثقافات⁽³⁾.

مع تصاعد المعاملات التجارية "العالمية" في ضوء تزايد المنتجات الصناعية وانفتاح التجارة على الأسواق الخارجية والتكتلات بين الدول وفتح الحدود بينها، تزايدت الحاجة إلى هيئات ضامنة لجودة المنتجات المعروضة ويشمل ذلك خريجي المؤسسات التعليمية.

إذا كانت المنتجات الصناعية تنتمي لعالم المحسوسات الخاضعة لاحتماية القوانين الطبيعية التي يمكن للإنسان أن يحدد لها معايير ثابتة قابلة للتعميم على مختلف المجتمعات، من شأنها أن تقيس جودتها، فإن مخرجات المؤسسات التعليمية تختلف حيث تشكل ثنائية حرجة بين الحسيات والمعنويات، بين الأهداف الخاصة بكل مجتمع والسلوكيات الحس حركية لخريجها، بين القوانين الاجتماعية والقوانين الطبيعية كما ينظر إليها كارل بوبر (Popper 1945)، مما يصعب مهمة أي هيئة عالمية ضامنة لمنتجاتها⁽¹⁾.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

من جهة أخرى، ليس كل مؤسسة تعليمية تدعي أن بضاعتها ذات جودة عالية هي صادقة في ادعاءاتها إلا أن تأتي بالبيّنة. والبيّنة المقبولة عادة هي شهادة ممن نثق في صدقه وأمانته. وكان من الطبيعي أن يقابل ذلك المطلب عروضاً من أطراف مستقلة تدعي بدورها أن لديها من المعايير الكفيلة بقياس جودة منتجها وأنها ذات صدقيّة وأنها توفر تلك الضمانات. هذا الادعاء بدوره يستلزم الإتيان بالبيّنة حتى تثبت صدقيّتها وتحرز على ثقة المجتمع المؤسسات التي تطلب تلك الشهادة والزبون على حد سواء، حتى تستقطب الطلب على الخدمة التي توفرها والمتمثلة بضمان الجودة (Quality Assurance).⁽¹¹⁾

من الناحية الإستمولوجية، استقراء الواقع حول مدى ثقة الناس في طرف يدعي الصدق في شهادته حول جودة أي بضاعة لديه وإن كانت خدِميّة، لا يكفي لاعتماده شاهداً صادقاً وأميناً. آلية الترجيح تكون إذن تمحيص الأدلة المنطقية التي يقدمها الشاهد في شهادته، تمحيص المنطقات أو المعايير التي يبني عليها أحكامه حول جودة البضاعة. الموقف الناقد يستلزم البحث في المنطقات التي يستند إليها الشاهد في شهادته بدل النتائج المنطقية المنبثقة من تلك المنطقات (إصدار أحكام قيمية). وفي هذا المقام، يتملّ الموقف "العلمي" الصحيح، في رأينا، في البحث عما يفدّ تلك المنطقات بدل البحث عما يثبت النتائج المنبثقة عنها (الشهادة) بمجرد استقراء الواقع حول مدى ثقة الناس بتلك الشهادة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن قوة الإقناع قد تكون نتاج دعاية، مما يعزز الموقف الناقد لمثل هذه القضايا.⁽¹⁴⁾

إذا كانت منظمة الإيزو قد أنشئت بغرض توحيد معايير جودة المنتجات الصناعية، فكيف لها أن تؤدي نفس الدور بالنسبة لمخرجات المؤسسات التعليمية كما تدعي في المعايير الخاصة بالمؤسسات الخدماتية المعروفة بإيزو 9000؟

الجواب وفق إصدار إيزو 9001:2008 هو أن معيار الملاءمة لقطاع التربية يوضح المتطلبات التي يجب على نظام الجودة الخاص بالمؤسسة الخدميّة أن يفي بها، ولكن لا يملّي الكيفية التي يحقق بها ذلك، وهذا يترك مجالاً واسعاً ومروراً لتنفيذ الإجراءات الملائمة في

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

المؤسسات المختلفة في البلاد المختلفة. وللتحقق من جدوى المعيار تقترح المنظمة على المؤسسات المعنية اتخاذ الإجراءات التالية أو بعضها:

1. مراجعة الحسابات والتحقق من أن إدارة العمليات تجري على نحو فعال أو بعبارة أخرى، التحقق من أن كامل الأنشطة تحت المراقبة.

2. قد تدعو المؤسسة زبائنها لمراجعة نظامها قصد تقديم المنتجات أو الخدمات التي تحقق طلباتهم.

3. إمكان الاستعانة بخدمات هيئة مستقلة لتصديق نظام الجودة بغية الحصول على شهادة المطابقة إيزو 9001:2008. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخيار الأخير لقي مشاركة واسعة من طرف المؤسسات التي تطلب شهادة المنظمة على جودة منتجاتها، وذلك بسبب الاعتقاد أن التقييم المستقل يمنح الصدقية للشهادة، ومن جهة أخرى يجنب المؤسسة التدقيق المستمر من قبل عملائها، أو يحد منه. ويمكن للشهادة أن تكون بمثابة "مرجع تجارية" بين المنظمة المنتجة والعملاء المحتملين، وخصوصا عندما تكون العلاقة بين المنتج والزبون جديدة أو عندما تكون المسافة الفاصلة بينهما كبيرة، كما هو الحال في سياق التصدير إلى الخارج.

ولأن المؤسسة التعليمية في البلاد المختلفة لها خصوصية، كما أشرنا إليه آنفاً، فهي تعتبر نفسها فريدة، ولأن معيار الجودة كما تم ضبطه من طرف منظمة الإيزو يسمح بقدر كاف من المرونة، خاصة إمكان اللجوء إلى هيئات مستقلة للتصديق على نظام الجودة ضمنها"، فهذا يفتح المجال لأصحاب المبادرة لإنشاء هيئات مستقلة وسيطة بين المنظمة الدولية إيزو والمؤسسات التعليمية. تلك الهيئات الوسيطة توفر خدمة تتمثل في منح الاعتماد والاعتراف بجودة نظام المؤسسة التعليمية، ولأن تلك الهيئات الوسيطة تحتاج لإثبات صِدْقِتها، هي نفسها تلجأ لهيئة ذات صدقية، تكون عادة هيئة دولية معترف بها مثل منظمة الإيزو، ولتحصل على شهادة المطابقة للغرض الذي هو تعريف الإيزو لمفهوم الجودة، لا بد أن تثبت مطابقة الخدمة التي تقدمها للغرض المعلن المتمثل في تقييم المؤسسات التعليمية ومنحها شهادة الاعتماد

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

لبرامجها أو إدارتها أو غيرها من العمليات القائمة ضمنها. ولكي تحصل تلك الهيئات الوسيطة على الاعتراف بجودة الخدمة التي تقدمها للمؤسسات التعليمية، عليها أن تثبت أن مؤشرات معيار الجودة كما حدد من طرف منظمة الإيزو أو غيرها من المنظمات المانحة، تنطبق على مواصفاتها.

سابعاً: الهيئات الوسيطة الضامنة لجودة مخرجات التعليم

بالفعل، الحاجة لضمان جودة التعليم الذي تقدمها المؤسسات التربوية في البلاد المختلفة أفرزت تأسيس عدد من الهيئات الوطنية التي طورت أحياناً هيئات إقليمية، أسندت مهمة ضمان جودة التعليم في تلك البلدان والأقاليم. منها مثلاً ضمان جودة التعليم العالي في البلاد الآسيوية.

Asian University Quality Assurance Net (AUNQANET) التي أسست سنة 1998 واشتملت على 17 جامعة من 10 بلدان آسيوية. وأسندت إلى تلك الهيئة مهمة تطوير آليات تمكن جامعات المنطقة من تحقيق مستوى عال من التعليم والحفاظ عليه في عالم معولم، بغرض تحقيق التناغم بين جامعات المنطقة والاعتراف المتبادل بالشهادات الممنوحة من طرفها. ولتحقيق ذلك الهدف اعتمدت مبادئ جدارة الجودة الشاملة التي حددتها منظمة الإيزو⁽¹¹⁾.

في البلاد العربية يمكن التنويه بالتجربة المصرية المجسدة في "الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد (ANQAEE) التي أنشئت بقرار الرئيس حسني مبارك بصدر القانون ذي الرقم 82 لسنة 2006 والقرار الجمهوري ذي الرقم 25 لسنة 2008 بإصدار اللائحة التنفيذية له. ولتحقيق الصدقية والاعتراف المحلي والدولي بقرارات الهيئة المنبثقة عن عملية "التقويم الشامل للمؤسسات التعليمية وبرامجها طبقاً للمعايير القياسية والمعتمدة لكل مرحلة تعليمية ولكل نوع من المؤسسات التعليمية"، قامت الهيئة بتشكيل لجان إعداد معايير التعليم العالي والتقويم الذاتي والمراجعين المعتمدين، شارك فيها 280 خبيراً من مؤسسات التعليم المختلفة

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

التي انتهت أشغالها بإعداد كل من⁽¹⁷⁾:

أ. المعايير الأكاديمية القياسية القومية لقطاعات التعليم الجامعي (تخدم 113 كلية في عدد من القطاعات هي الهندسة، الطب البشري، التمريض، الطب البيطري، طب الأسنان، الصيدلة، الزراعة، العلوم السياسية، الآداب، التربية الرياضية).

ب. معايير اعتماد الكليات والمعاهد.

ج. معايير اعتماد الجامعات.

د. معايير اعتماد البرامج التعليمية.

هـ. معايير اعتماد التعليم الإلكتروني.

و. معايير الممارسة الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم.

ز. أدلة وأدوات مساعدة (دليل التقييم الذاتي، دليل، دليل التعليم الفعال، دليل تصميم خريطة المناهج... 11 دليلاً).

خلاصة

ما يمكن استخلاصه هو أن معايير جودة المؤسسات التعليمية تختلف باختلاف المجتمعات ولا شيء يثبت جودتها دون بيئة. ولأن البيئة على من ادعى، لجأ الكثير من المؤسسات إلى "تطبيق" معايير تثبت جودة منتجاتها. وانقسمت تلك المعايير إلى:

1. صنف له طابع محلي مصدره أشخاص مثل (ديمنج)، وهناك من كيف نموذج أو اقترح نموذجاً بدلاً هو رؤية مختلفة، أو مصدره إلى هيئات خاصة أو حكومية مانحة لشهادة الجودة. ويلاحظ أن من بين مؤسسات التعليم التي لجأت لهذا الصنف من المعايير أو نماذج الجودة، مؤسسات التعليم ما قبل الجامعي.

2. الصنف الثاني من معايير مصدره دولي. ويلاحظ أن معظم مؤسسات التعليم التي لجأت إلى الصنف الدولي للمعايير هي الجامعات، إذا استثنينا الهيئة الإقليمية الأوروبية EFQM التي طبقت معاييرها في الجامعات وما قبل الجامعات على مستوى "دولي"، نظراً لكون أوروبا

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

تشكل وحدة اقتصادية وسياسية أزالَت الحدود بين الدول المشكلة لها. ربما عولمة الاقتصاد هو ما يفسر أن معظم المؤسسات التي لجأت إلى معايير دولية هي الجامعات نظراً لكون الجامعات مفتحة على التبادل العلمي، وبسبب تنقل الطلبة والباحثين من جامعة إلى أخرى، مما يستوجب تحديد معايير معترف بها دولياً لكي يَحْدُث التبادل بقدر من الثقة في منتج الجامعة.

التوصيات

بعد إجراء التحليل العلمي للمعلومات المتعلقة بالجودة الشاملة ونظم الاعتماد الأكاديمي وبعد تعرّف المعايير الدولية والاتجاهات الحديثة في المؤسسات الأكاديمية العالمية، يمكن وضع تصور واضح لعدد من التوصيات للارتقاء بكفاءة ونظام التعليم العالي وذلك على النحو التالي:

- إنشاء هيئة مستقلة للاعتماد الأكاديمي تتولى تقويم وضبط الجودة والنوعية في المؤسسات التعليمية، وبما يُماشى مع المعايير الدولية.
- وضع توصيف وظيفي وفق النظام الإداري للمسؤولين عن المؤسسات التعليمية.
- وضع معايير جودة محددة لجميع مجالات العمل في المؤسسات التعليمية: خدمية، إنتاجية، إدارية، مالية.
- تدريب العاملين بالمؤسسات التعليمية لتطبيق إدارة الجودة بها.
- إجراء التقويم المستمر لجميع أعضاء هيئة التدريس والإداريين والمشرّفين والعاملين في المؤسسات التعليمية.
- حل المشاكل بشكل متواصل ومستمر وبطريقة علمية سليمة.
- الاهتمام بنوعية الجودة العالية للخدمات التي تقدمها المؤسسات التعليمية للفرد والمجتمع وفقاً لمعايير الجودة الشاملة.
- ضمان أن الأنشطة العلمية والبرامج الدراسية المعتمدة تحقق متطلبات الاعتماد الأكاديمي

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

- وتتفق مع المعايير العالمية في التعليم العالي ومتطلبات التخصص في مجالات التعليم المختلفة وكذلك حاجات الجامعة، والطلبة، والدولة، والمجتمع.
- العمل على تفعيل فكرة إنشاء وحدة الجودة الشاملة وتطوير الأداء بكلليات الجامعة في ضوء المعايير الدولية.

المراجع المعتمدة

أولاً: المراجع العربية

1. أحمد، سيد مصطفى، إدارة الجودة الشاملة والإيزو 9000، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998.
2. بسمان فيصل محبوب، إدارة الجامعات العربية في ضوء المواصفات العالمية، القاهرة، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2003.
3. خالد أحمد الصرايرة، وليلى العساف، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي بين النظرية والتطبيق، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد الأول العدد الأول، 2008.
4. خليل أحمد السيد، وإبراهيم عباس الزهري، إدارة الجودة الشاملة في التعليم: خبرات تعليمية وإمكانية الإفادة منها في مصر، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، المؤتمر السنوي التاسع، دار الفكر العربي، 233-267، 2001.
5. داوود عبد الملك الحدابي، وهدي عبد الله قشوة، جودة الخدمة التعليمية بكلية التربية من وجهة نظر طلبة الأقسام العلمية، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد الثاني، العدد الرابع، 2009.
6. زايدي عبد السلام ومالكية حميدة، الجودة الشاملة في التعليم: بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد، ورقة عمل مقدمة ضمن فعاليات ملتقى الوطني الثاني حول واقع وآفاق إصلاح المنظومة التربوية بين التجارب المحلية والنماذج العالمية، جامعة مسيلة يومي 10/09 مارس 2009.
7. زيد أبو زيد، الجودة الشاملة في التعليم <http://zaidabuzaid.jeeran.com/archive/2008/2/474070.html> (نشر المقال يوم الثلاثاء 19 فبراير 2008 وتم الاقتباس منه يوم 2014/02/11).
8. سلطان سعيد المخلافي، نظام مقترح لجودة التعليم في الجامعات اليمنية مجلة دراسات وبحوث تربوية العدد الرابع جامعة تعز، 2008.
9. عشبية، فتحى درويش، "الجودة الشاملة وإمكانيات تطبيقها في التعليم الجامعي المصري، دراسة تحليلية" في: تطوير نظم إعداد المعلم العربي وتدريبه مع مطلع الألفية الثالثة، المؤتمر السنوي لكلية التربية، جامعة حلوان، 26-27 ماي 2000،
10. فيصل عبد الله الحاج، دليل ضمان الجودة والاعتماد للجامعات العربية، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، 2008.
11. قادري يوسف، وآخرون، معايير الجودة، مقال في الكتاب السنوي لمخبر تطوير نظم الجودة في مؤسسات التعليم العالي والثانوي، 2011.
12. لحسن عبدالله باشيو، نزار البراويراي، نماذج الإدارة التعليمية المعاصرة بين متطلبات الجودة الشاملة والتحديات العلمية- دراسة مقارنة، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد الثاني، العدد الثالث، 2009.
13. ناجي رجب سكر، الجودة والتميز في الجامعات العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2006.
14. النجار، فريد راغب، إدارة الجامعات بالجودة الشاملة، أميرال للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.
15. هالة عبد القادر صبري، جودة التعليم العالي ومعايير الاعتماد الأكاديمي "تجربة التعليم الجامعي الخاص في الأردن" المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد الثاني، العدد الرابع، 2009.

..... تصور مقترح لمعايير جودة الأداء للتعليم العالي

16. الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد بجمهورية مصر العربية NAQAAE التعريف بالهيئة، القاهرة 2008.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Admas Tim : the Interview, the Guardian, UK, 2006.
2. Brain Holmes: Some Considerations of Method in Comparative Education, student seminar papers, département of comparative Education, 1975.
3. David, B., & Harold, T: Quality in Higher Education (Vol. 6): Routledge, part of the Taylor & Francis Group, 2000.
4. EFA, "Understanding education quality", Global Monitoring Report ,USA, 2005.
5. Galbraith J.K, Money : whence it came, where it went, Pelican Books UK, 1975.
6. Oxford: Advanced , Learners Dictionary of Guerrent E English, Oxford University Press, London, 1974.

التحريج العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

دراسة تفويجية لمقرر طرق البحث

أ. عبد الرحمن مسعود غواز

كلية الآداب زوارة

جامعة الزاوية - طرابلس

المقدمة

لكي يحقق الفرد التوافق عليه أن يتغلب على الكثير من العقبات، فقد تكون قدرة الفرد غير كافية لتؤدي بطريقة مرضية الفاعليات التي ينتظرها الآخرون منه، أو التي يتوقع هو من تلقاء نفسه أن يؤديها، وعدم الكفاية قد يكون جسيماً أو عضوياً.

إن المعرفة النظرية من النمط العلمي تتطوي على تحديد داخلي، بمعنى التساؤل هل عقل الإنسان قادر على التخلص من أسر التجربة والحدس العقلي؟ وهل سيكون قادراً على المعرفة المطلقة؟ وهل يقودنا ذلك إلى نفي وجود العقل العملي، ومن ثم إلى نفي قدرة العقل على إنقاذ الإنسان من حدود المعرفة بالمعنى الصحيح؟

المعرفة حقيقة لا تقتصر على اكتشاف قيم الوجود في العالم وحسب؟ بل توجهنا شطر المتعالي الأساسي الذي هو المطلق (التفسير الماورائي أو القيمي للمعرفة)، وقول بعض العلماء باستطاعة العالم، لا بل من واجبه إقامة حاجز عازل بين تصورات الماورائية (الميتافيزيقية) ونشاطه باحثاً، وقول البعض الآخر بأن هذا الحاجز ليس إلا وهماء، بل هناك اعتقاد علمي ميتافيزيقي الروح يسيطر على كل عالم، ويكمن هذا الاعتقاد في (خيارات حول حقيقة العالم الخارجي، وقيمة المعرفة، وطبيعة الحياة والحتمية)، مع إشارة بعض العلماء باسم التصورات الغربية إلى تجربة البحث إلى أنه لا يمكن أن يكون ثمة (علم جديد) مبني على

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مفهوم مثالي للمعرفة، وبأن المادية شيء لا بدّ منه لعالم جدير بهذا الاسم، وتكوين انطباع بوجود بعض الميادين في المعرفة ممنوعة من العلم (مشاكل واقعة على حدود الميتافيزيقيا/تداخل بين الفلسفة القديمة والعلم). يقول سقراط "هناك شيء واحد أناضل من أجله حتى النهاية، سواء في كلامي أو أفعالي ما استطعت ذلك - هو أننا إذا اعتقدنا أننا ينبغي أن نحاول أن نكتشف ما هو غير معلوم، فإننا ولا شك نكون أحسن حالاً وأكثر شجاعة وأقل كسلاً وتراخياً مما لو اعتقدنا أن ما لا نعرفه يستعصي على الاكتشاف، وأننا لسنا لذلك بحاجة حتى إلى المحاولة" (طلعت منصور، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، عدد 2، صيف 1988)، ولذلك سيعتقد العالم بحتمية القوانين الفيزيائية ما دام يبرر الاختيار الصحيح، لكنه سيكون مستعداً للتخلي عنها لمصلحة تصور خيالي، إذا ما أظهرت التجربة نواقص هذه الحتمية، ويترك هذا التصور ليعود إلى حتمية أوسع تتناسب هي ومجمل معارفنا، إلا أن المعرفة من النمط العلمي قوة حياة متجددة في الإنسان "قوة حياة في الفكر اتصالاً، قوة حياة في الإرادة ارتباطاً، قوة حياة في الذوق إقبالاً" (ديوبولد. ب. فان دالين، 1990، ص 1).

إن مدخلنا إلى الاعتقاد الصحيح لا يكون يقينياً إلا بالارتباط بالإيمان، وليس بمعرفة من النمط العلمي فقط، إن أصالة موهبة لا تتبع الإرادة بل تقودها، وهذه الأصالة لا يمكن طردها، ما دامت ترتبط بالبحث عن وحدة الوجود من وجهة النظر القيمية، وكتابنا الكريم يقول ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل ربي زدني علماً﴾ آية رقم (114)، سورة طه.

هذا المدخل يشير إلى ضرورة وضوح الفصل قدر الإمكان بين المعرفة في عمومها وبين المعرفة العلمية التي تحسن حياة الإنسان، وتمكنه من حياة تفاعلية تشد الرحال إلى الأمام إلى التقدم إلى الحداثة إلى ركب الحضارة المادية، وفي ذلك يقول عبد الرحمن ابن خلدون "لا تبعد عن الحس كل البعد، ولا يتعمق فيها الناظر، بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد، لأنها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات، وصدقها وكذبها يظهر قريباً في الواقع، فيستفيد طالبها حصول العلم بها، ومن ذلك يستفيد كل واحد من البشر بالقدر الذي يُسرّ له بالتجربة بين الواقع في

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

معاملة أبناء جنسه" (د. محمد المداعي، مجلة جامعة ناصر الأممية، العدد 2، 2008/07، ص 262)، وفي ذات الوقت إن النظرة القيمية النابعة من الإيمان تقود الإرادة بأصالة الوجدان الذي لم يزيغ بعد، ويقول الله تعالى في كتابنا العزيز «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» آية رقم (46) سورة الحج، ويقول تعالى في سورة الملك (آية 22) «أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم».

هذا البحث هو محاوله لتقويم استيعاب طلاب الأقسام المختلفة بكلية التربية - طرابلس، لتطبيق مقرر طرق البحث، لفصل الربيع 2010 ف، ومدى تأثير ذلك في تفكيرهم.

أهمية البحث

طرق البحث هي تلك الدروب التي نسلكتها نحو أهداف معينة (محددة)، ومن معالم هذه الدروب الأولى نجد أن هناك ضرورة لمعرفة التفكير؟ وكيف نفكر؟ وهل يساعدنا تفكيرنا هذا للوصول إلى أهداف واضحة الأبعاد؟ "... هناك اتفاق يكاد يكون عاماً بين الباحثين والمهتمين بموضوع التفكير على أن مهارات التفكير وتهيئة الفرص التي تستثيره أمران في غاية الأهمية، وأن تعليم مهارات التفكير ينبغي أن يكون هدفاً رئيساً لمؤسسات التربية والتعليم" (د. علي محمد عيسى، مجلة كلية التربية - طرابلس، عدد 3).

ومن معالم تلك الدروب (المناهج) التي انتهجها الباحثون وتحددت أبعادها وارتسمت في عقولهم، الباحثون عن الحقيقة والمغامرون عاشقوا الاكتشاف - (ويرى Carter Good أن تعريف البحث يختلف باختلاف أنواع البحوث ومجالاتها وأهدافها ووسائلها وأدواتها، ولذا فإنه من الأفضل ألا ينشغل الدارس منذ بداية دراسته بمناهج البحث، ويكتفي بالإلحاح على نوعية البحث الجيد وخصائصه) (جابر عبد الحميد وآخرون، 1978، ص 21) - وضمنوا جهودهم تلك الكتب، فكان المنهج التجريبي بأنماطه المختلفة، والوصفي بأنماطه المختلفة، والتاريخي، فتعددت المناهج واجتهد العلماء في تصنيفها وتباينت التصنيفات، وتداخلت وفق الأهداف

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

والتخصصات والأساليب، وترك لكل باحث حرية اختيار المنهج وتطويره، والذي يرى فيه إمكانية إبراز أفكاره وتحقيق أهدافه.

ومن معالم تلك الدروب أدوات جمع المعلومات، التي تختزل الزمن، وتحدد إمكانية الحواس البشرية، وتمنحها القدرة على إدراك الوهم والخداع الذي نكتسبه من البيئة القاصرة، وتقربنا من حقائق وجودنا في هذه الحياة، إن الملاحظة والمقابلة والاستبانة والاستبصار والاختبار والمقاييس، والتقنيات التي تستعمل في تطويرها من أجل السيطرة على البحث تتزاوج مع التفكير لتنتج وفق المنهج المتبع معرفة يمكن وسمها بالعلمية، حال التقيد والالتزام الواعي بأهمية الوصول للأهداف الواضحة في عقول الباحثين.

من معالم تلك الدروب تصنيف وتبويب وتحليل البيانات، وذلك يحتاج إلى عقل منظم وقدرة رياضية، حيث الرياضيات تمكن الباحث من الإحصاء، الذي ينقل الخصائص والماهية إلى أرقام تحمل دلالات كمية، وبتكرار التعامل معها نتقارب بالتدريج إلى قوانين تفسر لظواهر المدروسة معنوية كانت أو مادية، إنسانية أو لكائنات حية أخرى أو لجماد، ففي المجال التربوي "ذلك أنه لا يوجد علم دون تقدير كمي دقيق نسبي، لا لأن العلم هو القياس، ولكن لأن السمات التي تخلو من التحديد بدرجة معقولة، لا يتوفر فيها التدقيق اللازم للتفكير العلمي، فإذا أغفلنا التقدير الكمي يكاد أي تعميم أن يكون صحيحاً، ولذلك رفع عالم النفس (ثورندايك) لواء معركة البحث العلمي حاملاً كلماته (كل ما يوجد، يوجد بمقدار) (ديوبولد. ب. فان دالين، 1990، ص 26)، ولقد جاء في كتابنا الكريم قوله تعالى ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء ففدوره تقديراً﴾ آية رقم (2) سورة الفرقان.

من تلك الدروب استخلاص النتائج، والوصول إلى الهدف أو مضمون العلاقة بين المتغيرات، أو القانون أو مفاتيح تفسير الظاهرة، ومن ثمة إمكانية التطبيق على الواقع المعيش من أجل تحسينه وتطويره للأفضل.

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

إن تطوير التعليم والتربية يتحقق بتحديد المشكلات والمعوقات ودراستها علمياً، وهي التي يمكن إبرازها من خلال المحاضرات والواجبات والبحوث والاختبارات التي تقربنا من تفكير وتحصيل الطلاب، بل وما تمثله هذه الخدمة التعليمية والتربوية من دلالات لدى الطلاب وتَجَلَّى عموم تلك الخدمات في الواقع التربوي والتعليمي، والدكتور الجيلاني جبريل يشير إلى نقص فهم طلاب الدراسات العليا والباحثين الناشئين السليم لبعض جوانب أساسيات وقواعد المنهج العلمي في البحوث، فينظرون إلى البحوث وقواعدها وشروطها وسبل تطبيقها كل من زوايته وحسب فهم كل واحد منهم: فمنهم من يرى في المنهج العلمي قالباً جامداً وحداً ثابتاً، وآخر يرى في البحث مجهوداً ينطلق من الخبرات الشخصية ودوافعه الذاتية دون الاستعانة بالمصادر، وثالث يرى فيه المهارة في استعمال المصطلحات اللفظية والأدوات البحثية والاستغراق في الأساليب الإحصائية دون التفكير في الحقائق والنتائج العلمية المستهدفة، ورابع يرى في البحث جمعاً للمعلومات وحشرها إلى بعض دون الرجوع للتحليل والتفسير والإبداع، ودون اتباع الخطوات المنهجية الفنية لقواعد البحث العلمي، والبعض الآخر يرى أنه سعيٌّ لإثبات بعض الحقائق وتأكيداتها، فضلاً على الكثير من المفاهيم المترسخة في أذهان الباحثين التي يجب مناقشتها باستمرار، وخاصة في المراحل الأولى لتكوين التفكير البحثي لدى طلاب الجامعات.

إن تلك المعالم ما لم تُتَقَى وترتسم قواعدها السليمة في تفكير الطلاب، وتنتجلى في سلوكهم ليصبحوا قادرين على التعاطي مع المقررات ومفرداتها المختلفة بشكل علمي سلس، لن يتمكنوا من الأداء الجيد في مختلف نواحي الحياة العلمية خاصة، والعملية عامة.

أهداف البحث:

1. تهدف الدراسة إلى تقويم المقرر الدراسي لمادة طرق ومناهج البحث.
2. تهدف الدراسة إلى تمييز إجابات الطلاب للتعرف ببعض خصائص التفكير لديهم.
3. تهدف الدراسة إلى تبيان وتوضيح اهتمامات الطلاب بالمواضيع وفق تخصصاتهم، ومدى

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

قدراتهم على صياغة عناوينها.

4. تهدف الدراسة إلى تبيان رداءة الخط والأخطاء اللغوية لدى الطلاب.
5. تهدف الدراسة إلى كشف بعض نواحي القصور لأسلوب المحاضرة بطريقة الإلقاء.

تساؤلات البحث:

1. هل هناك تباين كبير لطلاب التخصصات المختلفة في استعمال طرق البحث بشكل واضح؟
2. هل هناك تباين كبير في مستوى التحصيل وفق التخصص لدى الطلاب؟
3. هل استفاد الطلاب من تقنية المعلومات الحديثة في بحوثهم؟
4. هل يتضح مؤشر الدقة والضبط في منهجية تناول لطرق البحث لدى الطلاب؟
5. هل هناك ميول عامة لدى الطلاب نحو مناهج محددة وفق تخصصاتهم؟
6. هل هناك تفضيل لأدوات محددة لدى الطلاب، أم هناك تناسب بين اختيار المنهج والأداة؟
7. هل يتجلى إدراك الطلاب لمفهوم المصطلح العلمي للمقرر في التطبيق؟
8. هل تتضح القدرة اللغوية على صياغة أفكار الطالب؟
9. ما دور المحاضر في تقويم الأخطاء اللغوية والمنهجية في بحوث الطلاب؟
10. هل لعدد الطلاب أثر في تحصيل الطلاب وفق نظام المجموعات؟
11. هل للمكتبة دور في تدريس المقرر؟

مصطلحات البحث:

1. مقرر طرق البحث:

المقرر هو المنهج (بناء تنظيمي ترانبي)، والمنهج لغة هو الطريق "(إن النهج والمنهج والمنهاج ثلاثة ألفاظ مترادفة تدل على مفهوم واحد هو: الطريق المستقيم الواضح البين)/ والمنهج اصطلاحاً (خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبعها للوصول إلى نتيجة معينة، أو الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

معينة، وبنظام معين، وبغية الوصول إلى غاية معينة...).

(د. حقي إسماعيل إبراهيم، مجلة جامعة ناصر الأممية، العدد 2، 2008/7، ص 245)، ويشمل مجموع المفردات الموزعة على مدة زمنية محددة وخطوات متتابعة بالفصل الدراسي، وفي دراستنا هذه نقصد فصل الربيع 2010 ف، لكلية التربية طرابلس، ووفق دليل المتطلبات الدراسية للمواد التربوية والنفسية، جاء المقرر مع إضافات المحاضر في الفصل الدراسي، علماً بأن زمن المحاضرة ساعة واحدة، وتم توزيع أهم المراجع التي يمكن للطلاب الاعتماد عليها في كل مفردات المقرر، كما هو مبين في الجدول (1) الآتي:

2. أهداف المقرر:

يعتبر المقرر الموضح في الشكل (1) ضمن متطلبات الكلية في إطار المواد التربوية والنفسية نظراً لتحول الكلية من معهد عال لإعداد المعلمين، إلى كلية إعداد معلمين، ثم إلى كلية التربية. والجدير بالذكر وفق التصور الذي عرض للنقاش من قبل اللجنة الوطنية للجامعات بتاريخ 2010/7/25، أنه تم اعتبار مقرر طرق البحث أحد المتطلبات الجامعية في حال اعتماده.

إن غاية المقرر هي السعي إلى تحقيق الأهداف التالية:

- أ. تعريف الطلاب بمفاهيم المصطلحات العلمية بالمقرر، وخاصة فيما يتعلق بالفروق في الدلالة اللغوية بين المفردات (طريقة - منهج - أسلوب - أداة - وسيلة) من جهة، ومن الناحية الاصطلاحية من جهة أخرى، والفرق بين المعرفة عموماً والعلم كنتاج لمعرفة تعتمد الوضوح النظري وإتباع خطوات التفكير العلمي، ومناهج وأساليب وأدوات متعددة، لهذا المقرر، وممارسته في التعاطي مع المقررات التخصصية، وفي الحياة اليومية (فهما ومهارة).
- ب. تمكين الطلاب من أصول الكتابة العلمية المتبعة في البحث العلمي.
- ج. تمكين الطلاب من التفريق بين ما هو نظري بحث، وما هو عملي تطبيقي (النظرية والتطبيق).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الجدول (1): مقرر طرق البحث وتوزيع المفردات على الوعاء الزمني لفصل الربيع 2010

تاريخ المحاضرة	موضوع المحاضرة	عناصر المحاضرة	ملاحظات
7-8-9-10-2010/1/11	طبيعة المعرفة	- المعرفة: الماهية والأنواع، التفكير: مراحل ومستويات - العلم، خطوات التفكير العلمي. - البحث العلمي والتقدم الاجتماعي	1. مناهج البحث في التربية وعلم النفس، د جابر عبد الحميد وآخرون. 2. طبيعة العلم، د المهدي علوان 3. فلاذيمير كورغانوف البحث العلمي (مترجم)
14-15-16-17-2010/2/18	المفاهيم العامة للبحث العلمي	- الافتراضات التي يقوم عليها البحث العلمي. - خصائص العلم. - المفهوم، القانون، النظرية.	1. مناهج البحث في التربية وعلم النفس، د ديوبولد فان دالين (مترجم) 2. مناهج البحث الاجتماعي، د. عمر التومي الشيباني
21-22-23-24-2010/2/25	المنهج التاريخي	- طبيعته وخصائصه، التأريخ والتاريخ، خطوات المنهج التاريخي، أدوات المنهج التاريخي. - تقويم المنهج التاريخي، منهج تحليل المضمون.	1. مرجع الدكتور عمر التومي الشيباني. 2. فلسفة تحليل المضمون، د. عقيل حسين عقيل. 3. دراسات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، المجلد السادس، د. لويس كامل مليكه
28/2-3-2010/3/4	المنهج الوصفي	- طبيعته وخصائصه، أنماط المنهج الوصفي. - أدوات المنهج الوصفي، تقويم المنهج الوصفي. - منهج دراسة الحالة.	1. مرجع الدكتور الشيباني. 2. مرجع الدكتور فان دالين
7-8-9-10-2010/3/11	المنهج التجريبي	- طبيعته وخصائصه، أنماط المنهج التجريبي. - أدوات المنهج التجريبي، تقويم المنهج التجريبي.	1. مناهج البحث، د/ مصطفى النير 2. التصميم التجريبي، د. والتر فيدر بيير (مترجم).
14-15-16-17-2010/3/18	أدوات جمع البيانات	- الملاحظة، أنواعها، شروطها. - الاستبانة، أنواعها، شروطها. - المقابلة، أنواعها، شروطها.	1. مرجع الدكتور الشيباني 2. مرجع الدكتور جابر عبد الحميد
21-22-23-24-2010/3/25	أدوات جمع المعلومات	- الاختبارات والمقاييس، العينات. - المكتبات، التصنيف، المصادر والمراجع. - تقنيات جمع المعلومات.	1. الاختبارات والمقاييس، د. صلاح احمد مراد. 2. المفاهيم العلمية، د. عقيل حسين عقيل

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

3. أسس التصنيف والتصنيف العلمي، محمود أتيح			
1. مناهج البحث العلمي، د. عبد الله محمد الشريف. 2. مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، د. عمار بوحوش	التقرير. المقال. المشروع، البحث	البحوث الجامعية	3/31-30-29-28 2010/4/2-1
1. مرجع الدكتور فان دالين. 2. مرجع الدكتور الشريف. 3. مرجع الدكتور جابر عبد الحميد.	- اختيار موضوع البحث وتحديد العنوان. - الأهمية وتحديد الأهداف. - وضع الفروض أو التساؤلات. - الإطار النظري: مصطلحات البحث، الدراسات السابقة.	تصميم البحوث 1. الدراسة النظرية	-7-6-5-4 2010/4/8 -14-13-12-11 2010/4/15
1. جميع المراجع المذكورة. 2. برنامج SPSS	- تحديد مجتمع البحث، اختيار العينة. - تحديد ووضع أداة جمع المعلومات. - تحديد منهج البحث ونمط الدراسة. - تحديد زمن الدراسة، تحديد الأسلوب الإحصائي - تحديد زمن التحليل والوصول للنتائج وتفسيرها.	1. تصميم البحوث 2. الدراسة الميدانية	-21-20-19-18 2010/4/22 -28-27-26-25 2010/4/29
1. جميع المراجع 2. برنامج SPSS. 3. الإحصاء في التربية وعلم النفس، د. عبد العزيز القوسي وآخرون. 4. أساسيات الإحصاء والاحتمالات، د. محمد الأشقر	- مجتمع البحث، العينة ومضمون التمثيل. - طرق اختيار العينات، أنواع العينات. - مصادر الخطأ في العينات وطرق العلاج.	العينات	2010/5/6-5-4- 3-2 -12-11-10-9 2010/5/2010
- اقتراح مراجع جديدة.	- مفردات المقرر	مراجعة وتطبيقات	-19-18-17-16 2010/5/20

د. الوقوف على قدرات الطلاب وفق تخصصاتهم، وإرشادهم المستقبلي بما يعود عليهم بالنفع الذاتي والمجتمعي.

هـ. الوقوف على الواقع التعليمي والتربوي والمشكلات التي تواجه التحصيل العلمي للطلاب.

و. التمكين من الاختيار الجيد لمشروعات التخرج، والاستفادة من المقررات في تجميع المادة

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

العلمية بما يحقق عمق دراسة الطلاب، وتنمية قدراتهم على التعامل مع الأهداف البعيدة المدى.

ز. الاقتراب المستمر من أفضل الأساليب والطرق في رفع كفاءة البرامج التعليمية والتربوية والتدريبية لعناصر العملية التعليمية، ولمخرجات تقترب من المعايير المُماشية للمتغيرات الحديثة.

تحديات البحث العلمي:

تتمثل تحديات العلم في تلك الصعوبات التي تشكل في مجموعها أزمة نمو البحث العلمي والتي لا تستثني بلداً من البلدان، وتتخذ مظهراً خطراً في البلدان المتخلفة علمياً على وجه الخصوص، ويشير إلى بعض هذه العوامل (فلاديمير وجان كلود كورغانوف) يمكن تحديدها في النقاط التالية:

الأمان والسكينة، وبلورة الأفكار: هل يمكن في الغالب لعالم اليوم أن يجعل من حياته حلمًا؟ هل ينعم دوماً بحرية تأمل الأشياء بحيث يدرك فيها المعنى العميق ويجعل من حلمه حقيقة؟ وعلى رأى العالم باستور إن هياكل العلم الآن (الجامعات والمعاهد العليا) ليست مطلقاً على ذلك القدر من الغنى لتقدم للعلماء هذا الترف السكينة والهدوء.

نقص الأطر/الملاكات المساعدة المتخصصة (التقنيين): ليس بوسع عالم يضطلع بالكثير من المسؤوليات التقنية والاقتصادية والاجتماعية، أن يصل إلى الصفاء الذي يتطلبه العمل الخلاق، فهو بحاجة إلي تقنيين مختصين (جهاز كامل للارتباط).

تطور العلم مع انخفاض معدل نمو البحث العلمي عموماً، وتوظيف تهافت البحث في فوائد قصيرة الأجل، دفع رجال العلم نحو الصناعة، حكر الاقتصاد على التكاليف الفورية المردود، التطور الكمي مع عدد قليل من العلماء.

إعداد العلماء: إن إعداد الجامعات، وامتحانات القبول، وشيخوخة المناهج وتلونها الشكلي والإرهاق الذهني، وعدم تكيف النظم والطرائق التربوية مع حاجات وإمكانيات الطالب

..... دراسة تقييمية لمقرر طرق البحث

المتوسط، وإهمال تقبل الأذواق والمهارات للدروس التقنية، وإهمال رغبة الطلاب المشروعة في تلقي إعداد ينتهي بهم إلى حياة مهنية، والاتصال الأول بركب العلم يؤجل دوماً لشهادة الحلقة الثالثة (بعد الماجستير) يشكل تحدياً أمام إعداد العلماء.

تجهيزات المختبرات وتمويلها: النقص في الإعدادات والوسائل والهيئة العامة يستنفد القوى ويؤخر الاكتشافات، والتدريب المستمر يضمن الامتحان المسؤول.

حرية المغامرة: إمطة اللثام عن المجهول وإدراك ما لا يتوقع هما أهم ضرورتين الضرورتان الأهم في البحث العلمي، وخطوات التقدم تبنى على حرية المغامرة المسؤولة.

تبادل المعلومات: إن الأبحاث السرية، وأبحاث الصناعات الخاصة، وبراءات الاختراع، إضافة إلى الكميات الضخمة من المنشورات، وتنوع وكثافة المعلومات، وملخصات الكتب، والمدة الفاصلة بين الاكتشاف وإعلانه، وتنظيم المكتبات وساعات العمل، وتقنية المعلومات... وإشكاليات الترجمة، كل ذلك وأكثر يشكل عثرة أمام انتقال المعلومات ببسر حتى في ظل تطور وسائل الاتصال.

مشاكل الباحثين الاجتماعية: سياسة شجاعة قادرة على وضع المؤلفات، والصرف على الطلاب هي القدرة على خلق رؤى بحثية راقية واحتواء المشاكل الاجتماعية، وتسخير الطاقات في إعادة إنتاج الأفكار بشكل مُجد.

التخصص وتبادل الأفكار: تدني كفاءه الخبراء يعود للتخصص، وما يحتاجه ذلك (تعزير الرحلات العلمية، المؤتمرات العلمية، الحلقات الدراسية للطلاب، الخجل من إظهار عدم الفهم، التخصص والعزل، العالم ليس أستاذاً مضللاً).

إن التقليد والمحاكاة وفق النظام الطبيعي يجعل من الباحثين ببادق في رقعة شطرنج، وحيث إن الإبداع هو حالة من التوتر في نظام متسق، لذا يحدث نبذ الإبداع والمبدعين في بداية الأمر، وذلك أيضاً أمر طبيعي، فالجديد مقبول في إطار ما هو معروف عموماً (زمن القبول)، ولكن التكييف العمدي والتدخل المنهجي لإطالة أنظمة مخلقة بعيداً عن التزام الحرية

تهيمن على عقل الإنسان، يخلخل ويغلف العلم، وخاصة العلوم الإنسانية بالضباب، ويضرب بغايات العلم مزيداً من الجهل، والجهل حتماً سينتهي عندما تقدم الأشياء على حقيقتها .

حرفة التعليم:

التعليم تدخل منهجي لرعاية مختلف نواحي النمو الإنساني لدى الفرد وصهره في بوتقة اجتماعية تشكل الهوية من خلال مؤسسات حضارية، الهوية التي ليست هي مجموع الأوراق الشخصية بالملفات ودرجات التحصيل فقط، بل فلسفة (رؤية) تنطلق من أصول متعددة لغوية ودينية واجتماعية ومعرفية ...، تمكن الفرد من التوافق مع الذات ومع الجماعات والمجتمع، وتراعى متطلبات مراحل النمو وطبيعة المجتمع والعصر بما يعود على المواطن والوطن بالتقدم والرخاء، التعلم أمر طبيعي لا حدود له عدا المحددات الفسيولوجية والقصور البيئي، وهو أمر يركز عليه التعليم ليصبح فيه قدر عال من المتعة والسرور، إن "النموذج المرغوب فيه للطفل هو الطفل المنقاد والخاضع لأوامر الكبار ونواهيهم، والذي لا يعارض أو يناقش الأسرة حتى في أدق شؤونه، وتَجَلَّى ذلك في تصور المدرسة والجامعة للطالب المثالي الذي أصبح هو ذلك الشخص الذي يتفرغ لدراسته، ويقبل ما فيها ويحترم المسافة بينه وبين أساتذته ويطيع أوامرهم ويمتثل لتوجيهاتهم ولا يجرؤ على مناقشتهم، فضلاً عن الاعتراض عليهم. إنه مجتمع التسلط (التخلف) الذي غالباً ما ينتج تربية تعمل على تقييد العقول وكبت الحرية وتكبيد التفكير، مما يشكل نفسية التلقي العقلي غير القادرة على النقاش والإقناع. ففي التربية والتعليم وجوانب الحياة المختلفة كثيراً ما يكون هناك مُرسَلٌ ومُتَلَقٌ مع غياب واضح للتفاعل والشورى والحوار المتكافئ وهو نهج لاغتيال العقول والنفوس (عبد الدائم، 1991، ص 278)، إن عدم اعتماد موقف التعليم يتحول إلى مجرد دَقِّ متواترٍ منتظم نقوم به على مواد خرساء جامدة، والعقاب والثواب دوافع إنسانية قوية لا تحرم التعليم من الإمتاع والسرور، لعله بالإمكان تعلم ما نريد أن نتعلمه جميعاً، والمشكلة هنا في نظر الباحث قد تكون تربوية أكثر منها تعليمية، فالتعليم يمكن ضبطه، فالمعارف العلمية متاحة ومتوفرة وآليات وطرق إيصال هذه المعارف

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

عديدة وبالإمكان تطبيقها، والإمكانات المادية والبشرية أيضاً متاحة ويمكن توفيرها، وتوفير الفرص. لذلك ينبغي على الاختيار العلمي الناضج، تقنيات تعليمية غير المحاضرة، والمعمل، والدورات التدريبية والدليل العلمي. إن مواكبة التغيرات الواسعة في توصيل عملية التعلم، والتي تبرز من خلال التحول المتنامي تجاه التعلم المرتكز على المتعلم، والاتجاه نحو مزيد من المرونة، ووضوح إدراك مدى الحاجة للتعلم مدى الحياة وتزايد استقلالية المتعلم، كل ذلك يمكن عناصر العملية التعليمية من الأداء المتنامي والمتطور علمياً، إلا أن التربية ذلك الاختصاص الأصيل للأسرة بدأ ينتزع منها بفعل انعكاس التطور المعرفي والحضاري على التربية، وتوزع ذلك الدور على مؤسسات عدة أنتجها العقد الاجتماعي والتطور الحضاري وتقنياته، وألقى تلك المسؤولية على دور التعليم ثم سحبها ثم ألقاها عند الاستشعار بتهديد الهوية. إن التأسيس للحرية من جديد يمنحنا الطريقة والأسلوب الذي ترسمه المبادئ، رؤية لتشكيل الضبط وفق قاعدة الاختيار السليم من خلال العمل الجماعي المنظم والحوار والتشاور وإن تباين الزمن والمكان، وتمكين الأسرة من المبادئ التربوية وتفعيل دورها معية الأدوات التعليمية، رفقة بقية المؤسسات المجتمعية.

إن تحضير مقرر أو تمرين على مستوى الجامعة يحتاج في آن واحد إلى بعض صفات الباحث وبعض صفات أستاذ الثانوية، مع الاحتفاظ بقدرة ذاتية خاصة، وعلى الأستاذ الجامعي أن يشعر بردود الفعل عند طلابه ويتعين أن يكون صاحب مراس في إظهار آرائه بطريقة بديعة التراكيب فيتحدث بطريقة كافية البطء، حسنة الترابط يتسنى معها للطالب كتابة بعض الأفكار وفهمها (يجب أن يحب التعليم ويشعر بأنه ملتزم بإنجاح طلابه، ومهتم بتنشئة عقولهم، وشغوف بنقل المعرفة إليهم)، ومشبع بروح البحث مستعد لأن يعيد النظر بمفاهيم الأمس في ضوء النتائج الأحدث، ملماً بلغات عدة، مسترشداً بأبحاث أصيلة، وأكثر من ذلك ينحو إلي ممارسة التعلم والتعليم بالاستعمال الأمثل لعمل المجموعة، الذي يساعد على توصيل العلم ويبسر التعلم المعمق مقابل التعلم السطحي (التفاعلي مقابل الساكن)، وينتقل المحاضر من الوصاية على المعرفة إلي مدير وميسر للتعلم، معتمداً السياق العملي والكثير من الأفكار

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الخاصة بالعلوم الاجتماعية والنظريات التعليمية والتربوية والنفسية، مع تصميم تجربة التعلم التخصصي في إطار زمني، تتسم بالجودة.

فلنساهم في تمكين الطلاب من رسم دروبهم باحترام تفكيرهم، وتنوع قدراتهم، وبما يتيح لهم التميز، وفي ذات الوقت تنمية القدرة العالية على الاندماج والتوحد في المتغيرات المتعددة والمتسارعة، دون الانصراف في غربة بعض المعارف والثقافات الواردة دون تمحيص، بل لإعادة إنتاج الحياة الإنسانية الحرة الكريمة، نحن لا نريد أن نرى أنفسنا في طلابنا بل نريد امتداداً أكثر قدرة ودراية ومهارة في مواجهة القضايا والمشاكل التي يواجهونها، دونما تنميط متكرر، ويتأتى ذلك بالتركيز العالي على الموضوع (العلم)، فالتعليم مهارة لا يمكن تحصيلها بالاكتساب والاقتراب من التسطيح والتعليم الساكن للمفاهيم بعيداً عن شكلها التفاعلي، والذي يبعث الرتابة والملل في ارتياد العلم، على حين العلم يتنامى مع كل صف وكل ساعة وكل مجموعة من الطلاب، فتغيب المتعة ويتقدم التسرب.

منهج الدراسة:

الدراسة مسحية وصفية استطلاعية، مع استعمال بعض مقاييس النزعة المركزية كأسلوب إحصائي للدارسين بالفصل الخامس لفصل الربيع 2010 إفرنجي، بعد أن طرح عليهم السؤال التالي كاختبار تحصيلي مفتوح: (اختر موضوعاً للدراسة من خلال تخصصك وضع له عنواناً، ثم اطرح عدة تساؤلات أو فروض تحدد أبعاد الموضوع، مع تحديد المنهج الذي ستتبعه في هذه الدراسة، وما هي أنسب الأدوات لجمع المعلومات، مع تحديد مجتمع البحث والعينة التي ستجرى عليها الدراسة؟)، وأترك للطلاب الإجابة عن السؤال بحرية الاطلاع والاختيار مسترشدين بالمراجع. واعتمدت الدراسة مجتمع طلاب كلية التربية - طرابلس والدارسين لمقرر طرق البحث بالأقسام (اللغة العربية - اللغة الإنجليزية - التربية الخاصة - الكيمياء - الفيزياء - الرياضيات - الحاسوب) وفق الجدول (2):

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

الجدول (2): يوضح عدد الطلاب الدارسين للمقرر والعينة.

القسم	عدد الطلاب	العينة
اللغة العربية	60	52
اللغة الانجليزية	41	33
لتربية الخاصة	30	24
الكيمياء	12	12
الفيزياء	16	16
الرياضيات	18	16
الحاسوب	1	1
إجمالي العدد	178	154

الدراسة:

توضح الجداول إجابات الطلاب بأقسام الكلية، لكل مفردة من مفردات المقرر ثلاثة مستويات عامة من الوضوح (تحديد بوضوح - تحديد بغموض - عدم التحديد) والمفردات في عمومها هي (اختيار لموضوع وفق التخصص وتحديد العنوان - وضع التساؤلات - تحديد المنهج المتبع في الدراسة - اختيار الأداة المناسبة للمنهج - تحديد مجتمع البحث واختيار لعينة)، وفق الآتي:

1. قسم اللغة العربية:

اختار الطلاب لمواضيعهم العناوين التالية:

1. شيوع الخطأ في الإملاء عند طلبة الجامعة.
2. أثر الذكاء في مستوى التحصيل المدرسي (ما العلاقة بالتخصص!).
3. ضعف الوازع الديني بين الناس (ما العلاقة بالتخصص!).
4. اختيار مشكلة البحث!.
5. سفر طلاب الجامعات المصرية في الإجازة الصيفية بغرض العمالة (منقول، ما علاقته بالتخصص!).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

6. الأخطاء الإملائية واللغوية (أين ولمن؟).
7. الخط الذي يعاني منه كثير من الناس ويرجون لتحسينه مساعدتهم على ذلك (صياغة!).
8. الكتابة في اللغة العربية والإبداع.
9. الأخطاء اللغوية والإملائية عند الطلاب في المرحلة الجامعية.
10. اللغة والتطور!.
11. التربية وطرق تدريس اللغة العربية.
12. الكتابة وأخطاؤها الشائعة لدى المتعلمين.
13. عزوف الشباب عن تعلم اللغة العربية.
14. الذكاء ومدى تأثير التعلم المدرسي فيه! (ما علاقته بالتخصص).
15. الإملاء والأخطاء المنتشرة فيها وكيفية علاجها (صياغة).
16. المهارات المعرفية وثقافة الطفل المسلم.
17. اللغة العربية وما يحصل فيها من أخطاء لغوية وما فيها من لحن من جرّاء دخول اللغات الأخرى!
18. الشاعر حسان بن ثابت (؟).
19. النحو وعلاقته بالطلاب الذين لا يجيدون الإمام بقواعد اللغة (صياغة).
20. الأخطاء الإملائية وأسبابها وكيفية علاجها.
21. إهمال علامات الترقيم في اللغة العربية.
22. الخطأ الإملائي لطلبة الجامعات في تخصص اللغة العربية.
23. شيوع الأخطاء في الإعراب عند طلبة الجامعة تخصص اللغة العربية (صياغة).
24. البلاغة العربية، ماهيتها، علمائها، التجديد فيها.
25. اللغة والتطور (متكرر).
26. أثر وضوح الأهداف السلوكية في التحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية.
27. التعليم وما يعانيه في وقتنا الحاضر (ما علاقته بالتخصص).

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

28. الأخطاء الإملائية الشائعة بين طلاب الثانويات وكيفية التخلص منها.
29. المواضيع التي تغير الأخطاء النحوية الشائعة بين الطلاب، سببها، مشاكلها (صياغة).
30. أثر تدريس مادة اللغة العربية للطلاب غير الناطقين بها على تحصيلهم الدراسي.
31. طلاب قسم اللغة العربية والمعلمين غير العرب في هذا القسم (صياغة).
32. اللغة العربية بين الفصحى والعامية.
33. شيوع الخطأ في القراءة عند طلبة الجامعة.
34. ضعف في مادة النحو لدى بعض الطلاب وهم في الأساس تخصصهم لغة عربية (صياغة).
35. بطء التعلم عند الأطفال (ما علاقته بالتخصص).
36. تربية الأطفال والمراهقين المضطربين سلوكياً (ما علاقته بالتخصص).
37. مشاكل النمو في مرحلة المراهقة (ما علاقته بالتخصص).
38. القصور الإملائي والخطأ لدى الطلبة الجامعيين، وعدم القدرة على تحدث الفصحى.
39. الطلاق والزوجية بين الزوجين!!!.
40. موقف الإسلام من الشعر وأثر القرآن في اللغة والأدب.
41. الأدب وعدم اهتمام الشباب.
42. القراءة الرديئة وغير الصحيحة.
43. مجال التعليم في الطفولة المبكرة والحاجة إليها (ما علاقته بالتخصص).
44. التدريس قبل وبعد الإسلام (ما علاقته بالتخصص).
45. الفصاحة والبلاغة (ما حل بهما).
46. الطفل الموهوب والطفل البطيء!.
47. الإملاء، تدريسه وطرقه (صياغة).
48. تكلم عن الاستبيان وأهميته في مجتمعنا وبعض التساؤلات التي توضح هذا النوع (التخصص)

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

50. اختيار مشكلة البحث! (متكرر).

51. اللغة والفكر؟.

52. قلة الوسائل التعليمية في مجال اللغة العربية.

الجدول (3): يوضح إجابات طلاب قسم اللغة العربية

الموضوع	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختيار العينة
حدد بوضوح	22	24	15	1
حدد بغموض	27	24	35	36
لم يحدد	3	4	8	15

نلاحظ من الجدول (3) ارتفاع نسبة الغموض لدى طلاب القسم في تناول عناصر البحث، مع توسط نسبة الوضوح لتحديد الموضوع ووضع التساؤلات، وترتفع كذلك نسبة عدم التحديد وخاصة بالنسبة للمنهج والأداة واختيار العينة، ويشير ذلك إلى توسط الوضوح النظري للمقرر على حين ترتفع نسبة الغموض في إدراك المفاهيم وعلاقة بعضها ببعض وخاصة في الجانب التطبيقي حيث لم تحدد نسبة مرتفعة المنهج المتبع في الدراسة والأداة المستعملة في جمع المعلومات.

الجدول (4): يبين توزيع درجات النصف الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	8	15.38%
10-15	12	23.07%
15-20	26	50.00%
20-25	6	11.54%

كما نلاحظ من الجدول (4) انخفاض درجات طلاب القسم تحت (20 درجة) بمتوسط حسابي لعموم الدرجات (14.60 درجة)، مع ميل التحصيل إلى المتوسط، الذي قد يعزى إلى عدد الطلاب، وحجم قاعة المحاضرة أو ميل الطلاب إلى عدم التساؤل والاحتفاظ بما لديهم

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

خجلاً أو خوفاً، أو إلى طريقة التدريس المعتمدة على المحاضرة والإلقاء رغم اعتماد طريقة تفاعلية تطبيقية من المحاضر بطرح قضايا تحفز تفكير الطلاب مثل (التربية وانخفاض صوت المرأة من جهة، والحياء ومهنة التدريس التي تعتمد الصوت الجهوري الواضح من جهة أخرى).

ملاحظات: نورد بعض الأخطاء من خلال كتابة الطلاب كما جاءت في أوراقهم:

(الظاهرة المبعضة في مجتمعاتنا- فرأين خير من رأي- عدم تحمل المسؤولية والتهارب من اتجاه تربية الأطفال- الحديث النبوية الشريفة- كيف يمكن إيجادته وتعلمه)- (الطفل الموهوب والطفل بطيء!!، العينة المختارة من الكلية!!! / الاستبيان لختبار التحصيل/ المنهج التربوي/ العينة هنا في هذا الموضوع وهي هنا الملاحظة العشوائية).

بوجه عام بخصوص طلاب قسم اللغة العربية هناك نزوع للإنشاء والتتظير مع التشويش والخلط بين المفاهيم (12-13-14-26-29-35-44)، خاصة بين الأداة والمنهج (25-45)، ومن النماذج المملوءة بالأخطاء ورداءة الخط (15)، مع تميز بعض الإجابات لتشكل نموذج ملاحظة جيدة رقم (15-21)، وإجابات لجهد جيد وإمكانية تحتاج إلى الاهتمام (34-41).

2. قسم اللغة الانجليزية:

اختار الطلاب لمواضيعهم العناوين التالية:

1. أثر تعليم اللغة الإنجليزية بأسلوب المحاضر لدى الطلاب غير الناطقين بها.
2. علاقة أثر تعليم اللغة الإنجليزية بأسلوب المحاضرة لدى الطلاب غير الناطقين بها (مكرر).
3. الأخطاء الكتابية في اللغة الإنجليزية في مرحله معينه من التعليم الأساسي (7-9 سنوات) (صياغة).
4. ضعف التلاميذ في القراءة باللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية في الصف الرابع (صياغة).
5. الكتابة في المرحلة الثانوية! (صياغة).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

6. الصعوبة التي تواجه الطلاب أثناء الاستماع لمادة اللغة الانجليزية.
7. الصعوبة التي يواجهها تلاميذ الصف الخامس من نطق الأصوات p-v .
8. الموضوع هو عن الناطقين وغير الناطقين باللغة الانجليزية! (صياغة).
9. أثر تعلم الإنجليزية لغير الناطقين بها! (صياغة).
10. التخرج من قسم اللغة الإنجليزية ليس بكفاءة عالية في اللغة (صياغة).
11. الصعوبة التي يواجهها طالب اللغة الإنجليزية في تعلم الكتابة في المرحلة الجامعية (صياغة).
12. مشكلة التحصيل الدراسي على طلبة التعليم الأساسي في مادة اللغة الإنجليزية (صياغة).
13. ضعف القراءة لدى التلاميذ في المرحلة الابتدائية في اللغة الإنجليزية (صياغة).
14. صعوبة فهم أو ضعف في تركيب الجمل باللغة الإنجليزية (صياغة).
15. استعمال معامل اللغة الإنجليزية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لطلاب المرحلة الثانوية - قسم اللغة الإنجليزية - شعبة طرابلس.
16. التعرض المتأخر للغة الثانية! (صياغة).
17. أثر علاقة تعلم اللغة الإنجليزية بأسلوب المحاضرة لدى الطلاب غير الناطقين بها (مكرر).
18. مشكلة القراءة والكتابة باللغة الإنجليزية! (صياغة).
19. أثر المدرسين الأجانب في مستوى طلبة متخصصين في اللغة الإنجليزية! (صياغة).
20. قلة النوم تؤثر في قدرة الطالب على اكتساب اللغة الإنجليزية (فرض).
21. تعليم اللغة الإنجليزية لغة ثانية!.
22. أهمية استعمال مواقع تعليم اللغة الإنجليزية على شبكة الإنترنت وتحسين مهارتي الاستماع والمحادثة في المدارس الثانوية.
23. علاقة أثر تعلم اللغة الإنجليزية لدى الطلاب غير اللافظين بها (صياغة).
24. عدم توفر المعامل!.

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

25. علاقة تعليم اللغة الإنجليزية بأسلوب المحاضرة لدى الطلاب غير الناطقين بها (مكرر).
26. مدى تأثر طلاب اللغة الإنجليزية بالترجمة العربية خلال شرح الأستاذ أو استعمال اللغة الإنجليزية (صياغة).
27. علاقة تعليم اللغة الثانية (أجنبية) بسين المتعلم.
28. عدم استعمال الطلاب للغة بدرجة كافية تؤدي إلى طلاقه لغوية في الحديث!.
29. استعمال الواجبات المنزلية في تنمية الاتجاه نحو التعليم الذاتي في برنامج إعداد المعلمين للغة الإنجليزية في كلية التربية طرابلس.
30. مدى الاختلاف بين الصوتين (ث، ذ) في اللغة الإنجليزية من حيث الكتابة والنطق.
31. مدى احتياج واستعمال الليبيين اللغة الإنجليزية ومدى قابليتهم لاكتسابها وظهورها على ألسنتهم في الوقت الحاضر والمستقبل.
32. أثر تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها.

الجدول (5): يوضح إجابات طلاب قسم اللغة الإنجليزية.

الموضوع البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختيار العينة
حدد بوضوح	23	25	16	11
حدد بغموض	10	4	14	9
لم يحدد	0	4	7	13

نلاحظ من الجدول (5) ارتفاع نسبة تحديد الوضوح للعناصر الأربعة، على حين يشكل عدم الوضوح لعنصر تحديد المنهج والأداة النسبة الكبرى، ويلبها تحديد الموضوع، ثم اختيار العينة، مع انخفاض عدم وضوح وضع الأسئلة لعدم تحديدها بنفس النسبة، مع ارتفاع نسبة عدم التحديد بخصوص اختيار العينة وتوسطها بالنسبة لعدم تحديد المنهج والأداة، مع تحديد جميع طلبة القسم للموضوع رغم الخلل في صياغة الموضوع بشكل يفيد ضعف إمكانيات اللغة العربية لدى الطلاب، ويشير الجدول إلى توزع الإجابات لمصلحة الوضوح، وهذا يعني حسن

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

اختيار الطلاب بالقسم، ويؤكد ذلك درجات التحصيل لطلاب هذا القسم.
الجدول (6): يوضح توزيع درجات النصف الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	0	0
10 - 15	1	3.03%
15 - 20	11	33.33%
20 - 25	21	63.64%

ومن الجدول (6) نلاحظ ارتفاع درجات الطلاب، حيث بلغ المتوسط الحسابي للدرجات (20.88 درجة)، ويشير الجدول إلى ارتفاع الدرجات فوق (20 درجة)، وهذا محل تساؤل وخاصة قياساً بعدد الطلاب ومقارنتهم بطلاب الأقسام العلمية، وهنا يشير الباحث إلى ضرورة رصد الأسلوب المتبع في هذا القسم من حيث طريقة القبول وطرق التدريس، وتأثيره في تحصيل الطلاب.

ملاحظات:

وردت بعض الأخطاء في أوراق الطلبة من بينها: (تهيئت الجو - هل هناك سبب أو خلل في الأساتذة - ولم أجد أي الذكر أو إشارة - تجميع واستجواب الطلبة على مجموعة من الأسئلة - تنوع جنسيات الأستاذ المحاضر - هل تعتقد أننا إذا تكلمنا بهذه اللغة فسوف نكسر عاداتنا ولغتنا)، عموماً هناك صعوبة في تحديد مجتمع البحث (11-15-27)، وبعض التداخل في الفهم حول المنهج والأداة في الإجابة رقم (9-19-25)، مع إجابات ممتازة رقم (8-17-22-32).

3. قسم التربية الخاصة:

اختار الطلاب لمواضيعهم العناوين التالية:

1. الإعاقة السمعية! (صياغة).
2. مفهوم الموهوب! (صياغة).
3. مناهج البحث في علم النفس! (صياغة).

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

4. صعوبة الإدراك السمعي! (صياغة).
5. ضعف العقل (المشكلات الاجتماعية لضعف العقل).
6. إرشاد أسر المعاقين سمعياً.
7. العلاقة بين الرضا عن العمل والقدرة على التنمية البشرية لذوى الاحتياجات الخاصة (نقل من الإنترنت).
8. دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة أو غير العاديين في الأطفال العاديين في المدارس الإعدادية.
9. تعريف علم النفس ونشأته! (صياغة).
10. ظاهرة التسول! (صياغة).
11. الإعاقة السمعية وعلاقتها بمستوى الدراسة! (صياغة).
12. سفر طلاب الجامعات المصرية إلى الخارج في العطلات الصيفية بغرض العمالة (نقل ومتكرر مع طلبة قسم اللغة العربية).
13. التحصيل الدراسي! (صياغة).
14. الجريمة! (صياغة).
15. تأثير الإعاقة السمعية في النمو! (صياغة).
16. إجابة بلا عنوان!؟
17. أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك الانحرافي لدى الأبناء (؟ من) في المناطق العشوائية.
18. الأسس النفسية لتربية ورعاية الموهوبين.
19. الفروق الفردية لذوي المتعلمين وأثرها!؟ (على ماذا).
20. البحث العلمي ووظائفه! (صياغة).
21. المخدرات تؤدي للإعاقة! (نقل من الإنترنت).
22. الإعاقة الحركية كأحد مجالات الممارسة المهنية! (صياغة).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الجدول (7): يوضح إجابات طلاب قسم التربية الخاصة.

الموضوع	البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختبار العينة
حدد بوضوح	5	3	5	9	
حدد بغموض	16	8	15	8	
لم يحدد	3	13	4	5	

من الجدول (7) نلاحظ القصور الواضح في تحديد ووضوح أو عدم تشكل المفاهيم بشكل جيد لدى الطلاب فيما عدا اختيار العينة، والذين جاءت نسبتهم 40.91%، مع ارتفاع نسبة الإجابات بغموض لدى غالبية الطلاب، إذا أضفنا إليهم (عدد ثلاث ورقات تم نقلها من الانترنت وأرقامها (7-12-21)، وكذلك بالنسبة لعدم التحديد وهو يشكل موقفاً سلبياً من الولوج في الموضوع، ويعبر بشكل صامت عن الموقف والميل نحو المقرر (أو في قبول الطلاب بالقسم)، وقد يعبر أيضاً عن عدم الرضا عن المنهج أو المحاضر، وترتفع نسبة عدم التحديد وخاصة للتساؤلات، حيث بلغت نسبة الذين لم يحددوا التساؤلات أو الفروض 59.09%، والنسبة تشكل أرضية للبحث العلمي ومقر كمون التفكير، فهل يمكن أن نتساءل عن التفكير؟ أم يمكن أن نرجع ذلك لمهارة صياغة الأسئلة، ومدى تأثير الإمكانيات اللغوية لدى الطلاب، وعلاقتها بإظهار التفكير؟ وكذلك أثر ساعات القراءة؟ ونظام المذكرات والمرجع الواحد للمقرر؟ مع ملاحظة أن هناك خلطاً كبيراً بين السؤال والتساؤل، وبين التساؤل والفرض، وبين المنهج والأداة في أذهان الكثير من المتعلمين من إجابات الطلاب، وتلك مفارقات البدهة أو التسليم الذي في أحيان كثيرة ينافي البحث العلمي، والتكاسل في بذل الجهد تجاه الحقيقة.

في الجدول (8) تشير درجات الطلاب إلى أن المتوسط الحسابي للدرجات هو (12.83 درجة)، ويؤكد ذلك نسبة 45.83% من الطلاب الواقعة درجاتهم بين (10-15) مع ميل الطلاب نحو ضعف التحصيل بنسبة 33.34% وتشكل هذه النسبة ثلث الطلاب، على حين انحصر ذوو التحصيل الأفضل والمطلوب في نسبة 20.84% وهي نسبة معقولة وفق المعايير الواقعية، غير

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

أن المأمول هو رفع نسبة التحصيل، وهذا يحتاج مع ما يبذل من جهود جماعية لتحسين العملية التعليمية، والتركيز على عدم تغيب العنصر الأساسي في هذه العملية وهو الطلاب، في اتخاذ القرارات التي ترسم المستقبل وخاصة في تحديد عوامل الانتقاء والإقصاء وفق معايير الجودة التي تجعل من كل التفاصيل تدور في فلك لا ولن ينخرط اجتماعياً وتربوياً في المجتمع التقليدي، بل بمجتمع يتمتع بالحدثاء والتحضر المادي وفق ثقافة العصر السائدة.

الجدول (8): يبين توزيع درجات الدوري الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	8	33.34%
10 - 15	11	45.83%
15 - 20	4	16.67%
20 - 25	1	4.17%

ملاحظات:

وردت أخطاء منها: (خاصتا- طريق واعر- متخلف عقلياً- الحسه السمعية)، وعموماً هناك تشويش في الفهم وغموض كما في الإجابات رقم (9-14)، وصعوبة في التعريف بالأفكار المراد عرضها كما في الإجابات رقم (16-18)، مع الإشارة لنقل مواضيع بالكامل في الإجابات رقم (7-12-21)، واقتصر تناول الجيد على الإجابة رقم (10).

4. قسم الكيمياء:

اختار الطلاب لمواضيعهم العناوين التالية:

1. ما هو أثر درجة الحرارة في تفاعلات الأحماض والقواعد (متعادل) (نتائج قَبْلِيَّة للدراسة)!!!.

2. أثر التعلم أو أثر العلاقة في مادة الكيمياء لطلبة سنة أولى إعدادي (صياغة).

3. أثر التجارب المعملية في تعليم مادة الكيمياء (لمن).

4. ما هي آثار حجر الغليان في تجربة التقطير (صياغة).

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

5. أثر المعلم الجيد في مستوى تحصيل طلاب الشهادة الثانوية المتخصصة (علوم أساسية) (صياغة).
6. النقص في إمكانيات المعمل وأثره في تحصيل الطلاب! (تحصيل ماذا).
7. أثر المواد الكيميائية في البيئة (عام).
8. العقاقير، إساءة استعمال العقاقير قبل أن تدمرنا (منقول - صياغة).
9. نقص سكر الدم وتأثيره في مرحلة الطفولة.
10. أثر المعلم الجيد في مستوى تحصيل طلاب الشهادة الثانوية (علوم الحياة).
11. أثر سوء المعامل في تحصيل طلبة قسم الكيمياء (صياغة).
12. أثر استعمال درجة حرارة عالية في نتائج تجربة التقطير.

الجدول (9): يوضح إجابات طلاب قسم الكيمياء.

الموضوع البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختيار العينة
حدد بوضوح	8	7	4	0
حدد بغموض	4	4	8	10
لم يحدد	0	1	0	2

من الجدول (9) نلاحظ ارتفاع نسبة الذين حددوا الموضوع والعنوان والتساؤلات، على حين تتوسط نسبة الذين حددوا المنهج والأداة، حيث تتعدى إمكانية تحديد العينة، وهنا يبرز التساؤل ما دور المعمل، وكيف تحدد العينات في التجارب، وهذا محل تساؤلات عدة!، على حين تختلف الصورة بالنسبة لغموض تحديد العناصر المطلوبة من الطلاب، حيث تتوسط بالنسبة لتحديد الموضوع والعنوان وكذلك التساؤل، على حين ترتفع بخصوص المنهج والأداة واختيار العينة، وتقل نسبة عدم التحديد حيال وضع التساؤلات واختيار العينة، على حين ينتفي عدم التحديد بخصوص الموضوع والمنهج، والحقيقة أن الجانب التطبيقي يفترض برونه لدى طلاب الأقسام العلمية بشكل أوضح من طلاب الأقسام الأخرى، وهذا لم يتضح رغم التحصيل

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

المرتفع نظرياً.

الجدول (10): يبين توزيع درجات النصف الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	1	8.33%
10 - 15	0	0
15 - 20	5	41.67%
20 - 25	6	50%

في الجدول (10) تشير الدرجات التي تحصل عليها الطلاب إلى الارتفاع، حيث تجاوز 50% منهم (20 درجة)، وبلغ متوسط درجات الطلاب (18.75 درجة)، ويشير ذلك إلى عدم التركيز على تجويد المعامل وإبراز معالم البحث (التجربة) بدقة وضبط، مع التوضيح النظري للتصميم التجريبي المهم في صقل تفكير الطلاب تجاه البحث العلمي عموماً.

ملاحظات:

وردت بعض الأخطاء منها: (العينة المختار - العينة طالبات كلية التربية يقومون بهذه التجربة)، وهناك عدم وضوح لمبرر الاختيار وأهمية الموضوع الإجابات رقم (1-6)، مع صعوبة الصياغة الواضحة كما نرى في العناوين، وهناك إجابات قبلية على الأسئلة المطروحة، مما يدل على القصور المنهجي وإدراك الطلاب لذلك، ورغم وضوح الموضوع والقدرة على تقديمه، فإن هناك صعوبة في تحديد الموضوع لاتساع مجال الدراسة المختارة والقصور اللغوي والمشاكل الناجمة عن كبت التعبير وسيادة أسلوب التلقين رغم ثبات فشله، وقصور الممارسة وفق طرائق تدريس متعددة من المحاضر، ويشكل ذلك هروباً من الدقة، مع الخلط الكبير في فهم المنهج التجريبي واستعماله المعمل أو في الحقل الإنساني، ويتجلى كل ذلك في عملية اختيار العينة فلم يحدد أحد الطلاب العينة.

5. قسم الفيزياء:

اختار الطلاب لمواضيعهم العناوين التالية:

1. عدم توفر المعامل في قسم الفيزياء (أين).
2. عدم تقبل مادة الفيزياء لدى طلاب التعليم الأساسي (صياغة).
3. عدم توفير معامل الفيزياء في مدارس التعليم الأساسي.
4. عدم الإقبال الجيد بمواصلة دراسة الفيزياء لدى الدارسين (أين).
5. الأخطاء الشائعة لدى طلاب الأساسية والمتوسط!! (في ماذا).
6. تطور منهج الفيزياء بالثانويات التخصصية (منهج سنغافورة) وأثره في التحصيل العلمي للطلاب.
7. رسوب الطلبة في مادة الفيزياء (أين).
8. علاقة مادة الفيزياء بالمحاضرة (صياغة).
9. أثر استعمال الحاسوب في تدريس الفيزياء وتحصيل الطالبات ودافعتين نحوها.
10. تأثير المفاهيم الخاطئة في الفيزياء في مستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب الثانوية التخصصية.
11. ما مدى تأثير التطبيق العملي للتجارب الفيزيائية في مستوى فهم الطلاب لهذه التجارب.
12. شيوع الخطأ في تجارب الفيزياء عند طلبة الجامعة!.
13. شيوع الخطأ في قوانين عند طلبة الجامعة (قوانين!) (صياغة).
14. تنظير لمفاهيم الفيزياء دون موضوع (صياغة).
15. المعلم الجيد وأثره في التحصيل الدراسي في مادة الفيزياء في مرحلة الشهادة الثانوية (شعبة علوم الحياة).
16. معرفة الطلاب للجانب النظري والعملي لمادة الفيزياء.

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

الجدول (11): يوضح إجابات طلاب قسم الفيزياء.

الموضوع البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختيار العينات
حدد بوضوح	9	10	4	0
حدد بغموض	6	5	12	14
لم يحدد	1	1	3	2

في الجدول (11) نلاحظ ارتفاع نسبة وضوح الموضوع ووضع التساؤلات، على حين ينخفض مستوى الوضوح بالنسبة للأداة والمنهج وكذلك اختيار العينة، وفي ذلك تقارب مع قسمي الكيمياء، وتختلف الصورة في حالة الغموض بنسبة عالية للمنهج والأداة واختيار العينة، مع تدني عدد الذين لم يحددوا العناصر المطلوبة، والاشتراك مع طلاب قسم الكيمياء في عدم تحديد العينة.

الجدول (12): يبين توزيع درجات الدوري الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	0	0
10 - 15	2	12.50%
15 - 20	10	83.33%
20 - 25	4	33.33%

في الجدول رقم (12) نجد أن النسبة الكبرى لدرجات الطلاب انحصرت في درجات أقل من (20 درجة)، وتجاوز ثلث الطلاب تلك الدرجة، وهي تشكل نسبة تحصيل جيدة حيث بلغ متوسط درجات الطلاب (18.25 درجة)، وتشير النتائج إلي أن الممارسة للمنهج التجريبي لا تتجلى بوضوح في الفهم النظري للخطوات والتصميم.

ملاحظات:

وردت بعض الأخطاء منها: (مافهم - هل للطلاب الثقة بنفسه مع قوانين الفيزياء التي يقع فيها أن يمارس مهنة تدريس الفيزياء - هل هذه المناهج لها خيال علمي)، يعاني الطلبة من

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

صعوبة بلورة الموضوع التي تتضح من خلال العناوين (2-8-13-14)، ومشاكل في الصياغة، وعدم الاهتمام بواحدات القياس والتمييز الذي يوضح الأرقام، مع عدم وضوح مبررات الاختيار فيما يتعلق بتحديد الزمان والمكان من حيث التطبيق (1-4-7)، وقد يرجع ذلك إلي مشاكل المعامل وعدم انتظام العملي، والاقتصار بنسبة عالية على التدريس النظري مما يضايق طلاب القسم كثيراً.

6. قسم الرياضيات:

اختار طلاب القسم عناوين مواضيعهم التالية:

1. أثر استعمال الحاسوب والإنترنت في تحصيل طلاب الصف الثامن الأساسي! (في ماذا).
2. أثر استعمال الحاسوب في تحصيل طلاب الصف الأول الثانوي لمادة الرياضيات.
3. المعادلات التربيعية! (ماذا حل بها).
4. أثر النقطة في رسم المحل الهندسي القطع المتكافئ.
5. أثر التواثب في رسم المعادلات التربيعية.
6. استعمال الانترنت في المؤسسات التعليمية (ما العلاقة بالتخصص).
7. أثر استعمال الحاسوب في تحصيل الطلاب في مادة الرياضيات.
8. أثر التواثب في رسم الدالة التربيعية في السنة الأولى من مرحلة التعليم الثانوي.
9. تدريس الرياضيات (الحاسوب وتدريس الرياضيات في الثانوية).
10. أثر وضوح قوانين الجذور لاستعمالها في حل المعادلات المحتوية على جذور، لتلاميذ السنة الأولى بثانويات العلوم.
11. أثر استعمال الوسائل التعليمية في فهم الطلاب لمادة الرياضيات.
12. اثر استعمال طريقة اكتشاف الموجه في تحقيق الطلاب الصف السابع في مفهوم العدد النسبي.
13. أثر استعمال أسلوب حل المشكلات في تحصيل الطلاب الصف الأول من المرحلة الثانوية في مادة الرياضيات.

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

14. أثر مفهوم الدائرة ورسم التماس.

15. الاكتشاف الموجه بطريقة الأسئلة ونظرية فيثاغورس.

16. أثر التوائب (التمينا نيات الخطية في مجهول واحد بيانياً).

17. أسباب ضعف الطلبة في مادة الرياضيات من وجهة نظرهم.

الجدول (13): يوضح إجابات طلاب قسم الرياضيات.

الموضوع	البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختيار العينة
حدد بوضوح	14	14	3	3	3
حدد بغموض	3	3	6	3	3
لم يحدد	0	0	9	11	

في الجدول (13) يلاحظ ارتفاع النسبة 82.35% عند تحديد الموضوع وعنوان الدراسة، ووضع التساؤلات، على حين تنخفض كثيراً 11.76% عند تحديد المنهج والأداة واختيار العينة، وعلى حين ينخفض عموم الغموض في كل الفقرات عدا الارتفاع الطفيف في غموض تحديد المنهج والأداة في الرياضيات، ويقتصر عدم التحديد بنسبة عالية في فقرتي المنهج والأداة، واختيار العينة، ويرجع ذلك إلى احتياج الرياضيات إلى درجة عالية من التجريد.

الجدول (14): يبين توزيع درجات الدوري الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	0	0
10 - 15	2	11.76%
15 - 20	3	17.65%
20 - 25	12	70.59%

في الجدول (14) نلاحظ المؤشر المرتفع لعدم قدرة الطلاب في هذه المرحلة على تحديد المنهج والأداة، رغم التحصيل المرتفع لطلاب القسم، فيتضح من الجدول رقم (15) نسبة 70.59% تجاوزت درجاتهم (20-25 درجة)، حيث بلغ متوسط الدرجات للطلاب (20.41)

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

درجة)، وكما تشير مواضيعهم وتساؤلاتهم الواضحة، وعلاقتها بالتخصص، وصعوبة اتباع المنهج التجريبي بشكل مجرد بعيدا عن المعمل أو الميدان الواقعي (التفكير ونظرية البحث المجردة، والاحتمالات واتساعها)، وكذلك صعوبة الأداة في هذا المجال، وتحديد العينة وإن أمكن لبعض الطلاب تحديدها، فإن التحصيل جاء مرتفعا، وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى ضرورة كتابة المختصين في هذا التخصص من الكتابة حول (المنهج والأداة، واختيار العينة في مجال الرياضيات البحث).

ملاحظات:

وردت بعض الأخطاء منها (التساؤل - اسئل المولى - الاداء التي تم استخدامها هو اختبار تحصيلي)، عدم وضوح الفرق بين الفرض والتساؤل، الفرض ضرورة في الدراسة التجريبية، وعدم وضوح المنهجية في المختبر (الامبريقية)، وإتباع خطوات دون فهم (تقليد غير مجدي) (12-1)، تبرير الاختيار غير واضح (13-14-15)، ومع ذلك فإن الطلاب يتمتعون بروح البحث وارتياح محاولات الفهم لكل ما يقف أمامهم.

مناقشة نتائج الدراسة

الجدول (15): يوضح إجابات طلاب جميع الأقسام.

الموضوع البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص	وضع التساؤلات	تحديد المنهج والأداة	اختيار العينة
حدد بوضوح	81	83	47	24
حدد بغموض	66	48	90	80
لم يحدد	7	23	31	48

نلاحظ في الجدول العام (15) وضوح ارتفاع نسبة الغموض للعناصر (تحديد المنهج، واختيار العينة) خاصة بالنسبة لاختيار العينة فتتدرج نحواً لوضوح لدى الأقسام بالتسلسل وفق جدول رقم (17-18) (الفيزياء - الكيمياء - اللغة العربية - التربية الخاصة - الرياضيات - اللغة الانجليزية)، ولعل أحد أسباب ارتفاع نسبة الغموض هو دمج اختياراً لأداة في المنهج

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

للارتباط الوثيق بينهما، فهناك من اختار المنهج المناسب والأداة الخاطئة أو العكس من جهة، واقتصار الدراسة على النظري وإهمال الممارسة بشكل صارخ من جهة أخرى، واللافت للنظر هنا تفوق طلبة قسم اللغة الإنجليزية وقسم التربية الخاصة في تحديد العينة على الأقسام العلمية، وخصوصاً على طلبة قسم الرياضيات المفترض قدرتهم الأعلى على تحديد مجتمع البحث واختيار العينة، ولعل السبب في ذلك يعود لدافعية التعلم لدى الطلاب وعلاقتها بالتخصص، والحالة العامة لسوق العمل آنياً، وهذا مبحث يحتاج للدراسة.

الجدول (16): يوضح إجابات طلاب الأقسام العلمية.

الموضوع	تحديد الموضوع وفق التخصص			وضع التساؤلات			تحديد المنهج والأداة			اختيار العينة		
	ك	ف	ر	ك	ف	ر	ك	ف	ر	ك	ف	ر
حدد بوضوح	8	9	14	7	10	14	4	4	3	0	0	3
حدد بغموض	4	6	3	4	5	3	8	12	6	14	3	3
لم يحدد	0	1	0	1	1	0	0	3	8	2	2	11

نلاحظ في الجدول (16) ارتفاعاً لنسبة تحديد وضوح التساؤلات، ثم للموضوع، فتحديد المنهج والأداة، مع تحديد جميع طلبة أقسام (الرياضيات 82.9%، الفيزياء 66.7%، الكيمياء 66.6%) بأغلبية وضوح الموضوع، حيث ترتفع نسبة الذين حددوا الموضوع والعنوان والتساؤلات مع انتفاء عدم التحديد بالنسبة للموضوع ووضع التساؤلات لدى طلاب قسم الرياضيات، مع ارتفاع نسبة عدم التحديد بخصوص اختيار العينة وتوسطها بالنسبة لعدم تحديد المنهج والأداة، ليعكس دلالة طفيفة لاختيار المنهج والأداة، وكذلك تحديد العينة، مع توسط نسبة الوضوح لتحديد الموضوع ووضع التساؤلات، وترتفع كذلك نسبة عدم التحديد وخاصة بالنسبة لتحديد المنهج والأداة واختيار لعينة، وينتفي عدم التحديد لدى طلاب قسم الكيمياء عند تحديد الموضوع وتحديد المنهج والأداة على حين يتدنى بشكل واضح بالنسبة لوضع التساؤلات واختيار العينة، وتتعهد إمكانية تحديد العينة بوضوح لطلاب قسم الكيمياء والفيزياء، فيبرز

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

التساؤل حول دور المعمل، وكيف تحدد العينات في التجارب، وهذا يبرز عدة تساؤلات أخرى!، على حين تتوسط نسبة الدين حددوا بغموض المنهج والأداة وتقل بشكل ملحوظ بالنسبة للعناصر الثلاث الأخرى لدى طلاب قسم الرياضيات، على حين ينخفض مستوى الوضوح بالنسبة للأداة والمنهج وكذلك اختيار العينة، وفي ذلك تقارب بين قسمي الرياضيات والكيمياء، ومن الجدول رقم (8) نلاحظ القصور الواضح في تحديد ووضوح أو عدم تشكل المفاهيم بشكل جيد لدى الطلاب فيما عدا اختيار العينة، وتختلف الصورة في حالة الغموض بنسبة عالية للمنهج والأداة واختيار العينة لدى طلاب قسم الفيزياء.

في الجدول رقم (17) نلاحظ ارتفاع نسبة الغموض لدى طلاب قسم اللغة العربية في تناول عناصر الإجابة، وتقل نسبة عدم التحديد مع الغموض حيال وضع التساؤلات حيث بلغت نسبة الدين لم يحددوا التساؤلات أو الفروض 59.09%، واختيار العينة من طلاب قسم اللغة العربية، على حين ينتقي عدم التحديد بخصوص الموضوع والمنهج والأداة، مع تدني عدد الدين لم يحددوا العناصر المطلوبة لطلاب قسم اللغة العربية، على حين ينتقي عدم التحديد بالنسبة للموضوع لدى طلاب قسم اللغة الانجليزية، وينخفض بشكل ملحوظ بالنسبة لوضع التساؤلات وتحديد المنهج والأداة، مع ارتفاع عدد الذين لم يحددوا العينة، ويرتفع الغموض لعنصر تحديد المنهج والأداة بشكل أكبر، وبالنسبة لقسم التربية الخاصة فتجاوز عدد الذين لم يحددوا كل من التساؤلات والعينة أكثر من 50%، على حين تقترب من الوسط بالنسبة لعدم تحديد المنهج والأداة، وتتنخفض بشكل ملحوظ بخصوص تحديد الموضوع، مع ارتفاع نسبة الإجابات بغموض لدى غالبية الطلاب إذا أضفنا إليهم (عدد ثلاث ورقات تم نقلها من شبكة المعلومات وأرقامها (7-12-21) لطلاب قسم التربية الخاصة، وتتوسط النسبة لاختيار الموضوع وتحديد العنوان وكذلك التساؤل.

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

الجدول (17): يوضح إجابات طلاب أقسام العلوم الإنسانية.

الموضوع البيان	تحديد الموضوع وفق التخصص			وضع التساؤلات			تحديد المنهج والأداة			اختيار العينة		
	ع	E	تخ	ع	E	تخ	ع	E	تخ	ع	E	تخ
حدد بوضوح	22	23	5	24	25	3	15	16	5	1	11	9
حدد بغموض	27	10	16	24	4	8	35	14	15	36	9	8
لم يحدد	3	0	3	4	4	13	8	7	4	15	13	7

ويشير ميل الوضوح نحو الغموض عند تحديد الموضوع والعنوان ثم وضع التساؤلات فاختيار المنهج والأداة وأخيراً تحديد العينة، وتسلسل الأقسام في مستوى التحديد عند الوضوح بنسبة أكبر من قسم (اللغة الانجليزية- الفيزياء- الرياضيات- الكيمياء- اللغة العربية - التربية الخاصة)، مع الإشارة إلى انتفاء وضوح اختيار العينة لدى طلاب الأقسام (الفيزياء، الكيمياء) فيما هو تطبيقي وهذا يرجح قيام مشكلات ستواجه هؤلاء الطلبة في التربية العملية.

الخلاصة:

بوجه عام هناك نزوع للإنشاء والتتظير مع التشويش والخلط بين المفاهيم، مع ملاحظة أن هناك خلطاً كبيراً بين السؤال والتساؤل، وبين التساؤل والفرض، وبين المنهج والأداة في أذهان الكثير من إجابات الطلاب، وتلك مفارقات البدهة أو التسليم الذي في أحيانا كثيرة ينافي البحث العلمي، أو بذل الجهد في اتجاه الحقيقة، ورغم جهد الطلاب وتميز بعض الإجابات لتشكل نموذج ملاحظة جيدة مثل رقم (15-21) بقسم اللغة العربية، مع الصعوبة في تحديد مجتمع البحث وبعض التداخل في الفهم حول المنهج والأداة عند الإجابة مثل رقم (19-25)، مع إجابات ممتازة مثل رقم (8-17-22) لطلاب قسم اللغة الإنجليزية، وجهود تحتاج إلى الاهتمام مثل رقم (34-41)، وضعف تحصيل طلاب التربية الخاصة مع ثلاث إجابات منقولة دون جهد من الطالب وإجابة واحدة يمكن القول بأنها جيدة، وتشكل موقف سلبي لدى الطلاب من الولوج في الموضوع مع التعبير بشكل صامت عن الموقف والميل نحو البحث العلمي، وقد يعبر

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

أيضاً عن عدم الرضا عن المنهج أو المحاضر أو الكلية، ورغم الصعوبة التي يشكلها البحث لدى طلاب الكيمياء يمكن تلافي ذلك بالتركيز على تجويد المعامل وإبراز معالم البحث (التجربة) بدقة وضبط، رغم الغموض في الفهم وصعوبة التعريف بالأفكار المراد عرضها، واقتصر تناول الجيد على الإجابة رقم (10)، مع التحصيل الجيد في المقرر والتناول الحسن للبحث التربوي في مجال الفيزياء، وتفوق طلبة قسم الرياضيات بحثياً حيث تشير مواضيعهم وتحديدها مع تساؤلاتهم الواضحة وعلاقتها بالتخصص رغم القصور الواضح في تحديد العينة، وإتباع النهج التجريبي بشكل مجرد، وعموماً إن الأقسام العلمية بالكلية اقدر على البحث العلمي من الأقسام الأخرى، مع استثناء قسم اللغة الإنجليزية الذي يتفوق على بعض الأقسام العلمية في التحصيل بالمقرر وفي عناصر البحث من حيث التناول والوضوح، وهناك عموم في الصياغة غير العلمية بشكل واضح من العناوين، مع صعوبة بلورة الموضوع وإيجاد العلاقة بين المتغيرات، وعدم وضوح الفرق بين الفرض والتساؤل، مع ضرورة وضع الفرض في الدراسة التجريبية، وعدم وضوح المنهجية في المختبر، مع إتباع خطوات البحث بتقليد دون فهم، وصعوبة استيعاب تبرير الاختيار للموضوع الكامن في الأهمية بشكل غير واضح، إن الخلط بين العلم البحث والعلم التطبيقي، يحتاج بشده لبرامج الممارسة بشكل مكثف وعدم تأخيرها في السلم التعليمي، وتعثّر طرح التساؤل وارتفاع نسبة عدم تحديد للتساؤلات، يمكن أن ترجع لمهارة صياغة الأسئلة، ومدى تأثير الإمكانيات اللغوية لدى الطلاب على ذلك، وكذلك ساعات القراءة، ونظام المذكرات والمرجع الواحد للمقرر، ومع ذلك فإن الطلاب يتمتعون بروح البحث ومحاولات الفهم مع نقص في استعمال الأدوات ومهارة الممارسة.

الجدول (18): يبين توزيع درجات الدوري الثاني.

الدرجات	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 10	17	11.04%
10 - 15	28	18.18%
15 - 20	59	38.31%
20 - 25	50	32.47%

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

ويجب التركيز على عدم تغييب العنصر الأساسي (الطلاب) في هذه العملية التفاعلية ووضع المقررات، ما ينافي جوهرياً روح وفلسفة المجتمع الليبي المسلم، وخاصة في تحديد عوامل الانتقاء والإقصاء لفرص التعليم وفق معايير يجري استيرادها، وهذا يحتاج مع ما نبذل من جهود جماعية لتحسين العملية التعليمية، إلى إدراك عميق للواقع التعليمي والتربوي، والقيام بدراسات عديدة واختبارات ومقاييس معالجه محلياً (معالجة معايير الجودة العالمية محلياً)، حتى نتمكن من إطلاق معايير يمكن العمل من خلالها لتحسين الواقع التربوي والتعليمي بشكل يؤسس لقاعدة تنمية بشرية واعدة، إن التآني والاستمرارية مع وضوح الأهداف والإصرار على تحقيقها مفتاح امتلاك الزمن المحايد.

في الجدول (19) نشاهد ارتفاع نسبة التحصيل لطلاب الأقسام الذين درسوا المقرر حيث بلغت نسبة الذين تحصلوا على درجات تزيد عن 15 درجة (70.78%)، وهذا يؤشر بشكل جيد إذا ما علمنا بأن النسبة المتبقية جلها من طلاب قسم التربية الخاصة واللغة العربية، وهذا يطرح تساؤلاً عن كيفية قبول الطلاب بهذه الأقسام، ويشير إلى التحصيل النظري والقصور الكبير وفق التحليل للجانب التطبيقي للمقرر، وكذلك البحث عن طرائق تدريسية تمكن الأقسام من التعاطي مع المقرر بشكل يتناسب وإمكانيات القبول.

الجدول (19): يوضح إجابات طلاب الأقسام العلمية.

الموضوع	تحديد الموضوع وفق التخصص			وضع التساؤلات			تحديد المنهج والأداة			اختيار العينة		
	ك	ف	ر	ك	ف	ر	ك	ف	ر	ك	ف	ر
حدد بوضوح	8	9	14	7	10	14	4	4	3	0	0	3
حدد بغموض	4	6	3	4	5	3	8	12	6	10	14	3
لم يحدد	0	1	0	1	1	0	0	3	8	2	2	11

النتائج

هناك تباين في الإجابات التي تناولها طلاب الأقسام العلمية (رياضيات (ر) - كيمياء (ك) - فيزياء (ف))، وبين أقسام العلوم الإنسانية (اللغات (ع/ع) - التربية الخاصة (تخ)) عموماً، وبين الأقسام بعضها وبعض بتفاوت كما توضح الجداول (20-21):

في الجدول رقم (19) نجد أن المؤشرات الكمية تشير إلى تباين الإجابات لكل المستويات، مع الوضوح المرتفع لكل من تحديد الموضوع وفق التخصص، ووضع التساؤلات أو الفروض بالنسبة للأقسام الثلاثة مع أرجحية قسمي (الكيمياء والرياضيات) بخصوص تحديد الموضوع وفق التخصص، حيث انعدم عدم التحديد بنسبة أعلى قياساً بعدد الذين حددوا بغموض، على حين تفوق طلاب قسم الرياضيات في وضع التساؤلات، حيث حدد جميع الطلاب التساؤلات بنسبة مرتفعة لمصلحة الوضوح، وترتفع نسبة الغموض لتحديد المنهج والأداة، وكذلك بخصوص تحديد العينة لكل الأقسام مع أفضلية قسم الرياضيات كما سيتضح ارتفاع عدد الطلاب الذين لم يحددوا المستويين، وفي ذلك وضوح لعدم الاستيعاب للتطبيق، والإجابة صراحة بعدم التحديد، وهذا ما جعل الباحث يشير إلى ضرورة الكتابة من المتخصصين بالقسم في هذا المجال والذي يشكل قصور صارخ.

الجدول (20): يوضح إجابات طلاب أقسام العلوم الإنسانية.

الموضوع	تحديد الموضوع وفق التخصص			وضع التساؤلات			تحديد المنهج والأداة			اختيار العينة		
	ع	E	تخ	ع	E	تخ	ع	E	تخ	ع	E	تخ
حدد بوضوح	22	23	5	24	25	3	15	16	5	1	11	9
حدد بغموض	27	10	16	24	4	8	35	14	15	36	9	8
لم يحدد	3	0	3	4	4	13	8	7	4	15	13	7

في الجدول (20) نلاحظ تميز طلاب قسم اللغة الإنجليزية في تحديد الموضوع وفق التخصص وكذلك وضع التساؤلات وتحديد المنهج والأداة وكذلك اختيار العينة، رغم انخفاض

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

نسبة الوضوح لمصلحة عدم التحديد، وهو مستوى أفضل لدى الباحث أو المحاضر من مستوى الغموض، مع ارتفاع نسبة الغموض بخصوص تحديد الموضوع وفق التخصص، ووضع التساؤلات، وتحديد المنهج والأداة واختيار العينة لأقسام اللغة العربية والتربية الخاصة، مع أفضلية قسم التربية الخاصة فيما يتعلق بوضع التساؤلات لمصلحة عدم التحديد.

الجدول (21): يبين درجات طلاب الأقسام العلمية.

النسبة المئوية	التكرار				الدرجات
	المجموع	ر	ف	ك	
%2.22	1	0	0	1	أقل من 10
%8.89	4	2	2	0	10 - 15
%40	18	3	10	5	15 - 20
%48.89	22	12	4	6	20 - 25

نلاحظ في الجدول (21) ارتفاع درجات التحصيل لطلاب الأقسام العلمية مع أفضلية بارزة لقسم الرياضيات يليها الكيمياء فقسم الفيزياء مع تجانس التحصيل بالنسبة لطلاب هذه الأقسام.

الجدول (22): يبين درجات طلاب أقسام العلوم الإنسانية.

النسبة المئوية	التكرار				الدرجات
	المجموع	تخ	E	ع	
%16.17	16	8	0	8	أقل من 10
%24.24	24	11	1	12	10 - 15
%31.31	31	4	11	16	15 - 20
%28.28	28	1	21	6	20 - 25

نلاحظ في الجدول (22) تميز طلاب قسم اللغة الإنجليزية من حيث درجات التحصيل، ويليههم طلاب اللغة العربية، فطلاب قسم التربية الخاصة، مع تباين درجات التحصيل بين طلاب هذه الأقسام خلافاً للتقارب والتجانس بالنسبة لطلاب الأقسام العلمية، وهنا يمكن للدراسات المعمقة والمقارنة أن تصل لأنماط تفكير متميزة بين طلاب الأقسام العلمية والعلوم الإنسانية.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

1. لوحظ عدم استعمال تقنية المعلومات من خلال الهوامش أو المراجع من الطلاب عموماً، مع وجود عدد من الحالات استعملت هذه التقنية بشكل سلبي، حيث تم نقل بعض البحوث بتمامها مثل: (اللغة العربية رقم 5- التربية الخاصة رقم 7- 12) وقد يعود ذلك لعدم تعود الطلاب بعدُ الاستفادة من هذه الإمكانيات من جهة، وضيق وقت الطالب، وإستراتيجية الضغط من خلال الواجبات المستمرة لتعويد الطالب التعلم الذاتي من جهة أخرى.
2. بالرغم من انتشار الأسلوب الإنشائي الأقرب إلى الأدب والفلسفة منه إلى الأسلوب العلمي، فإن هناك تميزاً بالدقة والضبط المنهجي لدى طلاب الأقسام العلمية وخاصة الرياضيات، وكذلك لعدد من طلاب اللغة الإنجليزية والعربية والتربية الخاصة، والدقة والضبط المنهجي للطلاب عموماً لا يخرج عن الإطار النظري، وينحسر بشدة في إدراك الجانب التطبيقي.
3. هناك ميل واضح لغالبية الطلاب نحو استعمال المنهج الوصفي دونما تحديد واضح للنمط الوصفي السائد، مع ميل طلاب الأقسام العلمية للمنهج التجريبي رغم عدم الوضوح بنسبة عالية لاستعمال هذه المناهج البحثية.
4. ينقسم ميل الطلاب للاعتماد على أدوات جمع المعلومات بنوع من الغموض حيال الملاحظة والاستبيان بوجه خاص، وهناك غموض في استعمال الأداة المناسبة للمنهج من خلال إجابات الطلاب.
5. بالرغم من صعوبة هذا المبحث (إدراك المفاهيم الصحيحة) تشير الملاحظات إلى أن أغلبية الطلاب الذين لم تتضح لديهم المصطلحات العلمية ومفاهيمها بدقة في التطبيق، وخاصة لدى طلاب أقسام العلوم الإنسانية باستثناء قسم اللغة الانجليزية، وقد يرجع ذلك لقصور البرامج التعليمية المتعلقة بالممارسة، أو لضيق الوعاء الزمني للمقرر، أو لخبرة المحاضر.
6. يمكن تصور صعوبة صياغة الأفكار لدى الطلاب عموماً من خلال صياغة عناوين مواضيع الدراسة، ويرى الباحث أن المشكلة ليست في اللغة وإلا لتميَّز طلاب قسم اللغة

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

العربية، لكن ذلك يرجع إلى نمط التعليم والتربية في تمكين الطالب من التعبير عن أفكاره مبكراً واستعمال اللغة في ذلك.

7. يتمثل دور المحاضر في التنبيه لعموم الأخطاء المشتركة بين الطلاب، مع عرض نماذج من هذه الأخطاء، والتصويب والتدقيق حيال التخصص والحث على إمكانية تقويم الطلاب التعاوني.

8. نلاحظ أثر العدد في مجموعة اللغة العربية مقارنة ببقية الأقسام، وإذا أخذنا في الاعتبار أن المجموعة تجاوز عددها (50 طالب) من ضمنهم طلاب التربية الخاصة، على حين توزع طلاب اللغة الإنجليزية على أكثر من مجموعة، ويمكن إرجاع التحصيل الجيد لنظام المجموعات المحددة، ونلاحظ بوضوح درجات التحصيل من خلال الجداول (21-22).

8. المكتبة تشكل أكبر عقبة في تدريس المقرر، لعدم وجود تصنيف يمكن الطالب الاستفادة من الزمن الذي يستغرقه في البحث عن المرجع أو المصدر بالمكتبة، وعدم وجود مختص يمكن الرجوع إليه، حيث تمت الإشارة إلى أهمية المكتبة وتصنيفها العلمي، وعدد النسخ من كل مرجع وكيفية التعامل مع الكتاب والبحث عنه داخل المكتبة.

الخلاصة:

حاول الباحث استشراف مقرر من أهم المقررات الدراسية، وخاصة بكلية التربية التي تعد اللبنة الأولى لمعامل التنمية البشرية عماد التقدم والرفي وفق مؤشرات كمية يمكن أن تكون منطلقاً لمجموعة من الدراسات الأكثر عمقاً لكل المقررات، وخلص البحث إلى الآتي:

من الأهمية بمكان إضافة لمقرر مبادئ الإحصاء، اعتماد الجدول رقم (23) لمفردات المقرر ليكون شاملاً، ويمكن تقسيمه إلى فصلين دراسيين لما يؤسس لتعميق ثقافة المعايير العلمية، والعمل على تطوير الواقع التعليمي بما يحقق تجويد المؤسسات التعليمية، وملاحقة أثر ذلك في مجالات الحياة المتعددة، التباين في إجابات الطلاب دليل صحة، رغم التجانس النسبي بين كل من الأقسام العلمية وقسم اللغة الانجليزية، وتعزيز هذا التباين يجب أن يتصل

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

بالممارسة، وكذلك في تنوع اختيار المناهج والأدوات وفي استعمال الأساليب الإحصائية لدى الطلاب، ويمكن تسهيل ذلك باعتماد مفردته بمقرر الإحصاء وهي حقيبة (spss) وخاصة في العلوم الإنسانية، وكذلك تطبيقات العلوم البحتة، مع التركيز على امتحان الكتاب المفتوح وخاصة بالنسبة للأقسام العلمية وفي ذلك إبطال للغش وتخفيف لحدة الاختبارات التحصيلية.

الجدول (23): يوضح المفردات المكملات للجدول (1).

موضوع المحاضرة	عناصر المحاضرة	ملاحظات
الإحصاء في البحوث	- تنظيم البيانات. - التعبير الكمي والوصفي. - التصنيف. - تفرغ البيانات. - تحليل البيانات. - تفسير النتائج (المعلومات)	1. مرجع الدكتور فان دالين. 2. مرجع الدكتور الشيباني. 3. مرجع الدكتور جابر.
الإحصاء في البحوث	الإحصاء الوصفي: - مقاييس النزعة المركزية. - مقاييس الوضع النسبي. - مقاييس التشتت. - مقاييس العلاقة (الارتباط).	1. علم النفس الاحصائي، د. عباس محمود عوض
الإحصاء في البحوث	الإحصاء الاستنتاجي - الاحتمالات - اختبارات الدلالة الإحصائية. - النسبة الحرجة، تحليل التباين، اختبار (ت) - مربع كا²	1. أساسيات الإحصاء والاحتمالات، د. الصديقي أشقر. 2. مرجع الدكتور عباس.

من الضرورة بمكان مرور الطالب بمجموعة من المقررات قبل هذا المقرر وهي الإحصاء، الحاسوب، القياس والتقويم، لما تشكله من تنمية مهارة التعاطي مع المعلومات ومن ثم سهولة استيعاب طرق البحث وإمكانية الممارسة والتركيز وفق تحليل النتائج على أقسام العلوم الإنسانية بمضاعفة الجهد من حيث توفير تطبيقات عملية للبحث العلمي لكل منهج

دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

واستعمال الأدوات، والبحث في أسباب التركيز على مناهج محددة وأدوات محددة لانتشار استعمالها، بالتنسيق مع مقرر التقويم والقياس.

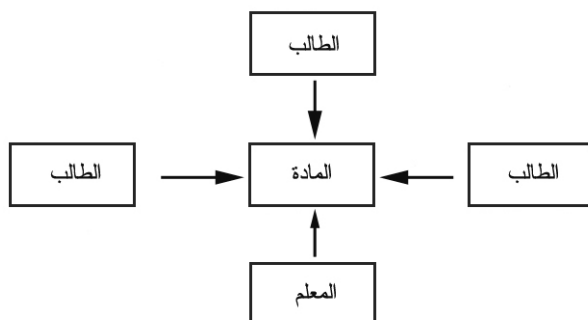
استعمال تقنيات المعلومات وتوفيرها بتبعية إدارية للمكتبة مع مراعاة الأمانة العلمية والتركيز على الكتابة بخط اليد لتحسين الخط وتقوية اللغة، وتأخير الواجبات المطبوعة في المرحلة الجامعية إلى مشروع التخرج لتلافي تعقد مشكلة الأخطاء الإملائية لدى الطلاب وتبيانها من خلال كتابتهم اليدوية قبل أن تدعم بالتقنية ويصعب اكتشافها.

تدريب الطلاب على الانتباه واستعمال التركيز المقصود حيال المواضيع الدراسية، واعتماد الإجراءات والبرامج التي تعتمد الدقة والضبط، وتمثيل ذلك ما أمكن من المحاضر.

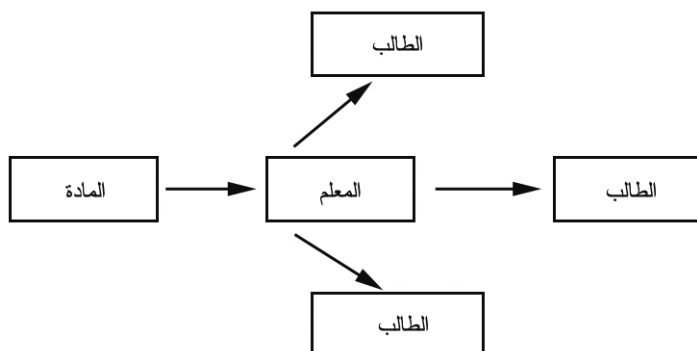
اعتماد الطريقة التفاعلية (المجموعات الصغيرة - حل المشكلة) في هذا المقرر بتناول مواضيع تطبيقية لتمكين الطلاب من مهارات التفكير والتعبير والممارسة، والبحث عن علاج الأعداد الحاصلة على الثانوية وفق توجهات سليمة.

التركيز على منح الطالب مساحة شاسعة للتعلم الذاتي، والتعاوني في إطار الجماعات الصغيرة، وتركيز المحاضر على فتح الأبواب والتدخل كمرشد ودليل لتصحيح مسارات الطلاب.

الإلحاح وبشدة على نظام المجموعات التي لا تتجاوز (25 طالب) لكل مجموعة لما شكله ذلك من أثر جيد في مستوى التحصيل، مع التركيز القائم تجاه التعليم القائم على التفاعل بدلاً من التعليم التقليدي، التلقين والاسترجاع؟ انظر الشكل (4، 5).



الشكل (4)



الشكل (5): التعلم التقليدي

الاهتمام بالمكتبة من حيث (التصنيف - المختصين - التنوع)، ويلحق بها مكتب التقنيات التعليمية وللاهمية يفترض إضافة مقرر لعلم المكتبات بكليات التربية لكل الأقسام، ويتحقق تلافي عجز الإعداد للمعلم بكليات التربية بإلحاق مفردة بمقرر طرق البحث عن المكتبات وكيفية استخدامها وخاصة الإلكترونية منها.

الخاتمة:

ختاماً لهذا الجهد المتواضع يرى الباحث ضرورة التركيز على هذا المقرر وتكرار النقاش

..... دراسة تقويمية لمقرر طرق البحث

حوله، ودراسته مع المقررات الأخرى وخاصة المتطلبات الجامعية والخاصة بالكليات كل على حدة، فهي المقررات الأكثر ضرورة والتي تشكل إطار الوعي بممارسة المهنة المراد تطويرها والعناية بجودتها، وعند تحديد مفردات المقررات ووضوح أهدافها (الإطار العام للممارسة)، فهي المحتوى الذي يجمع التخصصين، إن التنسيق المستمر والفعال بين أعضاء هيئة التدريس بالأقسام المتخصصة، والمكلفين بمقررات المتطلبات الجامعية والكليات من الأهمية بمكان أهمية كل العلوم والتخصصات المختلفة، والحوار العلمي المتصل حيال ذلك يمكن من الأداء الجيد، وخاصة في ظل نظام الفصل الدراسي، ومن خلال بعض المؤشرات الكمية لهذه الدراسة والمتعلقة بطلاب بعض أقسام الكلية، يمكن اعتبار الخلاصة مقترحات قابلة للنقاش والبرمجة لتحسين المقرر والأداء.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

المراجع والمصادر:

1. أبوحوش، عمار، الذنبيات، محمد محمود، **مناهج البحث العلمي وطرق إعدادة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
2. أتيّمْ، محمود أحمد، **أسس التصنيف والتصنيف العلمي (ديوي، العالمي، الكونجرس)**، دار الجيل (بيروت) ودار المحتسب (الأردن)، 1981.
3. الأشقر، محمد يوسف، عبد اللطيف الصديقي، **أساسيات الإحصاء والاحتمالات**، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2001.
4. جابر، جابر عبد الحميد، كاظم، أحمد خيرى، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978.
5. الجامعي، نقابة أعضاء هيئة التدريس الجامعي، العدد 1، 9، طرابلس/ليبيا، طرابلس 1993، ربيع 2005.
6. جورج. ج. تايلور، ترجمة لطفي فطيم، **عقول المستقبل**، عالم المعرفة، العدد أغسطس 92، الكويت، 1985.
7. ديوبولد. ب. فان دالين، ترجمة د. محمد نبيل نوفل وآخرون، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، ط4، مكتبة الانجلو مصريه، القاهرة، 1990.
8. الشريف، عبدا لله محمد، **أصول إعداد وكتابة التقارير**، المؤلف، طرابلس، 2010.
9. الشيباني، عمر التومي، **مناهج البحث الاجتماعي**، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا، 1983.
10. صوان، يوسف محمد، **الكتاب الأخضر ومنهجية البحث العلمي**، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، طرابلس، 2005.
11. عقيل، عقيل حسين، **المفاهيم العلمية (دراسة في فلسفة التحليل)**، منشورات ELGA، فاليتا، 2001.
12. علوان، المهدي علي، **مدخل إلى طبيعة العلم**، دار النخلة للنشر، طرابلس /ليبيا، 2009.
13. علي، نبيل، العقل العربي ومجتمع المعرفة ج2، **عالم المعرفة**، العدد ديسمبر 370، الكويت، 2009.
14. فرانز روزنتال، ترجمة د. أنيس فريحه، **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي**، دار الثقافة، بيروت، 1980.
15. فلاديمير، جان كلود كورغانوف، ترجمة يوسف أبي فاضل وآخرون، **البحث العلمي**، منشورات عويدات، بيروت، 1983.
16. كينيث ابل، **حرفة المعلم**، ترجمة عمران ابو حجله، المركز الأردني للكتاب، عمان الأردن، 1986.
17. مايكل رينولدز، ترجمة طارق الاجهوري، **عمل المجموعة في التعليم والتدريب (أفكار للممارسة)**، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2002.
18. **مجلة البحوث العربية للعلوم الاجتماعية والتطبيقية**، المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، العدد الأول شهر الماء، طرابلس/ليبيا، 1991.
19. مراد، صلاح أحمد، سليمان، أمين علي، **الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2002.
20. معمريه، بشير، **بحوث ودراسات في علم النفس**، منشورات الحبر، الجزائر، 2007.
21. والتر. ت. فينرير، ترجمة د أنيس كنجو/ د. عمر العيدروس، **التصميم التجريبي (نظرية وتطبيق)**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1998.

من أعلام الحضارة العربية الإسلامية

من أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

ريما جبور

باحثة

ازدهرت العلوم التطبيقية في العصر العباسي ازدهاراً لافتاً للانتباه، ساعد على ذلك الازدهار اهتمام الخلفاء بالناحية العلمية، التي اعتبروها من أقدس مهماتهم على الإطلاق، لأنهم كانوا يرون فيها عاملاً قوياً في تقدم دولتهم وتطورها، فشجعوا حركة الترجمة من اللغات الأخرى كال يونانية والفارسية وغيرها إلى اللغة العربية، أضف إلى ذلك أن العباسيين ورثوا عن الأمويين تراثاً بالغ الأهمية في ميدان عدد من العلوم، وهذا الأمر ساعد على دفع حركة هذه العلوم بسرعة على طريق التقدم والتطوير والإبداع. وتجلّى ذلك الواقع الإيجابي في عدد من ميادين العلوم، كالطب والصيدلة والهندسة والزراعة والطبيعة وما إلى ذلك من علوم أخرى متفرقة. وكان هذا التطور الإيجابي العظيم قد بدأ يظهر بقوة في بداية العصر العباسي الثاني، على الرغم من حالة عدم الاستقرار التي سادت في هذا العصر كما مرّ معنا في بحث الحالة السياسية العامة في العصر العباسي ككل.

الطب

اختلف الواقع الطبي في العصر العباسي عنه في العصر الأموي اختلافاً جذرياً واضحاً، ذلك لأن العصر العباسي تميز بانتشار مظاهر الترف والتنوع في المآكل والمشرب، فتعرضت أجسام الناس لأمراض حضرية جديدة لم تكن معروفة في العصور السالفة، فاحتاجوا إلى العناية الطبية بقدر كبير ومركز. وهذا ما جعل خلفاء بني العباس الأوائل يقررون الاهتمام بمسألة الطبابة، بعد أن سمعوا شيئاً كثيراً عن الطب اليوناني، ووجدوا أنه لا يليق بأمّتهم

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ودولتهم، أن تتغافل عن هذه المسألة الهامة، فاستقدموا الخبراء وأرسلوا البعثات إلى مواطن العلم والحضارة.

وكان الخبراء الذين استقدمهم الخلفاء العباسيون هم آل يختيشوع، الذين طارت شهرتهم في هذا العصر. وكان أشهر المبعوثين العرب حنا بن ماسويه، رحل إلى جنديسابور وتعلم الطب هناك، لكنه لم يبلغ من النجاح في العلاج ما بلغه زملاؤه من أهل جنديسابور. ترجم العديد من الكتب عن السريانية، وربما لم تكن جيدة، فتركه العرب وبدؤوا يترجمون عن اللغة اليونانية. ولعل أكبر وأفضل ما قدمه ابن ماسويه، هو أنه أول عربي تولى الترجمة والتأليف والعلاج، مع أنه لم يبلغ في أي منهما مبلغاً كبيراً.

وقد ازدهر عصر الترجمة من اليونانية وغيرها إلى العربية في عصر هارون الرشيد والمأمون. فكان في مدينة بغداد في ذلك الوقت ثلاث مجموعات، كل مجموعة تنسب إلى بلد بعينه، وكان لكل منها عمل محدد.

كان قوام المجموعة الأولى من أهل جنديسابور وفي طليعتهم جبرائيل بن يختيشوع، وقد تجسد عملهم الرئيس في مداواة الخلفاء والأمراء والوزراء، لأنهم كانوا قد امتلكوا الخبرة الجيدة في ميدان الطب، مما لم يتوفر لدى غيرهم من أطباء ذلك العصر. وكان جبرائيل مثل والده، ركز همه على العلاج أكثر من الترجمة والتأليف. وقد شجع نجاحه وحظوته عند الخلفاء على حمل الناس على الاهتمام بالعلوم الطبية والسعي إلى إتقانها، يتمنون أن يصلوا إلى ما وصل إليه جبرائيل من المكانة والمجد.

أما المجموعة الثانية فكانت من أهل الحيرة وعلى رأسهم حنين بن إسحق، وهو من أكبر نوابغ ذلك العصر، تلمذ حنين بن إسحق عند حنا بن ماسويه، ثم ركز على دراسة اللغة السريانية، ثم رحل إلى اليونان وأتقن لغتها، ثم عاد إلى البصرة فأخذ العربية على خبرة علمائها. ثم كلفه الخليفة المأمون برئاسة بيت الحكمة، فقام بترجمة الكتب الطبية اليونانية ترجمة دقيقة متقنة، وبخاصة كتب أبقراط وجالينوس، وقد أحبه البغاديون كثيراً لمساهمته في

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

دفع نهضتهم الطبية قدماً إلى الأمام، فقد بلغت من الرقي العلمي مبلغاً كبيراً، فغدت المرجع الأكبر في ذلك العصر، فكان المترجمون يعرضون عليه الكتب، التي كانوا قد ترجموها. ومن أشهر مؤلفاته الطبية عشر مقالات في طب العين، ويقال إن هذه المقالات ربما كانت توضيحاً وشرحاً لما كان جالينوس قد كتبه عن أمراض العين.

أما المجموعة الثالثة فكانت من أهل حرّان، وكان في طليعتهم ثابت بن قرة وابنه سنان، وكلاهما كان طبيباً ممارساً، لكن يقال إن ثابت بن قرة لم يصل إلى المستوى الذي وصله أهل جنديسابور، كذلك فإنه لم يصل في ميدان الترجمة إلى ما وصله حنين، ومع ذلك فإن الجميع يعدونه رجلاً واسع الاطلاع غزير المعرفة في الفلك والهندسة إضافة إلى الطب عمله الرئيس. أما ابنه سنان فقد تفوق عليه، مما جعل الخليفة المقتدر يعتمد عليه في امتحان الراغبين في تعاطي صناعة الطب قبل أن يسمح لهم بعلاج المرضى، وهو أمر كان لا يعهد به إلا لكبار الأطباء المتمكنين في مجال علمهم¹.

وحينما تمكن الأطباء العرب في مجال اختصاصهم، وتحققوا من علمهم ومعارفهم الطبية التي كانوا قد أخذوا القسم الأعظم منها عن المؤلفين اليونان، بدؤوا في تأليف كتب على غرار المؤلفات اليونانية تتضمن الكثير من المعلومات الجديدة. وكان أكثر هذه المؤلفات في ميدان طب العيون، كما فعل حنا بن ماسويه، وحنين بن إسحق، وثابت بن قرة وآخرون.

كان الطبيب علي بن زين أول المؤلفين العرب، الذين نهجوا هذا النهج في كتابه (فردوس الحكمة)، الذي قسمه إلى عدد من الأبواب والمقالات، ومع ذلك فإنه لم يأت فيه بجديد، ولكنه يدل من جهة ثانية على ثقة المؤلف بعلمه، تلك الثقة التي ظهرت واضحة عند أطباء العصر العباسي بعامة، مع أنهم كانوا يشعرون في أحيان كثيرة، أن مؤلفاتهم لا توازي تلك التي ألفها اليونانيون².

¹ محمد كامل حسين، مقالة في كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية طبعة مصر 1987 ص250 وما بعدها.

² محمد كامل حسين، المرجع السابق ص 252-253.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

لكن منذ أواسط القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أخذ الجانب العلمي يظهر بجلاء، وأخذ الأطباء منذ أيام الرازي المتوفى سنة 313هـ/926م يهتمون بالملاحظات السريرية أي دراسة المريض وتطور حالته المرضية سلباً أو إيجاباً، وكذلك بمسألة الاختبار والتجربة في معالجة المرضى بالأدوية المفردة وغير المفردة. ونشأت مدارس للطب في العالم العربي، كان فيها التدريس بطريقتين، طريقة نظرية في المدارس الطبية، وطريقة عملية للتدريب والتمرين.

حتى نتعرف أكثر حقيقة التقدم الطبي في العصر العباسي، لا بدّ من التعرض لدراسة أشهر وأعظم الأطباء في هذا العصر، الذين كان في مقدمتهم الطبيب أبو بكر الرازي، الذي بدأ بدراسة الطب في عمر الثلاثين، لكنه سرعان ما أصبح الطبيب الذي يُعَوَّل عليه، حينما انتخب من بين عدد كبير من الأطباء لرئاسة البيمارستان العضدي بمدينة بغداد. وكان الرازي أول طبيب عربي دَوّن ملاحظاته على مرضاه، وتابع تطور المرض وظواهره، هذا في الوقت الذي كان يطلّع فيه على كل كتاب طبي تقع عينه عليه، فكان كثير الملاحظة والإنتاج، قام بتأليف العديد من الكتب وأشار إلى مصادرها اليونانية والهندية والفارسية والعربية، وهو أول من وصف مرض الجدري والحصبة في كتاب صغير، يُعد من خيرة ما وصلنا من تراث العرب الطبي في العصور الوسطى. وهو أيضاً أول من قال بالمرض الوراثي، وأول من استعمل الماء البارد في الحُمَيّات المستمرة، وهو أمر أقرّه علم الطب المعاصر. وكان إضافة لذلك صيدلانياً كيمياوياً، وهو أول من استعمل الزئبق¹.

في مقدمة مؤلفات الرازي الطبية كتاب (الحاوي) وهو كتاب ضخّم شامل، جمع فيه الرازي بين طب الهند وطب اليونان، ثم أضاف إليهما تجاربه وملاحظاته. تكلم الرازي في هذا الكتاب على أمراض الرأس كالسكتة والفالج وأوجاع الأعصاب واسترخائها، وعلى الصرع والكابوس والتشنج والكزاز، ثم على أمراض العيون والأنف والأذن والأسنان. وكان

¹ عبد العزيز بن عبد الله، الطب والأطباء بالمغرب، ص 89، أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، طبعة دار الفكر 1973، ص 598.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

في أثناء ذلك كله يسمى أعراض كل مرض ويصف العلاج المرافق له، ثم يؤكد تشخيصه وصحة مداواته بأمثلة كثيرة في تجاربه¹.

وقسم الرازي هذا الكتاب إلى قسمين أحدهما (الأقرباذين) وهي كلمة مأخوذة من اليونانية ومعناها رسالة صغيرة، ويقتصر بها على تركيب الأدوية، وثانيهما مجرد ملاحظات سريرية جمعها تلامذته بعد وفاته من سجلات المستشفى العضدي ومن مذكراته، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية².

وله كتاب المنصوري، كتبه للأمير منصور حاكم خراسان، وهو عشرة أقسام أكثر ترتيباً ووضوحاً من الحاوي النظري والعملي، وهو موجز لكتاب الحاوي، ترجم إلى اللاتينية، وبقي كتاب التدريس المقرر في جامعات أوروبا الطبية حتى القرن السابع عشر، وطبع عدة طبعات في ميلانو والبندقية وليون وبادوا، وبال. وله رسالة في الجدري والحصبة، فيها أول وصف سريري لهما، وهو أول من فرق بينهما وأشار إلى انتقالهما بالعدوى. وقد وصف الطفح الذي يرافقهما وصلته بارتفاع درجة الحرارة، كما أكد أهمية فحص النبض والتنفس والبراز عند المريض بهما. ثم تكلم عن التشنجات التي تحدث من جرائهما ونصح باتباع طرق يمكن أن تحول دون هذه التشنجات، وهي أوجز مما كتب في الطب العربي في العصور الوسطى، وقد ترجمت إلى اللاتينية وطُبعت عدة مرات وطُبعت عام 1848 بالإنكليزية.

وله كتاب الأسرار وهو كتاب في الكيمياء، يبحث في الأدوية وتركيبها وتحضيرها وخصائص الأجسام، ترجم إلى اللاتينية خلال القرن الثاني عشر الميلادي. وله كتاب الجامع، جمع فيه العلوم الطبية قديمها وحديثها مضافاً إليها اختبارات الواسعة، وله كتاب طب الفقراء ويبحث في الإسعافات الأولية في حالة غياب الطبيب والأدوية الموجودة في كل مكان، وفائدة الماء البارد ومداواة الزكام، ومنافع الحمام ومضاره، والرازي هو أول من استعمل مصارين

¹ عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، طبعة بيروت، دار العلم للملايين، 1984، ص 276-277.

² أنور الرفاعي، المرجع السابق ص 599.

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

الحيوانات لخيطة الجروح¹.

ثم جاء علي بن العباس المتوفى في سنة 383هـ/994م وهو من تلامذة الرازي، فوجد لديه علماً نظرياً وعلماً عملياً مستقراً، فبدأ له أن يؤلف كتاباً جامعاً في الطب يكون أوضح من كتب أبقراط، التي كان اختصارها سبباً في غموضها، ويكون أقل إطناباً من كتب جالينوس، فألف كتاباً سماه (الملكي) أو (كامل الصناعة الطبية) وهو أحسن إيجازاً وتنسيقاً من كتاب الحاوي للرازي. وفي هذا الكتاب كلام على الشرايين الشعرية الدقيقة، وملاحظات سريرية صائبة، كما فيه كلام على حركة الرحم، وذلك أن الجنين لا يخرج من تلقاء نفسه، ولكن الرحم هي التي تدفعه إلى الخروج. وكان حظ هذا الكتاب سيئاً، ذلك لأنه كان قبل كتاب القانون لابن سينا بوقت قصير، فأهمل هذا الكتاب من الناس المهتمين مفضلين عليه كتاب القانون².

لكن أعظم أطباء العرب هو ابن سينا المتوفى في سنة 428هـ/937م، الذي سطع نجمه في سماء الطب العربي، جمع الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والموسيقا واللغة معاً. لقب بالشيخ الرئيس، واسمه أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، ولد قرب مدينة بخارى بجمهورية أوزبكستان بآسيا الوسطى في بيت له اشتغال بخدمة الدولة، وتلقى العلوم العقلية والشرعية في بيت أبيه، وقد نضج عقله وجسمه نضوجاً سريعاً مبكراً، وكانت له ذاكرة غريبة، فقد حفظ القرآن في العاشرة من عمره، وأسعفه الحظ بشفاء الأمير نوح بن منصور الساماني على يديه، فقربه إليه وأذن له بالدخول إلى دار كتبه، فانكب على دراسة ما فيها من كتب الطب والفلسفة ومختلف العلوم، وكان كله من غير معلم، وقد قال عن نفسه، أنه ملك جميع العلوم والمعلومات الميسورة لجيله حتى سن الواحدة والعشرين. واشتغل ابن سينا بالسياسة فتعرض لتقلباتها، وأخذ ينتقل من قصر أمير إلى قصر أمير حتى قُلد الوزارة لشمس الدولة في همدان، ثم سجن وأُفرج عنه. تفوق ابن سينا في الطب، وكان من مشاهير الأطباء العالميين، ومع ذلك فإنه كان

¹ عمر فروخ، المرجع السابق، ص 277، أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 599.

² محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 257.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

يميل إلى الفلسفة، ومن هنا كان كتابه مقبولاً عند المفكرين والممارسين، في حين أن كتب الرازي كانت أكثر قبولاً عند الممارسين. ولم يتفرغ ابن سينا لفحص المرضى ووضع العلاج لهم، ولا يعني ذلك أن علمه بالطب كان ناقصاً، ولكنه يعني أن تصوره للطب كان تصوراً يليق بفيلسوف مثله.

بحث ابن سينا في النبض بحثاً معمقاً، وربط بين أحواله المتفاوتة وبين الأمراض المختلفة، كما بين أثر العوامل النفسية في اضطرابه، ووصف السكتة الدماغية واحتقان الدماغ، وأشار بمعالجة الدماغ المحتقن بالتبريد، ثم توسع في دراسة الأمراض العصبية والاضطرابات النفسية وعالجها ببراعة ونجاح. وهو أول من وصف التهاب السحايا الأولى وصفاً صحيحاً، ووصف أسباب اليرقان وصفاً مستوفياً، وفرق بين شلل الوجه الناتج عن سبب داخلي في الدماغ أو عن سبب خارجي. وفرق بين داء الجنب وبين التهاب الحجاب الحاجز، وعرف خصائص العدوى في السل الرئوي وفي انتقال الأمراض التناسلية، وعلل الميول الشاذة في الإنسان.

كما درس ابن سينا الجهاز الهضمي في الإنسان دراسة وافية، وعرف الأعراض السريرية والعلامات الفارقة للحصاة، إذا كانت في الكلية أو إذا كانت في المثانة. وبرع في دراسة أحوال العقم، وعرف أن حالاً منها نشأ من فقدان الوفاق النفسي والطبيعي بين الزوجين. كما بحث في الأورام الخبيثة بحثاً مقبولاً في الوقت الحاضر، فاستنتج أن الطريق الوحيد للشفاء من الورم (السرطان) إنما هو الجراحة في مراحل المرض الأولى، ومع ذلك فإن الشفاء غير مؤكد¹.

وعرف ابن سينا عدداً من الحقائق المرضية من طريق التحليل النفسي، حينما هرب خوفاً من السلطان محمود الغزنوي، ذهب إلى جرجان متخفياً، وكان أحد أقارب أمير تلك الناحية مريضاً مرضاً عجز الأطباء عن معرفته، فلما علم أهل المريض بقدم طبيب إلى ناحيتهم، وهم لم يعرفوا أنه ابن سينا، دعوه إلى علاج فتاهم. فحص ابن سينا الفتى فلم يجد به مرضاً،

¹ عمر فروخ، المرجع السابق، ص 248، وما بعدها.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

فطلب رجلاً يعرف أسماء جميع الأمكنة في تلك الناحية، فجيء له به، فلما حضر سأله أن يسرد عليه وعلى مسمع من الفتى أسماء جميع الأمكنة في تلك الناحية، فلما لفظ الرجل اسم بلدة معلومة، وكان ابن سينا يحس نبض المريض، اضطرب نبض الفتى اضطراباً ظاهراً، حينئذ طلب ابن سينا رجلاً يعرف أسماء الأسر والأشخاص في الحي المعين، وهكذا عرف ابن سينا أن الفتى مشغوف ثم قال لأهله، ليس لابنكم مرض ولكنه يحب فلانة بنت فلان القاطنة في الحي الفلاني في البلدة الفلانية.

تمتاز مؤلفات ابن سينا الطبية بحسن وضعها وبترتيبها وإبرازها في قالب منطقي قوي الحجة قاطع البرهان، مما جعل كتاباته شديدة التأثير في رجال العلم في القرون الوسطى لمدة طويلة بلغت ثمانية قرون. وقد بلغت مؤلفاته نحو المئة في مختلف العلوم أهمها:

كتاب القانون في الطب

وهو من الكتب العالمية، مثله كمثل فلسفة أرسطو وهندسة إقليدس، وكتاب المجسطي في الفلك، وكتاب سيبويه في النحو. وهو أفضل تراث في الطب العربي، ويقسم إلى خمسة أقسام تبحث في تشريح جسم الإنسان، وفي حفظ الصحة والوقاية من الأمراض، وفي العلاج عموماً، والأدوية المفردة مرتبة حسب الحروف الهجائية، وفي الحميات والقروح والجراحة والكسور والسموم وأمراض الجلد وما إلى ذلك. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وطبع أكثر من ثلاثين طبعة. وله الأرجوزة في الطب، وهي قصيدة شعرية من 1314 بيتاً، جمعت الطب وحفظ الصحة وأنواع العلاج، علق عليها ابن رشد تعليقاً ممتعاً¹.

وفي هذا العصر ظهرت بعض التخصصات في الطب العربي، على حين كان الأطباء يدرسون الطب والرياضيات والفلسفة والموسيقا والطبيعة. وتعمق بعضهم في فرع واحد، وانقطع للعمل فيه كطبيب متخصص ومؤلف، كما هو الحال في وقتنا الحاضر. ومن هذه التخصصات:

¹ أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 601. محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 258.

الكحالة

وتعني طب العيون، الذي اشتهر فيه الكَحَّال عيسى بن علي من تلامذة حنين بن إسحق. وله كتاب (تذكرة الكَحَّالين) وعلي بن عيسى صاحب كتاب (في علاج العين) وعمار الموصلي مؤلف كتاب (علاج العيون) وفيه تشريح مفصل للعين وأمراضها.

طب الأسنان

الذي انبرى كثيرون من الأطباء للاشتغال فيه وكذلك التأليف.

الجراحون

وهم أكثر الأطباء العرب، ويسمى الجراح أيضاً في بعض الكتب (الجراحي) وكان الجراح يحتاج لأن يكون عارفاً بالتشريح ومنافع الأعضاء ومواقعها ليتجنب قطع الأعصاب والأوتار وأطراف الفصل أثناء الجراحة¹.

إلى جانب ذلك انتشرت المستشفيات وكثرت في هذه الحقبة، كما كان الحال في العصر الأموي، واهتمت الدولة بها اهتماماً بالغاً، وظهرت المستشفيات المتخصصة لأنواع من الأمراض. من هذه المستشفيات نذكر على سبيل المثال:

المستشفيات العسكرية التي خصصت لأفراد الجيش، تنتقل معه وتُحمل أدواتها على البغال والجمال، ويرافق المستشفى ممرضات لتمرير جرحى الحرب من الجند. واشتهر من هذه المستشفيات المستشفى العسكري الخاص بالسلطان محمود السلجوقي، الذي كان يحمل على أربعين جملاً².

ومستشفيات السجون التي اشتهرت بها بغداد في هذا العصر، وكذلك المستشفيات المتحركة ولا سيما في الريف والقرى البعيدة عن المدن، وكان يكثر عمل هذه المستشفيات عند انتشار

¹ أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 65.

² ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج3، ص 123، القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص264، المقرئ، نفح الطيب، ج 2، ص 123.

الطواعين والأوبئة.

وهكذا عمت المستشفيات كل مكان في هذا العصر، كذلك التي بناها هارون الرشيد والبرامكة والمقتدر العباسي، ومعز الدولة بن بويه، وأحمد بن طولون، وكافور الإخشيدي وغير ذلك¹.

الصيدلة

الصيدلة تعني علم الأدوية، وهي متصلة بعلم الأعشاب والنبات وبعلم الحيوان والمعادن والكيمياء، ذلك أن الأدوية نباتية وحيوانية ومعنوية، وهي تحتاج إلى نسب في التركيب يقتضي المعرفة بالكيمياء. وقد تطورت الصيدلة مع تطور الطب وتقدمه، ذلك لأن العناية بالطب ارتبطت بالعناية بالصيدلة والكيمياء، لذلك نرى أن معظم الأطباء في العصور الوسطى كانوا يعرفون تركيب الأدوية وتجهيزها، وكانوا على سعة اطلاع بالشؤون الكيماوية المختلفة. واعتنوا بذكر تفاصيل دقيقة عن كل نبات. أصله وساقه وورقه وزهره وثمره، وذلك حتى يخلط بين نبات وآخر ضار، كما اهتموا بوصف البيئة التي ينمو فيها النبات، ويُعد هذا الجزء من وصف النبات وصفاً علمياً بحثاً، ثم يذكرون بعد ذلك العقار المفيد للعلاج، وكيف يؤخذ ومتى وكيف يُصنع الدواء وكيف يُتعالى ومقدار الجرعة إلى غير ذلك.

من الصيدلة العرب الذين اشتهروا في العصر العباسي، جابر بن حيان الكوفي الذي عاش في المدة بين 123-195هـ/740-810م. وقد عاصر من الخلفاء العباسيين الخليفة هارون الرشيد. وقد تلمذ جابر بن حيان عند الإمام جعفر الصادق، الذي قدم له من العلم ما جعله يصبح من مشاهير الكيميائيين العالميين، واتصل عن قرب بالبرامكة وبخاصة يحيى بن خالد البرمكي وابنيه الفضل وجعفر. وينسب إليه عدد كبير من المؤلفات في الكيمياء، يعتقد أن معظمها كتبها تلامذته واحتراماً له وضعوها باسمه. وكانت كتبه تدرس في أوروبا حتى القرن

¹ عمر فروخ، المرجع السابق، ص 294.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

الماضي. ومن أشهر كتبه كتاب الخالص، كتاب الوصية، كتاب البيان والنور، كتاب التراكيب، كتاب الأسرار، وعشرات غيرها، ونخص بالذكر الكتاب الذي لا يزال بأصله العربي موجوداً وهو كتاب السموم¹ والكتاب مقسم إلى ستة فصول. الفصل الأول في أوضاع القوى وحالها مع الأدوية المسهلة والسموم القاتلة، الفصل الثاني في أسماء السموم وكيفية استعمالها، الفصل الثالث في ذكر السموم العامة، والرابع في علامات السموم المسفاة والحوادث العارضة عنها، والخامس في السموم المركبة، والسادس في الانتباه من أخذ السموم قبل تناولها، وقسم هذه السموم إلى ثلاثة أنواع حيوانية ونباتية وحجرية².

اشتهر بعد ابن حيان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الذي يُعد صيدلياً من الطراز الأول، تأثر بتعاليم جابر بن حيان كثيراً. وقد سلك الرازي في بحوثه وتجاربه مسلكاً علمياً خالصاً، فهو يذكر في كتاب (سر الأسرار) تجاربه مبتدئاً بوصف المواد التي يشتغل بها، ثم الأدوات والآلات التي يستعملها، ثم الطريقة التي يتبعها في تحضير المركبات، وهذا هو النهج الصحيح في البحث العلمي³.

وقد خصص ابن سينا جزءاً كبيراً من كتابه القانون للأدوية المفردة، فاستقصى عدداً كبيراً من النباتات المعروفة في عصره، وذكر الأجناس المختلفة من النبات، والأنواع المختلفة من الجنس الواحد، وتكلم عن المتشابه وغير المتشابه، وذكر موطن النبات والتربة، التي ينمو بها إن كانت ملحة أو غير ملحة. ومن خير ما أورده ابن سينا الأسماء المختلفة لبعض النباتات من إفريقية، كما فرق بين البستاني أو المنزرع، وبين البرّي، وأشار إلى اختلاف الرائحة والطعم في النبات، وسبق العالم كارل منتر الذي قال بأهمية التشخيص بالعصارة سنة 1934.

¹ توجد نسخة من هذا الكتاب في المكتبة التيمورية بمصر.

² ضرب مثلاً على كل منها بقوله، الحيوانية تؤخذ من الأفعى ومرارة النمر ولسان السحفاة والأرنب البحري والعقارب والكلب الكتب... والنباتية وتؤخذ من الأفيون والبنج الأسود والشيخ والكمأة وصمغ الشذاب وعنب الثعلب. والحجرية وتؤخذ من الزنجار والزئبق والزرنيخ والزاج والشبة وبرادة الحديد وبرادة الذهب.

³ أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 617.

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

واعتمد ابن سينا في وصفه للنبات على مصدرين، الأول الطبيعة، فيصف النبات غصناً طرياً، ويتكلم عن طوله وغلظه وورقه وشوكه وزهره وثمره، مما يتفق والعلم الحديث، والثاني ما يباع جافاً عند العطارين من أخشاب أو قشور أو أزهار أو ثمار، مما يتفق مع علم النبات الصيدلي.

وخصص في كتابه الشفاء عدة أجزاء لدراسة النبات، فتكلم عن الثمار والأشواك والنبات السيفي أو الساحلي أو السنجي والرملي والجبلي، وتحدث عن قضايا أخرى كالتطعيم وعن الذكر والأنثى في النبات وعن التكاثر¹.

من كل ما تقدم نستنتج أن علم الطب والصيدلة، تقدم كثيراً في العصر العباسي، وانتقل بحكم هذا التقدم إلى الغرب الأوربي بجملته علماً وعملاً.

العلوم الطبيعية:

بدأ العرب في العصر العباسي ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه، فأخذوا يترجمون الذخائر العلمية، وينقلون إلى اللغة العربية علوم الإغريق والرومان والفرس والهنود. وقاموا بدراسة هذه الترجمات ونقدها، ثم أخذوا يصلحون ما فيها من أخطاء، ثم يدونون ملاحظاتهم الجديدة عليها، وبذلك أسدوا إلى العلم خدمات لا تقل عن الخدمات، التي جاءت من مجهودات نيوتن وغيره، ذلك لأنهم بعد أن فهموا النظريات اليونانية وطبقوها على حالات كثيرة مختلفة، وضعوا نظريات وبحوث جديدة مبتكرة. وقامت عبقريتهم على نفهمهم للخرافات القديمة، وسعة اطلاعهم على علوم الأقدمين، ورحلاتهم الكثيرة للبحث والتتقيب، وتجاربهم في الموازنة بين مختلف مظاهر الطبيعة من جماد وحيوان ونبات وإنسان، ودراسة أوجه النسب والخلاف بينها. وأهم العلوم الطبيعية عندهم:

¹ أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 599، وانظر عن ذلك كتاب الشفا لابن سينا.

علم الميكانيك

وهو علم هام سماه العرب في العصور الوسطى علم الحيل، وقسموه إلى قسمين أحدهما يبحث في آلات الحركات وصناعة الأواني العجيبة، وثانيهما في جر الأثقال بالقوة اليسيرة. ودرسوا في هذا العلم كثيراً من الأدوات الميكانيكية كالرافعة واللوب والإسفين والآلات المفرغة للهواء والرافعة للماء وغيرها. ومن أقدم العلماء العرب الذين اشتغلوا بعلم الحيل وأشهرهم بنو موسى بن شاكر.

كان موسى بن شاكر في أول أمره رجلاً بطالاً، يتظاهر بالتقوى ليتخذها ستاراً إلى قطع الطريق والاعتداء على القوافل. ثم إنه تاب واتصل ببلاط المأمون العباسي، وأصبح في جملة المنجمين، ولذلك يعرف بموسى بن شاكر المنجم، وقد كانت وفاته في أيام الخليفة المأمون.

وكان لموسى بن شاكر ثلاثة أبناء أكبرهم أبو جعفر محمد المتوفى سنة 259هـ/873م، ثم أحمد بن الحسن. وقد اشتهر هؤلاء ببراعتهم بالرياضيات والهندسة والحيل والحركات والموسيقا وعلم النجوم. كما كانوا دعاة للعلم أنفقوا جانباً كبيراً من ثروتهم العظيمة في شراء كتب العلم من بلاد الروم، واستخدموا نفراً من الناقليين منهم حنين بن إسحق وثابت بن قرة وهلال الحمصي في نقل هذه الكتب إلى العربية. وأقام بنو موسى في دارهم ببغداد مرصداً للنجوم.

أما أبو جعفر محمد بن موسى بن شاكر، فكان أجلاً إخوته في العلم والمعرفة وافر الحظ من الإحاطة بعلم الهندسة وعلم الفلك، عالماً بكتاب الأصول أو الأركان في الهندسة لإقليدس وبكتاب المجسطي لبطليموس في المنطق.

وأما أحمد فكان دون أخيه محمد عامة، ولكنه بلغ في صناعة الحيل من البراعة ما لم يبلغه أخوه محمد. وكان الحسن أصغر من أخويه، وكان منفرداً بعلم الهندسة¹.

¹ ابن النديم، الفهرست، ص 287.

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ألف هؤلاء الإخوة عدداً من الكتب، منها كتاب يحتوي على قياسات المساحات المسطحة والمستديرة. ويعرف في أوربا باسم كتاب الإخوة الثلاثة في الهندسة بعد أن ترجمه جيرار الاكويني. وكتاب (حيل بني موسى) جمعوا فيه علم الميكانيك القديم وتجاربهم الخاصة، وهو يحوي مئة تركيب ميكانيكي، عشرون منها ذات قيمة علمية. وكتاب (القرسطون) وكتاب الآلات الحربية.

وكان اهتمام أحمد منصّباً على الاختراعات العملية ذات الفوائد المنزلية ولعب الأطفال والأنقال وغيرها، وقد جاء وصفها في كتاب فن الآلات الروحية. من ذلك اختراعه لآلات تمتلئ بالسوائل وتفرغها تلقائياً، وقناديل ترتفع فيها الفتائل تلقائياً ويصب منها الزيت ذاتياً ولا تستطيع الرياح إطفاءها، ونافورات تندفع مياهها في صور شتى¹.

ومن الأبحاث العربية الهامة، التي دخلت عند العلماء العرب ضمن بحوث علم الحيل، حساب الوزن النوعي، فاخترع محمد بن حسن المعروف بالخازن والذي نبغ في أوائل القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، اختراع آلة الوزن النوعي لأي سائل. وكان البيروني يستخرج النّقل النوعي بوزن الجسم في الهواء أولاً ثم بوزنه في الماء بعد أن يدخله في وعاء مخروطي الشكل مثقوب على علو معين، ثم يزن الماء الذي أراحه الجسم. من حجم الماء المزاح كان يعرف حجم الجسم، ومن قسمة وزن الجسم في الهواء على وزن الماء المزاح يحصل على النّقل النوعي للجسم الموزون. ووصف الخازن في كتابه ميزان الحكمة عدداً من الموازين التي استعملها العرب في تجاربهم².

وفي العصر العباسي أعلن اختراع عربي هام هو الرقاص، وكان مخترعه أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصري المتوفى سنة 399هـ/1009م. ثم جاء بعده كمال الدين موسى بن يونس بن محمد العقيلي الموصلّي المتوفى سنة 639هـ/1242م، فعرف أشياء كثيرة

¹ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 505.

² المقرئ التلمساني، نفح الطيب، ج 3، طبعة صادر بيروت، ص 374.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

من قوانين تذبذب الرقاص، فقد كان الفلكيون يستعملونه لحساب المَدَد الزمنية في أثناء رصد النجوم.

وبعد أن اخترع العرب الرقاص، ووضعوه موضع الانتفاع العملي بستمئة وخمسين عاماً، وبعد أن استخرجوا شيئاً من قوانينه بأربعمئة سنة، جاء غاليلو الإيطالي المتوفى 1624م وتوسع في درس الموضوع ووضع أكثر القوانين، التي نعرفها اليوم عن الرقاص، ثم حسبها حساباً رياضياً. وكان اختراع الرقاص أمراً لا تقدر قيمته ونتائجه بثمن، فلواه لما وصلت العلوم الفلكية إلى المنزلة العالية التي هي عليه اليوم¹.

علم الفيزياء:

مع أن العرب بحثوا في جميع العلوم الفيزيائية، فإن أبحاثهم لم تصل إلينا جميعها، لأن معظمها ترجم إلى اليونانية واللاتينية، وأهملت أسماء المؤلفين العرب، ولولا أن الصفة العلمية والروح التي تسود بعض مناصفي العلماء الأوربيين المعاصرين من البحث عن الحقيقة وإسناد الأمور إلى أصحابها، لبقينا نجهل أن أكثر هذه النظريات كان من وضع العرب. وأهم الأبحاث في هذا الميدان:

الضوء ويسميه العرب علم البصريات أو علم المناظر، وقد اهتم به العرب منذ بدء اهتمامهم بالعلوم والفلسفة. وليس من المبالغة القول مع القائلين بأنه لولا البصريات ونتائج العرب فيها لما تقدم علم الفلك والطبيعة تقدمهما العجيب فيما بعد. ولعل العالم المرموق والرائد في هذا العلم، هو ابن الهيثم أبو علي بن محمد حسن البصري الذي ظهر بمدينة البصرة، ونبغ في علم الحيل والبصريات. وسمع عن النيل بمصر وفيضانه ففكر بطريقة لخزن مياهه، فسير إليه الحاكم بأمر الله جماعة أحضرته إلى مصر، فأخذ يدرس أحوال النيل، وسار مع مجراه حتى وصل إلى الموضع المعروف بالجنادل في مدينة أسوان وهو موضع

¹ قدرى حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، طبعة 3، ص 275، وما بعدها كارلو تلينو، علم الفلك وتطوره عند العرب، ص 307.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

مرتفع ينحدر منه ماء النيل، فعائنه وباشره واختبره، فوجد أمره لا يمشي على موافقة مراده، وتحقق الخطأ عما وعد به، وعاد خجلاً واعتذر فقبل الحاكم اعتذاره، وخشي ابن الهيثم انتقام الحاكم فتظاهر بالجنون، وبقي على حاله حتى توفي الحاكم، فأظهر العقل وعاد إلى ما كان من البحث والدراسة، وأخذ بتأليف كتبه التي أهمها كتاب (المناظر) وهو كتاب علمي يقوم على المشاهدة والتجربة والاستنتاج، مبوباً تبويباً علمياً منطقياً، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية، وبقي الكتاب الوحيد الذي يقره الباحثون في هذا العلم طوال العصور الوسطى.

ويقع هذا الكتاب في سبعة مجلدات تبحث في علم المناظر وفي تشريح العين ورسمها وأسماء أقسامها، ولعله أول من وضع لأقسامها أسماء عربية ترجمت إلى اللغات الأجنبية، لا تزال بها إلى الآن مثل الشبكية والقرنية والسائل الزجاجي والسائل المائي. ويبحث الكتاب في كل جزء من أجزاء العين وفي كيفية النظر إلى الأشياء بالعينين في آن واحد، وكيف تسير الأشعة من النور، من الجسم المرئي إلى العينين ووقوع ذلك على الشبكية في محلين متماثلين من العينين، ثم يبحث في العدسات وقوى تكبيرها، وينتقل بعد ذلك إلى بحث النظريات الضوئية المختلفة إلى غير ذلك من أمور¹.

ولابن سينا في البصريات أشياء أصاب فيها، فهو يقول بالورود لا بالشعاع قال: «وقد غلط من ظن أن الإبصار يكون بخروج شيء من العين إلى المبصرات يلاقها» وله نظرية هي: «إذا كان جسمان متساويين في الحجم فإن الأبعد منهما يُرى في رأي العين أصغر»².

وللرازي ملاحظات صائبة في الضوء والصوت، فهو يرفض الشعاع في البصر ويقبل الورود، ثم يناقش ذلك مناقشة طويلة في كتاب (المباحث المشرقية) وهو يقول، إن الألوان غير موجودة في الأجسام إذا كانت مظلمة، والدليل على ذلك أننا لا نرى الأجسام ملونة إذا كانت تلك الأجسام في الظلمة. وللصوت عنده سببان، أحدهما قريب والآخر بعيد. فالسبب

¹ دائرة المعارف البريطانية تحت اسم ابن الهيثم.

² تسع رسائل لابن سينا قسطنطينية مطبعة الجوانب 1298 هـ، ص 17.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

القريب تموج الهواء، وهو حالة شبيهة بتموج الماء تحدث بالتداول. وأما السبب البعيد فهو من وجهين، إحساس عنيف وهو القرع أو تفريق عنيف وهو العلع¹. وعرف إخوان الصفا الصوت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بأنه قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام، وذلك أن الهواء لشدة لطافته وسرعة حركته أجزائه يتخلل الأجسام كلها، فإذا صدم جسم جسمًا آخر، انسل الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كروي واسع. وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل. فمن كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات، ممن له أذن، بالقرب من ذلك المكان، فتموج ذلك الهواء بحركته، يدخل في أذنيه إلى صماخيه في مؤخر الدماغ، ويتموج أيضاً ذلك الهواء الذي هناك، فتحس عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير².

وبذلك يكون العرب قد بحثوا في منشأ الصوت وقوته، بفعل اهتمامهم بالآلات الموسيقية ونقْرِها وأنواع الأنغام. وقسموا الأصوات إلى أنواع منها، الجهير والخفيف، ومنها الحاد والغليظ، وشرحوا العلاقة بين طول الوتر وغلظه وقوة توتره وشدة النقر من جهة، ونوع الصوت الذي يحدث من جهة أخرى، وعللوا الصدى، وشرحوا سبب رؤية البرق قبل سماع الرعد، ذلك لأن البرق يُرى قبل أن يسمع الرعد لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر، وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك يتوقف على تموج الهواء، وذهابُ النظر أي سيرُ النور أسرع من وصول الصوت.

العلوم الرياضية:

تشمل علوم الرياضيات الحساب والجبر والهندسة والمثلثات وعلم الفلك، وجميعها تحتاج إلى نضج عقلي وقوة في التجريد. ففي الحقبة التي سبقت الإسلام، لم يشتهر العرب بأي نوع من هذه العلوم. فقد خلطوا على سبيل المثال التنجيم بعلم النجوم. وقد وصلنا كثير من القصص

¹ الرازي، المباحث المشرقية، ج 1، طبعة حيدر آباد الدكن، ص 301، ج 2، ص 278.

² رسائل إخوان الصفاء، ص 137.

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

التي تبين ضعف محاكمتهم الرياضية. وفي صدر الإسلام لم يهتموا كثيراً بالرياضيات، ذلك لأنهم تركوا أمر الجباية والدواوين للموالي والذميين، وحينما قام عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين¹ بدأ العرب يهتمون بتعليم الكتابة الرسمية والحساب، واندفعوا وراء ذلك بنشاط وما لبثوا أن مهدوا في هذه العلوم وغيرها.

الحساب:

اطلع العرب على حساب الهنود وأخذوا عنهم نظام الترقيم، وكان لدى الهنود أشكال مختلفة للأرقام، فاختاروا سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية (١، ٢، ٣، ٤) وهي المستعملة في أغلب البلاد العربية، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية² (4 - 3 - 2 - 1) وهي المستعملة في بلاد المغرب العربي، وكانت سائدة في الأندلس العربية، ومنها انتقلت إلى أوروبا وتعرف هناك باسم الأرقام العربية.

ويرجع الفضل في نقل هذه الأرقام واستعمالها إلى العالم العربي محمد بن موسى الخوارزمي، وهو أول من أوردها في مؤلفاته وكتبه في الحساب، وكان كتابه في الحساب الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة، وقد نقل إلى اللاتينية، وظل مرجعاً للعلماء المهتمين في الحساب، كما بقي علم الحساب نفسه قروناً معروفاً باسم الغوريتمي نسبة إلى العالم الخوارزمي.

وقسم العرب الحساب العلمي إلى قسمين، الغباري وهو الحساب الذي يحتاج استعماله إلى أدوات كالورق والعلم، والهوائي وهو الحساب الذهني. وأوجد العرب رقم الصفر وكان الهنود يستعملون (سونيا) أي الفراغ ليبدل على معنى الصفر، ثم استعمل العرب رقماً للصفر، وإن أول كتابة عربية ظهر فيها الصفر مرسوماً نقطة كما نرسمه اليوم، كان سنة 274هـ/874م واستعمله الهنود بعد ذلك بعامين. وقد سهل استعمال الصفر العمليات الحسابية البسيطة

¹ عبد الملك بن مروان هو أحد أشهر خلفاء الدولة الأموية حكم من سنة 65-86هـ.

² أما الأصل في تسميتها غبارية فهو أن الهنود كانوا ينثرون غباراً على لوح من الخشب ويرسمون عليه الأرقام.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

والمركبة، إذ أصبح الصفر لأول مرة يسمى (عدماً) كما فهم الأوروبيون في العصور الوسطى خطأ فسموه (لا شيء) ولكنه قدر أو كمية ما، يطرأ من جرائها على الأعداد تبدل أساسي، فكل عدد أساسي مضروب بصفر ناتجه صفر، وتقسيم عدد ينتهي إلى الصفر، واقتبس اسم الصفر في اللغات الأوروبية فصار (Zero) وتذكر المصادر الغربية أن أول من دعا لاستعمال الأرقام العربية من الأوروبيين هو ليوناردو سنة 1202م، فظهرت بعد ذلك في سويسرا والنمسا وفرنسا وألمانيا واسكتلندا وفي انكلترا¹.

يقول الخوارزمي، الحساب العربي أو الهندي قوامه تسع صور يكتفى بها للدلالة على الأعداد إلى ما لانهاية له وأسماء مراتبها أربعة، وهي الآحاد والعشرات والمئات والآلاف، فالواحد يقوم مقام العشرة، ومقام المئة، ومقام الألف، ومقام العشرين، ومقام المئتين، ومقام الألفين إلى غير ذلك.

ومما لا شك فيه أن اختراع نظام الصفر من المخترعات الأساسية والرئيسية، ذات الفوائد الكبيرة التي توصل إليها العقل البشري، فلم تنحصر مزاياه في تسهيل الترقيم وحده، بل تعدته إلى تسهيل جميع أعمال الحساب، ولولاه لما رأينا سهولة في الأعمال الحسابية، ولاحتاج المرء إلى استعمال طرق صعبة ومعقدة لإجراء عمليتي الضرب والقسمة.

ومن العلماء العرب الذين اهتموا بدراسة الأعداد والحساب في العصر العباسي، العالم الكندي المتوفى سنة 252هـ/866م الذي قال: إن الفلسفة نفسها لا تفهم إلا بالرياضيات. والرياضيات تكون بالبراهين لا بالافتتاح الشخصي ولا بالظن. والأعداد متناهية في نفسها، فكل عدد مهما كان كبيراً متناه، ولكن سلسلة الأعداد غير متناهية، لأن بإمكاننا أن نزيد كل عدد بلا نهاية، أما المعدودات فهي متناهية لأنها أجسام.

وكذلك إخوان الصفا الذين قالوا، بأن الأعداد قسمان: عاد وهو الواحد ومعدودات وهي سائر الأعداد أي باقيها، وكل عدد ما عدا الواحد والاثنين ينشأ بزيادة واحد على العدد الذي

¹ أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 650، وما بعدها.

التعريب العدد الواحد والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2016م

ينقدمه، فالأربعة ثلاثة يضاف إليها واحد، والثلاثة اثنان يضاف إليها واحد. أما العدد اثنان فهو واحد مكرر مرتين، فالاثنتان إذن أول الأعداد. وكل عدد سواء أكان صحيحاً أو كسراً فإنه وحدة قائمة بنفسها. غير أن الواحد وحدة حقيقية لا يطرح منها شيء ولا هي تنقسم، فالواحد أصل الأعداد ومنشأها، تأتي جميعها منه وهو مخالف لها، وتنشأ الأعداد من الواحد صعوداً: 1 - 2 - 3 - 4 - 5¹.

ومن العلماء العرب أيضاً في هذا المجال أبو بكر محمد بن الحسن الكوفي المتوفى سنة 420هـ/1029م، الذي اهتم بالحساب والجبر، واشتهر في حل المسائل أكثر من الإتيان بأشياء جديدة. وكان يستعمل الطريقة اليونانية (الحساب بالأحرف) في حل المسائل، لا الطريقة الهندية (الحساب بالأرقام)².

علم الجبر:

أيضاً كان العصر العباسي أول ما استعمل فيه الناس اسم الجبر أو بالأحرى كلمة الجبر، التي ما تزال مستعملة في اللغات الأوروبية حتى اليوم (Algebra). ورغم معرفة اليونان وغيرهم بعض معادلات الجبر، فإنه يعود للعرب أمر تنظيم هذا العلم والارتقاء به إلى مصاف العلوم المنظمة. ويُعد الخوارزمي أول من ألف فيه بطريقة منتظمة، بعد أن قربه الخليفة المأمون، فألف كتابه المعروف (الجبر والمقابلة، الذي كان يُعد المصدر الرئيس الذي يُعَوَّل عليه الأوروبيون، وكذلك كان كتابه في الحساب، مما يساعد على القول، بأن الخوارزمي هو واضع علمي الحساب والجبر.

ومما يدل على عبقرية الخوارزمي، أن علم الجبر لم يَخْطُ بعده في نحو ثلاثة قرون خطوة واحدة. حتى جاء عمر الخيام المتوفى سنة 515هـ/1121م، الذي اشتهر شاعراً، ولكنه كان من جهة أخرى عالماً ذا عقل منظم، فهو من أوائل الذين حاولوا تصنيف المعادلات بحسب

¹ عبد الحليم منتصر، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، ص 195-196.

² عمر فروخ - المرجع السابق ص 136 وما بعدها.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

درجاتها وبحسب عدد الحدود التي فيها. واستطاع حل المعادلات من الدرجة الثالثة والرابعة بواسطة قطع المخروط، وهذا أرقى ما وصل إليه العرب في الجبر، بل من أرقى ما وصل إليه علماء الرياضيات في حل المعادلات في الوقت الحاضر، لأننا نجهل اليوم كيفية حل المعادلة من الدرجة الخامسة وما فوقها بطريقة عامة. ومما سبق العرب إليه، أنهم اكتشفوا النظرية المشهورة القائلة: أن مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً، مثال ذلك إذا أخذت عدداً فضربته في نفسه ثلاث مرات $2 \times 2 \times 2 = 8$ ثم أخذت عدداً آخر فضربته أيضاً بنفسه مثال ذلك $3 \times 3 \times 3 = 27$ فإن مجموع المكعبين $8 + 27 = 35$ لا يكون عدداً مكعباً¹.

الهندسة:

قالوا عن العرب: إن فضلهم على علم الهندسة كان عظيماً، ذلك لأنهم ركزوا جلّ اهتمامهم على هذا العلم، حينما أهمله الآخرون. فالعرب هم الذين حمّوا هذا العلم من النسيان والضيعاع وقدموه للأوربيين في وقت مبكر، فالأوربيون أخذوا هندسة اليونان عن العرب لا عن اليونان، وترجموها إلى اللاتينية، وبقوا يتدارسونها كما تعلموها عن العرب إلى نهاية القرن السادس عشر. فالعرب هم الذين شرحوا الهندسة، وعرفوا تسطيح الكرة وألفوا فيه. وكان اهتمامهم في الجانب العلمي التطبيقي من هذا العلم، أكثر من اهتمامهم في الجانب النظري².

وقد ألف العرب في علم الهندسة كما ألفوا في غيره، فقد ألف ابن الهيثم كتاب سماه (حل شكوك إقليدس)، ظهر فيه كأحد العلماء الكبار في الرياضيات البحتة بكل ما تحمله من معنى.

وفي مؤلفات البيروني الكثير من النظريات الهندسية والبرهنة عليها، وهي طرق جديدة فيها ابتكار وعمق، وتختلف عن مؤلفات اليونانيين مثل رسالته، استخراج الأوتار من الدائرة بخواص الخط المنحني، وفيها برهان جديد لمساحة المثلث بدلالة أضلاعه، وهو غير البرهان

¹ حنا جرداق، مآثر العرب في الرياضيات والفلك، ص 11-12.

² عمر فروخ، المرجع السابق، ص 146-147.

الذي أتى به هيرون من رياضيي جامعة الإسكندرية القديمة¹.

علم الفلك (الهيئة):

اشتهر العديد من علماء العرب في علم الفلك، فكان لهم جولات هامة في الرصد والقياس. ثم ربطوا بينه وبين الرياضيات، ومنهم من ربط بين حركة الكواكب وحوادث العالم والناس من حيث الحظ والمستقبل والحرب والسلام، مما عُرف بالتنجيم، فكان الحكام يستشيرون المنجمين، فينظرون في حالة الفلك واقتراحات الكواكب، ثم يشيرون بمقتضى ما يرون من ذلك، وكذلك كانوا يستشارون في علاج بعض الأمراض.

إلا أن الفلك كعلم كان ضرورياً لبعض الأمور الدينية، كأوقات الصلاة حسب موقع البلد ومعرفة الموقع الجغرافي وحركة الشمس في البروج، وأحوال الشفق، وهلال رمضان، وتعيين سمت القبلة. وقد أدى ذلك وغيره إلى دراسة كتب الأقدمين في الفلك والتنجيم، فدرسوا أعمال الإغريق وبخاصة المجسطي لبطليموس، ثم علوم الكلدان والسريان والفرس والهنود. وأتيح للكثير من العلماء العرب أن يطبعوا ابتكارات هامة في الفلك، وأن يقوموا بعمليات رصدية على درجة كبيرة من الأهمية. وأول كتاب ترجم في علم الفلك، كان من اليونانية إلى العربية في عصر الأمويين وهو كتاب (مفتاح النجوم) لهرمس الحكيم.

لكن الذي يجدر بنا أن نقوله، إن اهتمام العرب بمراقبة الكواكب والنجوم ورصد حركاتها على أسس علمية ثابتة، بدأ في العصر العباسي موضوع بحثنا. ففي عصر الخليفة المنصور نقل العرب كتاب (السند هند) وكتاب (المجسطي) ترجمة محمد بن إبراهيم الفزاري وسماه (السند هند الكبير) وبقي معمولاً به إلى أيام المأمون واختصره الخوارزمي وصنع منه زيجه المشهور.

وكان الخليفة المأمون عالماً ومحباً للعلم، عرف أن الأقدمين قاسوا محيط الأرض أقيسةً

¹ عبد الحليم منتصر، المرجع السابق، ص 200-201.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

مختلفة، فأراد أن يعرف القياس الدقيق فأمر فريقين من المهندسين، بأن يذهبا إلى بقعتين مختلفتين ثم يقيسا درجة واحدة من محيط الأرض. واختار كل فريق بقعة واسعة مستوية قيل في صحراء تدمر وصحراء التركستان¹ وكانت النتيجة ستة وثلاثين ميلاً ونصف².

واشتغل الخوارزمي بالفلك، وصنع زيجاً بناءً على السند هند، وجمع فيه مذاهب الهند والفرس وبين مذهب بطليموس. وقد كان لهذا الزيج أثر كبير في الشرق والغرب.

ومن كبار علماء الفلك محمد بن جابر بن سنان الحراني المعروف بالبتاني المتوفى بمدينة الرقة السورية سنة 317هـ/929م. وفي الرقة قام بتجاربه الرصدية الثانية التي هي الأفضل لدقتها. كما اهتم بكتاب المجسطي لبطليموس واشتغل بأرصاد القدماء³.

ومن الذين اهتموا بصور السماء (مجاميع النجوم) عبد الرحمن الصوفي الرازي المتوفى سنة 376هـ/986م. وله كتاب (الكواكب الثابتة) أو (صور الكواكب الثابتة) وهو أفضل الكتب التي وضعت في الفلك. وقد ذكر الصوفي في هذا الكتاب جميع صور السماء ورسمها بالألوان وشرح أشكالها وبين خصائصها وضبط كثيراً من مقاديرها.

ولا بد أن نذكر أن عدداً كبيراً من العلماء العرب، لم يكونوا من المؤمنين بالتنجيم، كالكندي والفارابي وابن سينا. ويذهب ابن سينا إلى أن قول المنجمين بأثر الكواكب على الناس من خير أو شر، إنما هو قول هراء لأنهم أخذوه من غير برهان ولا قياس. وكذلك لم يكن الكندي مؤمناً بأثر الكواكب في أحوال الناس، ولا يقول بما يقول به المنجمون من التنبؤات القائمة على حركات الكواكب، ومع ذلك فقد اهتم بعلم الفلك، وله آراء جريئة في نشأة الحياة وقال: إن القول إن بعض الكواكب يجلب السعادة، وأن بعضها يجلب النحس، ودعاوى المنجمين ونبوءاتهم لا تستحق إلا الشك والارتياب⁴.

¹ التركستان جغرافياً تشمل جمهوريات آسيا الوسطى اليوم والقسم الغربي من الصين.

² أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص 660 وما بعدها.

³ ابن النديم، الفهرست، ص 279، وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2، ص 506، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 3، ص 283.

⁴ عبد الحليم منتصر، المرجع السابق، ص 206.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

وقد تعددت مراكز الرصد وتفرقت على مختلف البلدان في الوطن العربي الكبير، فقد بني أول مرصد في مدينة دمشق في العصر الأموي، وبقي هذا المرصد وحيداً حتى عصر المأمون، فأمر باتخاذ المراصد الفلكية وقدم لها ما تحتاج من أموال لبنائها وتجهيزها بأدوات الرصد، فبنى مرصداً في جبل قاسيون شمال مدينة دمشق، وبنى مرصداً في الشماسية ببغداد، وبنى بنو موسى مرصداً آخر خاصاً لهم على طرف الجسر ببغداد¹.

استعمل العرب في عملياتهم الفلكية عدداً كبيراً من الآلات نذكر منها، الإسطرلاب الذي كان يُعد أهم الآلات الفلكية، وقد استعملها العرب في كثير من العمليات الفلكية كرسْم مرتسم الكرة الأرضية على مسطح، وقياس الارتفاعات والمسافات، وارتفاع النجوم والكواكب السيارة والثابتة، وتحديد أوقات الصلاة².

وبذلك يكون العصر العباسي من العصور الهامة على صعيد تطوير العلوم وازدهارها فيه، ساعد على ذلك الحرية التي تمتع بها العلماء على مختلف اختصاصاتهم واهتماماتهم، فوضعوا أسساً علمية كبيرة للعالم برمته، ساعدت على تقدمه وانطلاقه نحو آفاق واسعة.

¹ أنور الرفاعي، المرجع السابق.

² إبراهيم شركة، مجلة المجمع العراقي العلمي، المجلد 19.

..... أمجاد الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت 1965 و 1966.
- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء الطبعة الأولى المطبعة البهية 1882 والطبعة الثانية بيروت 1982.
- ابن أبي زرع، روض القروطاس، طبعة الرباط 1973.
- الإربلي، مختصر سير الملوك، طبعة 1885.
- الأشعري، مقالات الإسلاميين، طبعة استانبول 1929.
- الأصفهاني، الأغاني.
- أمين (أحمد) ضحى الإسلام، طبعة القاهرة 1934.
- البياز العريني، مصر في عهد الأيوبيين.
- البلاذري، فتوح البلدان.
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة القاهرة 1972.
- الجاحظ، البيان والتبيين.
- جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، طبعة القاهرة 1918.
- ابن الجوزي، المنتظم.
- الجهشيري، الوزراء والكتاب، طبعة القاهرة 1938.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبعة القاهرة 1950.
- الدينوري، الأخبار الطوال.
- الذهبي، مختصر دول الإسلام، طبعة حيدر آباد الدكن.
- الرازي، المباحث المشرقية، طبعة حيدر آباد الدكن.
- ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، طبعة القاهرة 1955.
- رنسيمن، تاريخ الحركة الصليبية، الترجمة العربية.
- زهدي جار الله، المعتزلة، طبعة أولى القاهرة 1947.
- ابن سعد، الطبقات.
- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب تحقيق شوقي ضيف، طبعة القاهرة 1964.
- سعيد الأفغاني، أسواق العرب طبعة دمشق 1937.
- سعيد عاشور، حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى، طبعة بيروت 1976، طبعة تونس 1938.
- سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، طبعة تونس 1938.
- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، طبعة ليدن 1952.
- السيوطي، تاريخ الخلفاء، طبعة المكتبة التجارية القاهرة.
- شاكر مصطفى، في التاريخ العباسي، طبعة دمشق 1957.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

- ابن الشحنة، تاريخ حلب.
- الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، طبعة اكسفورد 1934.
- الصفي، الوافي بالوفيات، طبعة دمشق وبيروت 1959 و 1969.
- ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك.
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر.
- عبد الجبار الهمداني، المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل تحقيق سامي النشار وعصام الدين علي، طبعة 1972.
- عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي.
- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، طبعة ليدن وبيروت 1948 و 1967.
- عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، طبعة دار العلم للملايين بيروت 1948.
- الفارابي، النمرة المرطية في بعض الرسائل الفارابية، طبعة ليدن 1890.
- ابن فضال، رسالة ابن فضال، تحقيق سامي الدهان طبعة دمشق 1960.
- فلهاوزن الدولة العربية وسقوطها الترجمة العربية.
- ابن قتيبة، كتاب المعارف، طبعة القاهرة 1935.
- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة القاهرة 1326 هـ.
- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس وتحقيق عبد الله أنيس الطباع، طبعة بيروت 1957.
- ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة بيروت 1966.
- كرد علي، خطط الشام، مطبعة الترقى دمشق 1926 و 1928.
- مجيد خدوري، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان، طبعة بغداد 1939.
- محمد الزين، الشيعة في التاريخ، مطبعة العرفان، طبعة صيدا 1938.

من أنشطة المركز
خلال النصف الثاني من عام 2016

التحريض العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

.....أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2016

من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2016

تابع المركز في النصف الثاني من عام 2016، تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة للدورة المالية 2015-2016 على النحو التالي:

تم إصدار الكتب التالية:

- المايو كلينك في الأمراض الهضمية وأمراض الكبد
- تصميم الدارات والنظم الرقمية – تمارين محلولة
- تم إنجاز وتسليم ترجمة كتابين لصالح إدارة العلوم والبحث العلمي في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

كتب في قيد الإصدار:

- مدخل إلى الكيمياء الصيدلانية
- الإحصاء الطبي
- يجري العمل حالياً على إنهاء ترجمة كتاب لصالح إدارة العلوم والبحث العلمي في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- يجري العمل حالياً على إنهاء ترجمة كتاب لصالح إدارة المعلومات والاتصال في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

يجري العمل حالياً على تسلم الدراسات الخاصة بالعدد 52 من مجلة التعريب الذي يُتوقع صدوره في يونية عام 2017.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

زوّد المركز بعض الجامعات بإصداراته في إطار مشروع دعم الجامعات والمؤسسات العلمية.

- شارك المركز بعرض إصداراته في المعارض التالية:

- معرض الجزائر الدولي للكتاب بتاريخ 2016/10/26
- معرض الشارقة الدولي للكتاب بتاريخ 2016/11/02
- معرض الكويت الدولي للكتاب بتاريخ 2016/11/16
- معرض الدوحة الدولي للكتاب 2016/11/30
- مهرجان الأيام الثقافي للكتاب (البحرين) 2016/12/29

أنشطة المركز خارج البرامج:

- شارك الأستاذ الدكتور زيد العساف مدير المركز في ورشة عمل بمقر المنظمة في تونس تحت عنوان "معايرة وتقييم الأنشطة لحوكمة الخطة الاستراتيجية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، تونس 2016/10/14-12.
- شارك الأستاذ الدكتور زيد العساف مدير المركز في اجتماع مجلس البرامج، تونس، 2016/12/22-20.

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدّما للنشر في أيّ من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
2. أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word، ترسل نسخة إلكترونية على بريد المجلة الإلكتروني إلى عنوان المركز التالي:

acatap2@gmail.com

مع مراعاة مايلي:

- أ. ألا يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
 - ب. أن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.
 - ج. ضرورة استعمال علامات الترقيم أصولاً.
 - د. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة.
4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

5. ترفق المادة المقدمة للنشر متضمنة:
 - أ. اسمه الثلاثي بالعربية وبالحروف اللاتينية.
 - ب. نبذة مختصرة من سيرة المؤلف.
 - ج. الصفة أو المرتبة العلمية، مثال (دكتور، أستاذ دكتور، باحث أكاديمي....الخ)
 - د. عنوانه البريدي الكامل.
 - هـ. عنوان بريده الالكتروني.
6. تُسهّل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبّت للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.
7. تُقدّم الرسوم والأشكال، في حال وجودها في مكانها في النص، وترسل أيضاً بملف أو ملفات منفصلة بحيث تكون واضحة وبدقة صالحة للطباعة أعلى من 200 dpi بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة والحجم المناسب، على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص، مع ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية للشكل.
8. تُعرّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.
9. تُنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:
 - أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
 - أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.

قواعد النشر في المجلة

- ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات / 2000 كلمة/.
- أن يصحب العرض معلومات ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.
10. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسليم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك قبل صدور العدد الجديد بثلاثين يوماً.
11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بنظر الاعتبار المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.
12. يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.
13. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.
14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.
15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد الواحد والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2016م

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /100/ دولار أمريكي كحد أقصى، علماً أن (الصفحة الواحدة تعادل 300 كلمة حسب الفقرة (3- أ)).

18. تعتذر هيئة التحرير عن نشر أية مقالة لا تلتزم بالشروط الواردة آنفاً.

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق — ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11 — +963)

فاكس: 3330998 (11 — +963)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap2@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org

